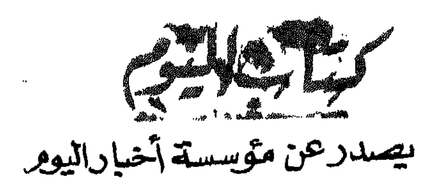
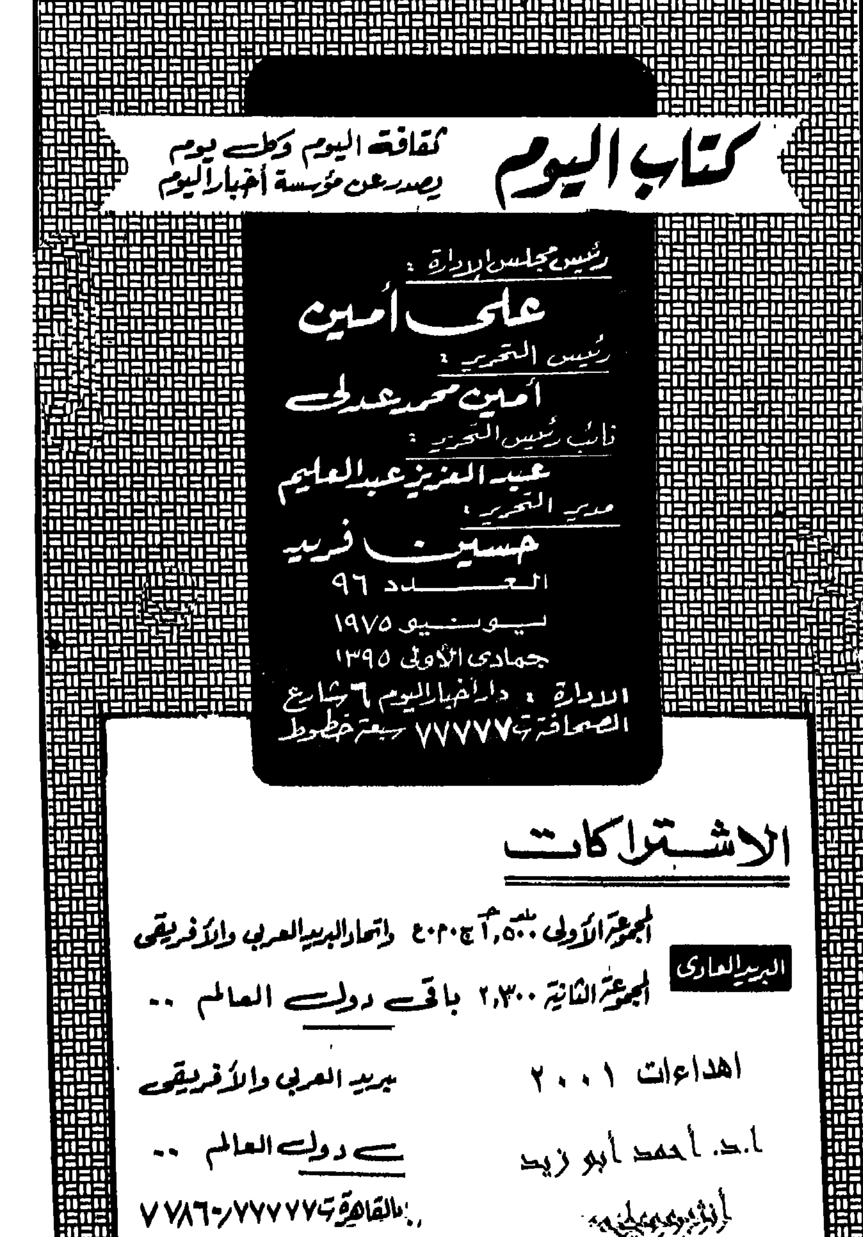


محمد كامل سليم
سكرتير سعد زغلول

صراع سعد فى أوروبا



كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة:
على أمين

رئيس التحرير:
أمين محمد عدلى

نائب رئيس التحرير:
عبد العزيز عبد الحليم

مدير التحرير:
حسين فريد

العدد ٩٦
يونيو ١٩٧٥
جمادى الأولى ١٣٩٥

الإدارة: دار أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٧٧٧٧٧٦ سبعة خطوط

الاشتراكات

البريد العادى

المجموعة الأولى ١,٥٠٠ ج ٤٠٠ ع واتحاد البريد العربي والأفريقي

المجموعة الثانية ٢,٣٠٠ باقى دول العالم ..

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. أحمد أبو زيد

بريد العربي والأفريقي

ى دول العالم ..

بالقاهرة ت ٧٧٧٧٧٦/ ٧٧٨٦٠



ثقافة اليوم وكل يوم



في أوروبا

بقلم : محمد كامل سليم
سكرتير سعد زغلول الخاص

صدر عن مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة

الغلاف بريشة الفنان :
محمود مصطفى

الإشراف الفني :
سعيد عارف

الزعيم الخالد .. سعد زغلول

سعد وملنر
يتفاوضان .. ويتصارعان



ما كاد الزعيم سعد زغلول واعضاء الوفد يصلون الى باريس بعد الخروج من المنفى حتى تلقوا صدمتين مدوختين : الاولى ، اعتراف ويلسون بالحماية البريطانية على مصر ، فكان بذلك أول من تنكر لمبادئه وأهمها مبدا حق تقرير المصير للشعوب المغلوبة على امرها . والثانية ، اغلاق ابواب مؤتمر السلام المنعقد فى فرساى فى وجه الوفد المصرى الذى حضر خصيصا لعرض قضية مصر .

وسبق ان سجلت فى كتابى الاول عن ثورة ١٩١٩ آثار الصدمتين فى الوفد وفى مصر وفى بريطانيا ، والآن اوضح بايجاز الاعمال والنتائج المباشرة لذلك .

١ ـ في باريس بدأ جهاد الوفد في حركة اعلاميـــة على اوسع نطاق وبنشاط معدوم النظير • مقالات موجزة منوعة كتبها الزعيم وعبد العزيز فهمي ومحمــــدعلي علوية ، نشرت في شكل اعـــلانات دفع ثمنها على اساس كل سطر • وانتداب محمــد محمود للسفر الى امريــكا للدعاية وشرح حقائق الموقف والتاثير في الكونجرس ، ونجح نجاحا باهرا بلغ مداه عندما استصدر من الكونجرس قرارا بتاييد حق مصر في تطبيق مبدأ حق تقرير المصــير ، بالاضافة الى السخط العــام الذى اثاره في الشعب الامريكى على ويلسون • ثم نشرات مطبوعة عن جرائم الانجليز في مصر واعمال القتل والتخريب في العزيزية والبدرشين وكل البــلاد لمنع المصريين من عرض قضيتهم على مؤتمر السلام للمطالبة بالغــــاء الحماية واعلان الاستقلال وتحقيق الجـــلاء بانهاء الاحتلال البريطانى تنفيذا لوعود بلغ عـــددها اكثر من ٦٠ وعــدا ، اصــدرتها الحكومات البريطانية المتعاقبة •

٢ ـ بعد فشل لجنة ملنر في مصر بعد مقاطعة الشعب كله لها، عادت الى لندن ورأت نفسها مضطرة تحت ضغط الظروف القــاهرة الى دعوة الوفد للمفاوضة معها ، فسافر الى العاصمة البريطانية ثلاثة من اعضائه استجابة لهذا الدعوة ، ولكن ملنر رفض الا مقابلة الزعيم سعد زغلول نفسه والمفاوضة معـــه • وامام اصرار ملنر على ذلك والحــاح الوفد جميعا ، اضطر الزعيم اضطرارا الى الســـفر والدخول في مفاوضات مع لورد ملنر •

ماذا اقول :مفاوضـــات ؛ كلا •• انهـــا لم تكن مفاوضـــات بمعنى الكلمة ، بل كانت نزاعا مستمرا وصراعا واختلافات في وجهات النظر باستمرار ، وكان من جانب ملنر ـ شـــيخ المستعمرين ـ لف ودوران وعناد ، ومن جانب الزعيم صراحة وجلاد وجهاد يتجلى ذلك في هـــذا الكتاب بأسلوب جديد في شكل يوميات سياسية ونفسية •

في مصر كانت الثورة عارمة تتأجج وتتفجر حينا ، ثم هدأت قليـــلا ونارها تحت الرماد حيناً بمناسبة تلك المفاوضات •

وفي لندن فتحت الثورة جبهة جديدة بزعامة سعد زغلول وجهوده وجهاده ومساعدة اعضاء الوفد ، فضلا عن عدالة القضـــية وتاييد شعب مصر تاييدا اجماعيا لم يسبق له نظير في التاريخ •

لم اشا ان اسجل بأسلوبى الخاص الحقائق والوقائع وكل ما جــرى في هذه المفاوضات والاتصالات كما يفعل المؤرخون ، مستخدمين اسلوب الانشاء والتلخيص المطرد وتجميع الحوادث في تسلسلها حسب توقيت

وقوعها ،، وانما لجات الى اسلوب اليوميات وجعلتها كاشرطة التسجيل على ما فى ذلك من صعوبة وارهاق واعنات ، وفضلت فى ان اترك هذه المهمة للزعيم سعد زغلول يبرز الحقائق والوقائع ، ويعبر عن افكاره ومشاعره ومطالبه بالفاظه واسلوبه القوى الخاص واعترافاته الكاشفة الفريدة ٠

وتركت ملنر كذلك يعبر عما يريد بالفاظه واسلوبه الخشن الخاص وصراحته الاستعمارية المثيرة ٠

وكانت مهمتى فى هذا كله مجرد الربط بينها وعرضها كما هى وكما سمعتها وعرفتها مع بعض التحليلات والتعليقات التى رايتها هنا وهناك حتى يكون موضوع كل جلسة وكل حديث سلسلة متصلة الحلقات كما اراد صاحبها ان تكون ، وبهذا ابرزت كل ما سمعته وسجلته فور خروجى من كل جلسة او مقابلة حتى لا انسى شيئا ، وحتى لا اضطر الى العودة الى الذاكرة بعد اسبوع او اكثر او اقل لاتذكر بعض ما حدث ، وقد تخون الذاكرة فتنسى بعض الجزئيات وتنسى حرارة جو المناقشات والمحادثات والمصادمات ٠

بهذا الاسلوب ، اسلوب اليوميات السياسية يصبح القارىء لها يشعر بان الزعيم سعد زغلول ولورد ملنر واعضاء الوفد وعدلى مازالوا جميعا على قيد الحياة يسمع الفاظهم ويعرفهم باساليبهم الخاصة فى التعبير عن افكارهم ومشاعرهم ومطالبهم ، ويراهم كيف يناقشون ويختلفون ويتفقون ، وكيف يتخاصمون ويتحمسون ، بل حتى يكاد يسمع اصواتهم وكيف تتطور الحوادث بين ايديهم وهم يصنعون التاريخ ، وكيف وصلوا الى النتائج التى انتهوا اليها ٠

اليست هذه هى الحياة ، اليس هكذا يتصرف الاحياء ؟٠

بهذه اليوميات تم ابقاء الماضى حيا او نقله الى الحاضر بكل ما كان فيه من حيوية وحرارة وبكل مزاياه ومظاهره واصبح ابناء هذا الجيل يشعرون وهم يقراون هذه اليوميات كانهم كانوا معى فى لندن عام ١٩٢٠، يشهدون هذه الاجتماعات والمفاوضات كما شاهدتها ، ويسمعون ويعرفون ما عرفت ، او كان الزعيم سعد زغلول وملنر وعدلى واعضاء الوفد ، مازالوا احياء يعقدون اجتماعاتهم فى بيت الامة او فى قاعة الجامعة فى جلسات مفتوحة يشهدها ابناء هذا الجيل فى عام ١٩٧٥ ٠

واخيرا ، احب ان اسجل رايا للمؤرخ الانجليزى الكبير «توينبى» عن الوثائق التاريخية واهمية المذكرات الخاصة واليوميات عن الحوادث الكبرى قال : « كل شىء مكتوب اذا كان يلقى ضوءا على الظروف والحوادث

الماضية أو على الانسان او الناس فى الماضى يعتبر وثيقـــة تاريخية ·
وتزداد هذه اليوميات اهمية كوثائق اذا كان كاتبهـــا الذى عايش تلك
الاحداث وعرف اشخاصها عن كثب ، قد سجل فى الوقت عينـــه وجهة
نظرة الشخصية ورايه فيها وفيهم ، لان ذلك يكشـــف العوامل الخفيـــة
وراء تلك الاحداث والبواعث الحقيقية لرجالها »

ثم قال : « وان من اعظم الوثائق التاريخية اليوميات التى كتبهـــا
بيبس فى انجلترا ، واليوميات التى كتبها الجبرتى فى مصر » ·

مايو ١٩٧٥

محمد كامل سليم

الفصل الأول

المفاوضات تبدأ فى لندن

كانت ثورة ١٩١٩ ثورة شعبية عارمة كاملة ، شملت كل الطبقات والفئات والافراد ، كان المصريون صفا واحدا فى تضامنهم وتماسكهم ، مسلمين واقباطا ، رجالا ونساء ، شبابا وشيبا ، كتلة متحدة متفجرة ضد الانجليز .. امتلأت الشوارع والطرقات بمظاهرات ضخمة صاخبة من الطلبة والعمال والمثقفين ، وفتح الانجليز المدافع الرشاشة عليهم لتفريقهم ووقف زحفهم ولكن هيهات حتى بعد قتل الآلاف من المتظاهرين .

ثم عمت الاضرابات الى جانب المظاهرات ، فاغلقت جميع المحال التجارية ، وتوقفت كل وسائل المواصلات ، فلا ترام ولا أوتوبيس ولا سيارات اجرة ولا سكك حديدية ولا تلغراف ، واضرب الموظفون وتركوا مكاتبهم يديرها الموظفون الانجليز وحدهم ، وحدثت أعجوبة كبرى بأن صدرت ميزانية الدولة بامضاء المندوب السامى البريطانى .

سالت دماء غزيرة من المصريين بفتك مدافع الانجليز ، وسالت دماء غزيرة من الانجليز قتلهم المصريون فى الشوارع وحيثما وجدوهم ، وعمت أعمال التخريب على أوسع نطاق ، وتجلى للعالم عامة وللحكومة الانجليزية خاصة أن لا سبيل الى التغلب على هذه الثورة الشعبية الهائلة .

نجحت الثورة بعد شهر واحد من انفجارها على هذا الاسلوب الدموى الشامل الذى لفت أنظار العالم ومؤتمر السلام فى فرساي .. نجحت فى تحقيق أول أهدافها اذ أضطرت الحكومة البريطانية

الى الأفراج عن الزعيم سعد زغلول وصحبه المنفيين الى مالطة ، والسماح لهم ولبقية الوفد بالسفر الى باريس لعرض قضية البلاد على مؤتمر السلام ، قضية الغاء الحماية البريطانية واعلان الاستقلال وتحقيق الجلاء وتطبيق مبدأ حق تقرير المصير على مصر ٠

ثم نجحت الثورة مرة ثانية باجماع المصريين على مقاطعة لجنة ملنر التى جاءت الى مصر بعد ذلك ، بحجة اجراء تحقيق فى أسباب هذه الثورة الكاسحة ، واقتراح النظام الجديد المناسب لتسوية العلاقات بين مصر وبريطانيا التى خرجت من الحرب العالمية الثانية اقوى دولة فى العالم ، فاضطرت اللجنة الى الخروج من مصر عائدة الى لندن بخفي حنين فقط ٠٠ وكانت تأمل أن تخرج بثمرة ايجابية لحل هذه المشكلة العويصة ٠

ثم نجحت الثورة مرة ثالثة ــ حين امتنعت لجنة ملنر بعد المقاطعة الكاملة الرائعة ــ بالاتصال بالزعيم سعد زغلول وكيل الامة الموجود فى باريس ٠

وما كادت تعود اللجنة الى لندن حتى بعثت بمستشارها القضائى لمقابلة الزعيم فى باريس ودعوته للمفاوضة معها فى لندن ٠

وظل الزعيم يعارض ويعترض على سفره الى لندن ، واخيرا اضطر الى الموافقة تحت ضغط فريق من أعضاء الوفد ومعهم عدلى يكن ٠

وفى يوم ٥ يونيو ١٩٢٠ سافر الزعيم وبقية أعضاء الوفد الى لندن ٠

اول حديث بين سعد وملنر

وفى يوم ٦ يونيو ذهب الزعيم سعد مع عدلى لزيارة ملنر فى الموعد المحدد ، وبعد تبادل التحيات والسؤال عن الصحة والسفر وما اليهما من فواتح الحديث عند اللقاء ، انتقل الحديث الى موضوع المسألة المصرية ، وجرى على الوجه الآتى :

ملنر : ان فى مصر نظاما موجودا وتريدون تغييره فجأة ، فما هو النظام الذى تريدون وضعه مكانه ؟

سعد : اننا نريد نظاما برلمانيا تكون الحكومة فيه مصرية مؤلفة من حاكم وبرلمان ووزارة مسئولة امام البرلمان ٠


اللورد ملنر

ملنر : الا يخشى من حصول اضطراب اذا حقق كل هـذا التغيير فجاة، فيحدث فى مصر ما حدث فى غيرها من البلاد الشرقية كتركيا مثلا ، وكمـا حدث فى مصر نفسها ؟

سعد : ان مصر الآن غيرها منذ ٤٠ سـنة • وقد تقدمت تقدما محسوسا ، ولا يجوز أن تقارن بتركيا •

ملنر : ولكن هـذه عـادة الشرقى لا تستقر فيه مثل هذه الانظمة الغربيـة طويلا ، ولم يشذ عن هذه القاعدة الا اليابان

سعد : اذا كانت اليابان قد خرجت من هذه القاعـدة مع انها لم تكن مهياة لتلك النظم من قبل ، فمصر تكـون اصلح منها لها •

ملنر : ان مصر تهمنا كثيرا جدا لا من جهة قنال السويس وحده لان مسالته فى الواقع لا اهمية لهـا ، ولكن من حيث موقع مصر الجغـرافى ، فهى من الامبراطوريه البريطانية كموقع القلب من الانسان ، فيهمنا جدا أن تكون هادئة مستقرة منظمة متقدمة حتى لا يحدث لامبراطوريتنا اقل اضطراب من جرائهـا ، واننا نخشى كثيرا من حدوث اضطراب وعـدم استقرار فى مصر عند تغيير انظمتها فجاة • وكذلك نخشى ان تعتدى عليها احدى الدول الاخرى مثل ايطاليا او اليونان ، هم حلفاؤنا الآن ولكن من يدرى ، فقـد ينقلب الحليف عدوا يوما من الايام • هذا من جهة ومن جهة اخرى لا نريد أن يكون للدول سـفراء فى مصر لانهم يكونون وسائط للدسائس والفتن ، ولهذا نرغب فى أن تعقـد محالفة بين مصر وبريطانيا •

سعد : كل هذه المخاوف فى اعتقادى لا مسوغ لها ولا اساس لها وهى قائمة على مجرد فروض وأوهام ، ولا خوف من دسائس اى دولة ، مادامت بريطانيا تعترف بمصرية مصر وسيادتها واستقلالها وتحالفها بعد ذلك ، فان مصر لا يمكن ان تقبل دسائس أعداء بريطانيا • والدسائس كما تدبر بواسطة السفراء يمكن ان تدبر بالوكلاء والقناصل ايضا مادامت الارض صالحة لها ، والدسيسة ترتبط بخلق الرجل وصفته اكثر مما ترتبط بعنوانه ولقبه، ثم لا خوف على مصر من اى أعتداء اجنبى عليها مع وجود المحالفة •

ملنر : ان المحالفة تكون ابدية •

سعد : لا شيء ابدى فى هذه الدنيا • فلا معنى لوضع شاذ لا مثيل له بين الدول المستقلة ، ان المعقول والمقبول أن تكون لمدة معينة قابلة للتجديد •

ملنر : اننا نترك الكلام فى هذه المسائل تفصيلا الى اجتماعاتنا المقبلة ، وهكذا نفعل فى كل مسألة لا يحصل الأتفاق عليها ، نتركها الى النهاية •

سعد : وهو كذلك • ان المسائل مرتبطة بعضها ببعض ، ويكون مجموعها كلا غير منقسم •

ملنر : يحسن ان يكون عدد المتفاوضين من كل جانب صغيرا لانه كلما قل عددهم سهل التداول • وفى رأيى أن يكون منكم ثلاثة ومنا ثلاثة •

سعد : أوافق على ذلك •

ملنر : لماذا انتم ساخطون كل هذا السخط على الحماية ؟ ان الحماية تقتضى دفع التعدى الخارجى ولكنها لا تقتضى شيئا آخر • ونحن نريد أن نترككم احرارا فى الداخل تفعلون ما تشاءون ولكنا نريد أن نحتفظ بالباقى •

سعد : ان الحماية التى عرفناها هى غير الحماية التى تذكرها الآن ، فالحماية التى عرفناها منكم ووقعت على البلاد اثارها هى التى ترتب عليها ان يعزل الحامى حاكم البلاد الشرعى ويعين آخر بدلا ويعلن الاحكام العرفية ويقيم المحاكم العسكرية ، ويجعل حياة الإهالي واموالهم وشرفهم معلقة بارادة رجل واحد يمثل الدولة الحامية ، وهذه هى الحماية عند التطبيق العملى وهذا ما عرفناه

من خيرة مرة (وهنا شكا الرئيس الى ملنر ممـــا نشرته جريدة التيمس أمس : من أن المصريين عدلوا عن طلب الاستقلال التام) ٠

وقال سعد : هل تعرف احدا من المصريين لايطالب بالاستقلال ؟

ملنر : لا ينبغى الالتفات الى اقوال الجرائد ٠ ان كثرة مطالبة المصريين بالاستقلال هى التى ضايقتنا وصحافة مصر سيئة جدا ٠

سعد : لماذا ٠ وكيف وماذا ترتب على سوئهـــا ؟ هل يمكنك ان تعين شيئا محددا حدث منها ؟٠

ملنر : التعدى على الوزراء ، وقتل الابرياء ٠

سعد : ان هذا ليس نتيجة لعمل الصـــحافة ٠ وانكم لترون فى كل بلد من بلاد العالم متحمسين ومتهورين يقتلون الســـياسيين ويفتكون بالابرياء ، ولا أعرف دولة واحدة خلت من ذلك ، بل حتى فى فرنسا وانجلترا نفسها وجد من يعتدى على كلمنصو ، ولويد جورج ، فلا يعيب مصر أن يكون فيها أمثال هؤلاء المعتدين ٠ وان الاضطرابات التى حدثت فى مصر ، والدماء التى اريقت لم تحصل الا فى المظاهرات التى تدخل فيها الجنود البريطانيون اما غيرها فلم يحدث فيها شىء من المكدرات ٠

ملنر : هكذا يزعم بعض الناس فى روســـيا وفى غيرها من البلاد التى اختل النظام والامن فيها ٠

سعد : لا اعرف ما يجرى فى روسيا ، ولكن ما حدث فى مصر هو كما وصفت : قتل كثيرون من النساء والرجال والاطفـال فى اثناء المظاهرات الوطنية ، وعجبت ان يهتم بحيـــاة بعض الافراد ولا يهتم بحياة شعب باكمله ٠ ان كل ما فعلته الجرائد المصرية هو ترديدها المناداة بالاستقلال التام ٠ ولا ارى سوءا فى ذلك ولاضررا فى ذلك بل اراه واجبا لازما عليها ٠

وهنا غير ملنر موضوع الحديث ، واقترح ان تكون الجلســـة الاولى فى الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم ٩ يونيو فى وزارة المستعمرات ٠

وانفض الاجتماع ٠

وفى مساء يوم الاثنين ٧ يونية عقد اجتمــــاع بسيط فى وزارة المستعمرات : من جميع اعضاء لجنة ملنر وجميع أعضـــاء الوفد وعلى راسهم الرئيس سعد وذلك للتعارف ٠

بدء المفاوضة بين الوفد ولجنة ملنر

٩ يونيو :

الجلسة الاولى الساعة ٣٠ر٤ بعد الظهر فى وزارة المستعمرات :

مثل الجانب المصرى الزعيم سعد زغلول ومحمد محمود ولطفى السيد وعدلى يكن ٠

ومثل الجانب البريطانى ملنر ، ورنل ، وود ، وهرست ٠

جدول اعمال الجلسة ، المسائل الآتية :

١ ـ التحالف بين مصر وبريطانيا ٠

٢ ـ احتلال بعض الجنود الانجليز لمصر ٠

٣ ـ ضمان الاصلاحات التى ابتدأت فى مصر منذ اربعين عاما ٠

٤ ـ ضمان حقوق الاجانب ٠

ملنر : نريد وضع معاهدة لتحديد العلاقات بين مصر وبريطانيا، على أن تكون معاهدة دفاعية دائمة ، ولكن ربما اشتملت على بعض الشروط المؤقتة ٠

سعد : المعاهدة الدائمة او الابدية لا معنى لها ولا محل وانما علينا أن نحدد النواحى التى يجب على مصر أن تساعد بريطانيا فيها ٠ ومقدار هذه المساعدة ٠

(لم يتقرر شىء فتركت هذه المسألة جانبا) ٠

ملنر : ان مصالح انجلترا فى الشرق يستلزم ان تتخذ من مصر قاعدة حربية لها ٠

سعد : ليس هذا ممكنا ٠ وانجلترا عندها مواقع كثيرة اخرى تحت يدها ٠

ملنر : نريد بالقاعدة ان تكون فى جهة معينة كالقنال ، وبصفة مؤقتة ٠ ويهمنا جدا أن نحافظ على القنال ضد اى اعتداء خارجى ٠

سعد : لماذا لا يكتفى بالجيش المصرى ٠


عدلى يكن	محمد محمود

ملنر : هذا كلام معقول • ولكن اذا انسحبت الجيوش البريطانية كلها من مصر دفعة واحدة ولم يبق فى القنـــال حارس انجليزى ، احدث ذلك دهشة هائلة فى الرأى العام البريطانى ، فاتقاء لهـــذه الدهشة ، نريد رباطا على القنال ومن غير أن يترتب عليـه وعلى وجوده اقل تدخل فى شئون مصر الداخليـــة ، ولا يكون له صفة الاحتلال •

سعد : هذا الموضوع يحتاج الى جلسة كاملة لمناقشته • (فتركت هذه المسألة جانبا) •

ملنر : يهم انجلترا اكثر من كل شىء ضمان الاصـلاحات التى باشرتها مدة أربعين عاما فى مصر والتى رتبت على نفسها المسئولية عنها ، فلا يمكنها التخلى عنها بدون أن تتأكد من استمرارها • فما هى الضمانات التى أعددتموها لذلك ؟

سعد : الضمان الاكيد هو النظام الذى ستكون عليه حكومة مصر (حرة مستقلة دستورية ذات برلمان ووزارة مسئولة أمام البرلمان) فهل تريد ضمانا أحسن من هذا ؟

ملنر : من الصعب تصور التغيير الفجائى من غير أن يحدث خلل .

سعد : هذا شىء لا يصح أن يحسب له حساب . ومسئولياتكم فى هذه الاصلاحات انما هى أمامنا ، ونحن نخليكم منها بمجرد استلامنا لادارة بلادنا .

ملنر : لا نريد أن يخرج الموظفون الانجليز من خدمة الحكومة المصرية ضمانا لحسن سير الاعمال وضمانا لتنفيذ المحالفة بين بريطانيا ومصر .

سعد : هذه مسألة صعبة جدا بل شىء مستحيل بسبب الكثرة الهائلة فى عدد هؤلاء الموظفين البريطانيين ، فهم جيش عرمرم استولوا على الوظائف الفنية والادارية ، ويمكن الاقتصار على الفنيين الذين لا يمكن الاستغناء عنهم اذا لم يوجد مصريون يحلون محلهم .

(لم يتقرر شىء فتركت هذه المسألة جانبا)

ملنر : ان حقوق الاجانب مضمونة بأنظمة الامتيازات ، ولا نرى وجها لتغييرها .

سعد : هذه مسألة ستعالجها مصر فيما بعد مع بريطانيا وسائر الدول الاجنبية .

(لم يتقرر شىء . فتركت هذه المسألة جانبا)

ملنر : فى الجلسة القادمة سنعالج هذه المسائل بشىء من التفصيل

١٠ يونيو :

الجلسة الثانية الساعة ٣٠ر١١ صباحا بوزارة المستعمرات :

فى المحالفة

عاد ملنر الى الكلام فى مسألة عقد معاهدة لتحديد العلاقات بين بريطانيا ومصر على أن تكون المعاهدة دائمة وبموجبها تتعهد بريطانيا بأن تدفع عن مصر كل غائلة خارجية . أما مصر فان شاءت

دافعت عن بريطانيا ، وان شاءت الا تدافع مثـــل كندا ، وان هذه المعاهدة قد تشتمل على شروط مؤقتة ·

وعاد سعد الى القول بأنه لا باس من المحالفـــة ولكن يلزم أن تكون مبنية على تبادل الالتزامات للطرفين· ومن حيث ان مصر صغيرة بالنسبة لبريطانيا الواسعة المدى والمترامية الاطراف فانه يجب تحديد الجهة التى يجب عليها المساعدة فيها ومقدار هذه المساعدة ، ولا يجوز مطلقا أن تكون المعـــاهدة أبدية ، وذلك لان الدوام فى المعاهدات لم يسبق له مثيل بين الدول المستقلة ، بل يجب ان تكون مؤقتة بزمن محدود قابل للتجديد ·

فى الاحتلال

عاد ملنر الى القول بان بريطانيا لا يمكنها أن تستغنى عن مصر كقاعدة حربية لها مركزة فى جهة معينة منها وهى منطقة قنـــال السويس وبصفة مؤقتة ، وحجته فى ذلك أن المحافظة على قنـــال السويس ضد الاعتداءات الخارجية مسالة حيوية بالنسبة لبريطانيا لانه شريان مواصلات الامبراطورية البريطانية ·

فقال سعد : ان الدول بما فيها انجلترا رأت سنة ١٨٨٨ أن تضع لهذا القنال وللمحافظة عليه نظاما خاصا اكتفت فيـــه بان تدافع مصر عنها ، ولم يحدث من ذلك العهد الى الآن شىء يقتضى تغيير هذا النظام الموضوع والمتفق عليه دوليا ، ولم تتحـــرش اية دولة بتهديده ، والدول التى كان يخشى من غاراتها عليه كتركيا والمانيا وغيرهما سقطت أو ضعفت أو صـــارت الآن منضـــمة الى حظيرة الحلفاء الذين تتزعمهم بريطانيا ، وفضلا عن ذلك فقـــد اصبحت فوائد القنال عامة للدول جميعا لا تختص به دولة دون اخرى وان كان بينهما تفاوت فى مقدار الانتفاع به ·

فقال ملنر : ان القوة التى تطلبها انما تكون قليلة وبصفة رباط لا لتهديد مصر بل للدفاع عن قنال السويس مع مصر ، ومن غير أن يترتب على هذا الرباط أقل تدخل من جانب بريطانيـــا فى شئون مصر الداخليـــة ومن غير ان يكون له صفة الاحتـــلال ، بل لمجرد حراسته ضد الاجنبى المعتدى ، على أن يكون ذلك برضـــاء مصر وقبولها · وما قبلت بريطانيا الاتفاق الذى حدده اتفاق سنة ١٨٨٨ الا لان بريطانيا كانت محتلة للقطر المصرى كله ·

فرد سعد على ذلك قائلا : انه مادامت القوة المذكـــورة تكون صغيرة وبصفه رباط فانها لا تكفى لدفع الاعتداء الاجنبى حتى لو فرضنا جدلا بامكان وقوعه ، وقلتم انه فى حالة الاعتداء ستاتون بقوات أخرى • فلماذا لا يكتفى فى وقت السلم بوجود هذا الرباط فى الجيش المصرى وحده مادامت مصر وبريطانيا اصبحتا حليفتين بهذه المحالفة المقترحة ؟ صحيح انكم فى سنة ١٨٨٨ كنتم محتلين لمصر ولكنكم كنتم فى ذلك التاريخ وقبله وبعده تنوون الجلاء عن مصر وقطعتم على انفسكم العهود وكررتم الوعود بهذا الجلاء حتى استقر فى اذهان المصريين واذهان الشعوب المختلفة أن هذا الجلاء مسالة وقت ولكنه آت لا ريب فيه •

فقال ملنر : هذا كلام معقول ووجيه • ولكن اذا انسحبت الجيوش البريطانية كلها من مصر دفعة واحدة ولم يبق فى القنـــال حارس انجليزى ، احدث ذلك دهشة بل وذهولا عند الامة الانجليزية وفى الرأى العام ، فاتقاء لإخطار هذا الذهول ونتائجه نريد وضع هذا الرباط •

فقال سعد : أسف لا يمكننا مطلقا الموافقة على ذلك • لان الجلاء مطلب اساسى من مطالبنا ، وقد قطعتم العهود والمواثيق بتحقيقه ، والآن نطالبكم بتحقيق هذه الوعود والعهود •

•(وهنا لم يتقرر شيء مرة اخرى • وانتقل الكلام فى الموضوع الثالث حول ضمان الإصلاحات التى باشرتهـــا بريطانيا فى مصر مدة اربعين عاما أو بعبارة اصرح مسالة الموظفين البريطانيين الذين فى خدمة الحكومة المصرية •

مسالة الموظفين البريطانيين

قال ملنر : يهم بريطانيا اكثر من اى شيء ضـــمان الاصلاحات التى باشرتها فى مصر مدة ٤٠ سنة والتى اخذت على نفسها بقاءها ولا يمكن لبريطانيا أن تتخلى عنها بدون أن تتأكد من استمرارها ، فما هى الضمانات التى أعددتموها لذلك ؟•

سعد : سبق أن طرح هذا الموضوع • وسبق أن اجبت عنه ، وازيد الآن فاقول ان هدف الاصلاحات يجب ان يهم مصر اكثر مما يهم بريطانيا لان اثرها الطبيعى منصب على مصر أولا واخيرا • ورأى ضماننا أحســن من أن يكون لمصر نظام ديمقراطى برلمانى ووزارة

مسئولة أمام البرلمان . فهل تريدون أن يكون لكم اشراف ومراقبة على هذا النظام البرلماني ؟.

ملنر : كلا ، وانما الضمان الاكيد هو فى بقاء الموظفين الانجليز واستمرارهم فى خدمة الحكومة المصرية حتى يبقى اتجاه الادارة المصرية كما هو الآن بدون تحول ، ولهذا يكون من الضرورى وجود عدد من الانجليز يعينون فى وظائف خاصة باتفاق الحكومتين الانجليزية والمصرية . وسيكون عددهم أقل ما يمكن لكى يعاونوا الحكومة المصرية بخبرتهم وكفاءاتهم على القيام بواجباتها ومسئولياتها ، وبحسب ما أراه يلزم أن يكون فى المالية مستشار مالى تكون له سلطة قاطعة فى مسائل الدين العمومى فقط والتى لا يجوز أن تكون موضع بحث فى الهيئة النيابية المصرية هذه وبعض مسائل أخرى كمرتبات الحاكم . وأما فيما عدا ذلك فرأيه استشارى بمعنى الكلمة . هذا ويكون بالداخلية موظف انجليزى كبير لادارة الامن العام بالنسبة للاجانب بصفة خاصة .وان يكون فى الحربية ضابط بريطانى كبير بصفة رئيس أركان الحرب .

سعد : ان مصر لا يمكن أن توافق على هذا ، لانه احتلال مدنى شامل ، واشتراك لبريطانيا مع مصر فى السيادة الداخلية . ولا يتفق هذا بحال مع الاستقلال . نعم ان مصر محتاجة الى مساعدة الخبراء الاجانب فى بعض الشئون ، ولكنها غير محتاجة الى حكام اجانب عنها ، وعند احتياجها الى خبراء لا تتردد فى البحث عنهم وتعينهم فى الوظائف المحتاجة اليهم فيها ليكونوا معينين لو بخبرتهم ، لا حكاما عليها بسلطتهم . ولا نفهم أى ارتباط بين كفاء الشخص والسلطة التى يرتكن عليها فى أداء وظيفته . فالكف لوظيفته لا يقلل من كفاءته أن يكون تابعا فى وظيفته للسلط المصريةبدلا من السلطة البريطانية . ولا يخفى عليك أن المصريين ينفرون كل النفور من فكرة أن يكون معاونوهم حكاما عليهم بتأييد حرياتهم . ولقد أدار محمد على مصر بمهارة فائقة اذ أمكنه أن ينتخب (رغم أميته) من احتاج اليهم من الفنيين الاجانب، فعاونوه على ادارة مصر أحسن معاونة ، وانتجت معاونتهم له أفيد النتائج، مع انهم لم يكونوا مستمدين سلطتهم الا منه شخصيا لا من الدول التابعين لها . فلماذا يستكثر على مصر المتعلمة الراقية الآن ، وقد خطت خطوات واسعة فى سبيل المدنية ، أن يكون لها الحق والقدرة على انتخاب من قد تحتاج اليهم من الاخصائيين الاجانب .

ملنر : (سكت دقيقة أو دقيقتين) وقال : ان الرأى العام فى بريطانيا يصيبه الذهول لا محالة اذا نحن وافقنا على التخلى عن ادارة مصر دفعة واحدة بسحبنا الموظفين الانجليز منهـا ، وأنتم تعلمون انهم موجودون فى جميع الوزارات والمصالح ويؤدون لمصر أجل الخدمات .

سعد : يجب التمييز بين الوظائف التى يطلب حفظها للانجليز ولا يشغلها الا الانجليز ، ويكون التعيين فيهـا باتفاق الحكومتين ويمكن تسميتها « بوظائف مختلفة » ، وبين بقيـــه الوظائف التى يشغلها الانجليز الموجودون الآن فى خدمة الحكومة المصرية .

اما بالنســـبة للنوع الاول من الوظائف فان مصر لا يمكن أن تقبلها مهما قل عددها لأن العبرة فيها بالصفة لابالعدد . ووجودها بأى عدد كان ماس بالسيادة الداخلية ومخل كل الاخلال بالاستقلال لأن الاشتراك فعلى فى السيادة الداخلية .

واما النوع الثانى فان مصر مستعدة أن تعامل بكرم وسخاء كل من يرغب فى ترك وظيفته من الموظفـــين الانجليز ، وكل من ترى الحكومة المصرية الاستغناء عن خدماته . وذلك فيما يختص بحقه فى المكافاة أو المعاش على حسب الوضع الذى هو فيـــه ، وطبقا للقوانين واللوائح المعمول بها . وأما من يبقى فى وظيفتـه ، ولا تستغنى الحكومة المصرية عن خدمته فانه يبقى فيها بصفة كونه موظفا كفئا مصريا، ولا يخرج من وظيفته الا بناء على الاسباب التى تقضى بفصل الموظفين المصريين من وظائفهم . وبهـــذه الطريقة لا يكون هناك محل للدهشة أو الذهول ، وكذلك يؤمن جانب المخاوف التى تبدونها .

ملنر : يمكن الآن أن نترك هذا الموضوع الى موضوع آخر لان الساعة متأخرة الان ثم رفعت الجلسة على أن تعقد الجلسة التالية يوم ١٢ الساعة ١٠ر٢٠ صباحا بوزارة المستعمرات ايضا .

الخطة التى جرى عليها الوفد فى مفاوضـــه لجنة ملنر قامت على أساسين :

الاول : أن يعين لمهمة المفاوضة الفعلية مع الرئيس سعد اثنان هما محمد محمود ولطفى السيد .

والثانى : أن يجتمع الوفد يوميا للمذاكرة والتشاور فى حجرة الاستقبال فى فندق كارليتون ، وهى حجرة مجاورة لحجـرة نوم

الرئيس ، ولم يتخلف عدلى مرة واحدة عن حضـــور الاجتماعات والاشتراك فيها • وفى هذه الاجتماعات كان المفاوضون يعرضون ما سمعوه وما قالوه ثم يتداولون فى المسائل التى ستعرض فى الجلسة التالية ، وذلك ليعـــرف المتفاوضون رأى زملائهـــم فى تفصيلاتها ، وما يجوز لهم أن يقبلوه من المطالب ، وما يجب عليهم رفضه منها •

هذا وقد عقد بين الوفد ولجنة ملنر سبع جلسات بحضور عدلى حتى الآن ، الاولى فى ٩ يونيو والاخيرة فى ٥ يوليو •

وقد لخصت حتى الآن كل ما دار فى الجلستين الاولى والثانية •

والآن ألخص كل مادار فى الجلسات التالية دفعة واحدة حتى تكون الموضوعات متصلة الحلقات ويسهل فهمها وتتبعها •

حقوق الاجانب والامتيازات الاجنبية

قال ملنر : ان الحكومة البريطانية مستعدة بصفة كونها حليفــة لمصر أن تبذل نفوذها مع الدول الاجنبية وتسعى الى حملها على قبول رعاياها الاجانب فى مصر أن يشـــتركوا فى دفع الضرائب أسوة بالمصريين ، وانه ينبغى أن تلغى الامتيـــازات الاجنبية لان وجودها معطل لكثير من المشروعات المصرية والمصـــالح الحيوية للبلاد • وقد يغرى هذه الدول الاجنبيـــة على الموافقة على هذه التغييرات السابقة ، والنزول عن الامتيازات التى يتمتع بها رعاياها فى مصر اذا اقترحت بريطانيا أن تحل محلها فيهـــا حتى تطمئن هذه الدول على أن لا ظلم يقع على رعاياها فى المستقبل • وفى الوقت عينه تكون بريطانيا الحليفة اكبر ساعد لمصر فى مســائل التشريع والضرائب • وفى ذلك أيضـــا اختصار للمجهودات وللطريق • فبدلا من أن تتفاوض مصر مع ست عشرة دولة عند وضع أى تشريع يمس الاجانب ، فانها تتفاهم مع بريطانيا مباشرة وتنال موافقتها فورا ويحل كل اشكال •

سعد : اذا كان المراد بالغاء الامتيازات الاجنبية تطبيق القوانين المصرية على الاجانب كما تطبق على الوطنيين • وأن القاضى الاهلى يقضى فى قضايا الاجانب كما يقضى فى قضـــايا المصريين ، فذلك ما نبغيه ونرجو السعى فيه •

أما اذا كان الغاؤها بمعنى تحويل السلطة فيها من أيد كثيرة الى يد واحدة فهذا لا فائدة لنا فيه ، ولا يعتـــبر الغاء للامتيـــازات

الاجنبية ، بل اقامة سلطة جديدة لبريطانيا فى مصر تتمكن بموجبها من التدخل فى شئون التشريع والقضاء الخاص بالاجانب ، وهذا اشتراك فى السيادة الداخلية لا تقبله مصر لان فيه اخلالا خطيرا بالاستقلال •

واظن أن الوقت قد حان لان يقبل الاجانب ان القوانين الجنائية والمدنية التى تضعها الحكومة المصرية تطبق عليهم كما تطبق على الوطنيين •

ملنر : سننظر فى ذلك فيما بعد •

فى التمثيل الخارجى والداخلى

ملنر : ان أساس الاتفاق الذى نريد عقده هو المحالفة مع مصر• وبريطانيا لاتقبل بحال من الاحوال أن تعقد مصر مع أية دولة أخرى معاهدة تخل بهذا التحالف • أما المعاهدات التجارية والاقتصادية فلمصر الحرية فى عقدها ، ولا تقبل بريطانيا أن يكون مقام ممثلها فى مصر مساويا لمقام ممثلى غيرها من الدول الاخرى ، بل يجب أن يكون له مقام ممتاز فيها ، ولا محل لان يمثل الدول الاجنبية سفراء ولا وزراء ، لان هؤلاء لا يكون لهم عمل الا بث الدسائس وتحريك الفتن ضد بريطانيا • ولهذا لا نرى فائدة لمصر أن يكون لها ممثلون فى الخارج اللهم الا فى انجلترا ومصر لم يكن لها فى الماضى ممثلون ، ولم تحاول أن يكون لها ممثلون ، بل لم تظهر لها أية رغبة فى ذلك لانها لم تشعر بالحاجة اليه فلا معنى لان يكونوا الآن لها •

سعد : ان المعاهدة أو المحالفة انما تتاسس على استقلال مصر، اذ لا معنى لان يتحالف متبوع مع تابع • وللاستقلال مظهران ، مظهر داخلى يتجلى فى وجود حياة برلمانية حرة ووزارة مسئولة امام البرلمان • ومظهر خارجى يتجلى فى وجود ممثلين سياسيين للدولة فى الخارج ويكون للدول ممثلون سياسيون عندها ، فاذا انعدم التمثيل السياسى لم تكن الدولة مستقلة بل كانت تابعة •

ملنر : ان تركيا اعترفت بحمايتنا ، وتنازلت عن جميع حقوقها فى مصر لنا •

لطفى السيد : ان اعتراف تركيا بالحماية لا يؤثر شيئا مع عدم رضاء مصر بها ، وحقوق تركيا ليست قابلة للانتقال الى دولة أخرى ، بل اذا انتقلت عنها فلا تصل الى غير مصر •

ملنر : اناً لاأستطيع أن اقبل مناقشة فى هذا الموضوع ولاأعترف بهذه النظرية ٠

عدلى : ليس من المفهوم أن تحرم مصر من التمثيل الخارجى ثم تكون مستقلة ، وهى تبحث عنه من زمان طويل ٠ فقد كان الخديو اسماعيل باشا يشتغل له بجد وسعى فيه شريف باشا بعد الاحتلال، فاذا كانت مصر قد سكتت عنه زمانا طويلا فلم يكن ذلك عن زهد فيه أو رغبة عنه وانما كان لانها غير قادرة عليه ٠ والآن يهمها أن تحيا حياة كريمة ، حياة الامم الاخرى وان تقف على أحوالها بواسطة وكلائها لكى تتمكن بما يقدمونه لها من المعلومات من عقد المعاهدات التجارية والاقتصادية وغيرها بحسب ما تراه موافقا لصالحها ومادمتم سلمتم بأن لها لهاعقد مثل هذه المعاهدات٠ فمن الضرورى تمكينها من الوسائل التى تساعدها على أن تستعمل هذا الحق استعمالا مفيدا ٠ وفضلا عن هذا فان فى تمثيلها فىالخارج شرفا تريد أن يكون لها ٠ وترى نفسها منحطة عن درجتها اذا هى حرمت من هذا الشرف ٠ ولا يمكن لمصر كما لا يمكن لى شخصيا قبول ذلك اذ لا يتأتى الاقناع بنيل الاستقلال مع وجود هذا الحرمان ٠

سعد : أريد أن أضيف كلمة موجزة على ما قاله عدلى باشا ، وهى انه لا محل فى الخوف مطلقا من الدسائس الاجنبية ومادامت بريطانيا قد اعترفت لمصر باستقلالها واتفقت معها اتفاقا ترضاه اذ يجد المصريون حينذاك أن من مصلحتهم مصافاتها ومصادقتها ٠

ملنر : هذه مسالة صعبة تهدد الاتفاقية ويجب أن اتأمل فيها ، واستشير فيها أعضاء اللجنة وآخرين ولهذا يلزم تأجيل النظر فيها الى أمد بعيد ، يحسن أن يكون يوم الثلاثاء القادم فى الساعة الرابعة بعد الظهر ٠ فتم الاتفاق على ذلك ٠

وقبيل الانصراف ، التفت ملنر الى سعد وقال له : « هل عندكم أخبار من مصر ؟

سعد : لاشىء الا الشكوى المتزايدة من ضغط المراقبه وتضييقها الخناق على مراسلات الناس وما تنشره الجرائد ، حتى صرت أسائل نفسى عما اذا كان من الحكمه أن اتفاوض هنا معكم فى جو من المسالمة والمجاملة ، وبلادى تتعذب وفى كرب شديد من هذه


احمد لطفى السيد

المراقبــــة · فلا انا قادر على ابلاغهم ما أريد ولا هم قادرون على ابلاغي أفكارهم ومشاعرهم سوى الشـــكوى المتكررة من الرقابة ·

وهنـــا سكت ملنر وأغمض عينيه ، وهذه هى عادته عنـد الغضب ، فقد عرف عنه أنه لا يثورولايظهر غضبه الاباغماض عينيه قليلا وهو هادىء الظاهر ساكن ساكت ، ثم يفتح عينيــه ويبتسم ويقول : سأنظر فيهذه المسألة ·

وهذا بالضبط ما حصل

لم تعقد جلسة المفاوضــــة الثالثة في موعدها الذى تحدد «بيوم الثلاثاء» ، وتأجل الموعد مرة بعد مرة بحجة اشـتغال ملنر بمسائل هامة ·

التمثيل السياسى مرة ثانية

وأخيرا عقدت الجلسة فى ٢١ يونيه بوزارة المستعمرات ·

ملنر : قد استشرت زملائى فى اللجنــــة فى مسألة التمثيـــل السياسى واتفقوا على عدم قبوله بنوعيه : الخارجى والداخلى : أما الداخلى فلأن ممثلى الدول الاجنبيــة فى مصر لا يكونون الا وسائل لبث الدسائس واثارة الفتن فى مصر · وأما فى الخــارج فلأن ممثلى مصر لا يكونون الا وسطاء فى التدبيرات السيئة ضد بريطانيا · ولهذا اتفقت كلمة أعضاء اللجنة على الا يشيروا على الحكومة البريطانية بقبول التمثيل بنوعيــه اللهم أن يكون لمصر مندوب سام فى بريطانيا ·

(ألقى ملنر هذه العبارات باللغة الانجليزية قائلا انه يود الكلام

بلغته فى هذه المسألة الدقيقة الخطيرة ، وحتى يستطيع التعبير عن كل ما فى نفسه) ·

سعد : ليس من المفهوم أن تكون مصر مستقلة من غير أن يكون لها فى الخارج ممثلون ولا أن يكون للدول الاجنبيـة لديها أيضا ممثلون · ولا يمكن التوفيق بين الاستقلال الذى هو أساس المحالفة، وعدم التمثيل الذى اتفقتم عليه فى لجنتكم فهل تعرفون دولة مستقلة حالها كحال مصر ، مستقلة ومحرومة من التمثيل ؟ أم تريدون أن تكون المحالفه بين تابع ومتبوع ؟

ملنر : سفراء بريطانيا فى الخارج يمكنهم أن ينوبوا عن مصر فى شئونها . وحينذاك تكون مصر ممثلة فى الخارج ، وحاجتها من التمثيل مكتفية فضلا عما ستوفره مصر من المصاريف الطائلة التى تثقل كاهلها فى هذا السبيل لو كان لها ممثلون من أبنائها ·

سعد : ان الاستقلال يجب أن ينتج نتائجـه الطبيعية التى من أخصها وأبرزها التمثيل بنوعيه ، وعدمه انما هو مظهر من مظاهر الحماية التى لا تقبلها مصر بحال من الاحوال مهما أعطى لها من الاسماء والالوان والاشكال ·

محمد محمود : ان الشعب المصرى يدوسنا بالاقدام اذا رضينا لمصر بعدم التمثيل . ولا محل للمخاوف التى تساوركم من جانب نواب الدول عندنا · ولو فرضنا جدلا انهم يميلون الى الدسائس فان عملهم لن يروج عندنا لاننا نكون أحرص الناس على الاعراض عنها . بل وقمعها واحباطها ·

سعد : ان بريطانيا عنـدما تعترف باستقلال مصر سـيعتبرها المصريون صديقة لهم وعونا على رقيهم ، فلا يصـغون الى كلام ضدها ولا يسلكون سبيلا يضرها ·

ملنر : اننا لا نخشى منكم أنتم . وانما نخشى ممن يخلفكم ولا ينظر الى الامور نظرتكم . ويجب عند الاتفاق الاحتراس والاحتياط التام وافتراض من تلزم الخشية منه وتفادى كل ما يمكن أن يأتى به ·

سعد : ان الاخذ بهذا المبدا أولى بنا منكم ، لاننا ضعاف وأنتم الاقوياء · والضعيف هو الذى يلزمه الاحتراس من القوى · وأما القوى فحارسه القوة · ولكم القوة فى كل مكان فى البر والبحر والهواء ، وبجوارنا فلسطين التى تحتلونها وتقيمون فيهـا ، فما الذى تخشونه بعد ذلك ·

ملنر : اننا لا نخشى على مصالحنا وانما نشفق عليكم أنتم ٠

سعد : نشكركم علي هذا الاشفاق الكريم الرحيم ٠ ولكنا أشفق على أنفسنا منكم٠ ويؤلمنا أن نعارض رغبات أمتنا باسم مصلحتها٠ وتصادر أمانيها بحجة الاشفاق عليها ، ووجه الالم أن مصر تشعر من هذا بانها غير مقدرة نضوجها ٠ وانها معتبرة غير أهل لمعرفة مصلحتها وما ينفعها وما يضرها ، وهو حكم قاس يحق لها أن تتالم منه وتشكوه ٠ ان لكم أن تدافعوا عن مصالح بريطانيا وتتكلموا باسم هذه المصالح ، ولكن الدفاع عن مصر ومصالحها ينبغى أن يترك لمصر وممثليها لانهم أعرف بهذه المصالح ٠ وماسلب المصريون عقولهم حتى يتركوا ما ينفعهم الى ما يضرهم ، ويسعوا خلف من لم ينفعهم من الدول ضد من انتفعوا بمعونتها ، واستفادوا من صداقتها ٠ انهم وان كانوا ضعفاء ماديا فلهم عقول تدرك منافعهم ومضارهم ٠

ملنر : هذا واضح وصحيح ٠ ولكن ما هو العمل الذى سيباشره ممثلو مصر فى الخارج ؟

لطفى السيد : ان عملهم يكون الوقوف على حركات العالم وتطوراته وتقدمه وأحوال التجارة والصناعة فيه ، ولوازم المصريين النازلين فى الجهات المختلفة وما يقع من الحوادث مما يكون له ارتباط بشئون مصر ، وما الى ذلك من أعمال ممثلى كل دولة لدى الدول الاخرى ٠

عدلى : سيكون للدول بطبيعة الحال قناصل فى كل جهة من الجهات المهمة فى مصر ٠ وقناصل كل دولة يرجعون بطبيعة الحال الى رئيس لهم ، فماذا تكون صفة هذا الرئيس ؟

ملنر : ان قناصل الدولة يرجعون الى قنصل جنرال أى قنصل عام ٠ وفى الشئون التى يجب الرجوع فيها الى السلطة المحلية يرفعون الامر الى وزير الخارجية المصرية ٠

عدلى : اذن لماذا لا يكون رئيس القناصل وزيرا ؟ انى أرى كونه غير وزير أمرا نظريا لا عمليا والدسائس المخوف منها ، يمكن ان يباشرها أى موظف أجنبى فى هذه القنصليات مهما انحطت مرتبته وصغر شانه ٠

لطفى السيد : ان نواب الدول فى مصر وزراء الى الآن ، فاذا نزلوا عن هذه الدرجة كان ذلك تنقيصا لمقامهم عما هو عليه حتى بعد الحماية مع أن المنتظر أن يكون أكبر ٠

ملنر : انى رجل عملى · ولهذا أرى أن نواب الدول اذا كانوا سياسيين فانهم يميلون الى الاشتغال بالسياسة ، واذا لم يجدوا عملا سياسيا خلقوه · وبناء عليه أرى أن وجود نواب لمصر فى الخارج اقل صعوبة من أن يكون للدول ممثلون لها فى مصر · ولا يستطيع انسان أن ينكر أن من الحكمة السعى فى تقليل فرص تلك الدسائس ، ومما يساعد على الوصول الى هذه الغاية مسألة الامتيازات الاجنبية ، وحصر المحافظة عليها فى يد واحدة هى بريطانيا الحليفة لمصر · فان هذا الحصر يقلل علاقة الاجانب بحكومة مصر ، ومن الممكن أن تعطى مصر حق فرض الضرائب على الاجانب والتشريع لهم ، ويكون حالهم كحال الوطنيين تماما بشرط أن يكون لمعتمد بريطانيا الحق فى وقف تنفيذ القوانين التى لاتكون عادلة بالنسبة للاجانب مع بيان أسباب هذا الوقف ، وأن يكون لبريطانيا الحق كذلك فى التصديق على الانظمة القضائية الخاصة بالاجانب ·

سعد : اننا نعترف بأن الامتيازات الاجنبية مضرة بمصر ، ونريد الغاءها ونشكركم اذا ساعدتمونا على الخلاص منها حتى يصبح التشريع والقضاء للمصريين والاجانب على السواء ، ولكن ما تقترحونه الآن ليس الغاء للامتيازات الاجنبية وانما هو محافظة عليها وتركيزها فى يد انجلترا وحدها ، وهذا لا ينفعنا فى شىء ·

ملنر : ليس من وظيفة القاضى النظر فيما اذا كان القانون عادلا او غير عادل ، ولكن له حق تفسيره فقط ·

سعد : هذا صحيح ، ولكن له الحق أيضا فيما اذا كانت شروط تطبيقه على موضوع مستوفاة أولا ، على أن وضع هذا الحق فى يد المعتمد البريطانى السياسى يجعله خاضعا للسياسة وبواعثها ثم انه متى يستعمل هذا الحق ؟ اقبل صدور القانون أم بعده ؟·

ملنر : انه يستطيع أن يعرفها ·

سعد : يعرفها كما يعرفها سائر القناصل ·

ملنر : لا · ان المعتمد البريطانى ليس كغيره من المعتمدين السياسيين بل يلزم أن يكون ممتازا عنهم · ثم سأل : هل يكون لمصر ممثل فى جهة لا يكون لها مصلحة فيها ؟·

سعد : طبعا لا ··

ملنر : هل فى هذه الحالة يمكنها أن تنيب عنها السفير البريطانى؟·

سعد : لا مانع · ولكن نحن الآن فى حدود التمثيل السياسى لمصر لا بصدد الامتيازات الاجنبية ·

ملنر : مازلت أقول ان مسألة التمثيل السياسى فى غاية الصعوبة، والاحسن الآن تركها ·

سعد : ولكن نحن جميعا أكدنا لكم مرارا انها مسألة اساسية، واذا كنتم قابلين لها مبدئيا على شروط خاصة ، فلا باس من بحث هذه الشروط والا كان التأجيل لها عبثا لا طائل تحته ·

ملنر : يلزمنى أن أرجع فيها مرة أخرى وأعيد الاستشارة ·

سعد : لقد طال علينا الامد ، وقد مضت مدة طويلة للمراجعة والاستشارة ، ومازلنا حيث كنا ·

ملنر : (فى شيء من الانفعال) اننا راجعنا واستشرنا ولكن من راجعناهم واستشرناهم رفضوا قبول التمثيل ، ونريد الآن نظرا لتمسككم به كل هذا التمسك نريد أن نعيد الكرة فى المراجعة والاستشارة عسى أن يوافقوا . وهذا يحتاج الى مدة من ثلاثة أيام الى أربعة ·

فوافق سعد ·

وقبل انتهاء الجلسة قال ملنر وماذا ترون فى عنوان نائب الملك فى مصر ؟

سعد : اننا لانريد أن يكون له العنوان الحالى (مندوب سامى) أو لقب مقيم لان كلا منهما يشعر بالحماية · ونحن نريد أن تذهب الحماية الى غير رجعة وبكل اثر لها ·

ملنر : نتناقش فى هذا الموضوع فى جلسة قادمة ·

ورفعت الجلسة ولم يحدد للجلسة القادمة ميعاد، وستكون جلسة خطيرة جدا يبت فيها فى مصير مسألة التمثيل السياسى الخارجى والداخلى ، بل يبت فيها فى مصير المفاوضات كلها هل تستمر أو تقطع ·

التمثيل السياسى ـ مرة ثالثة

هل يقبل ملنر ولجنتــه حق مصر فى التمثيل السياسى فتستمر المفاوضات ؟ أو هل يرفض ملنر ولجنته هــذا الحق لمصر فتنقطع

للمفاوضات معه ويعود الوفد الى باريس ؟ أو هل يرجىء البت فيه. يطلب الانتقال بالمناقشة الى موضوع آخر ؟ وماهو العذر الذى يبديه فى حالة طلب التأجيل ويقنع الوفد بجــدوى الاستمرار فى المفاوضات ؟ هذه هى الاسئلة التى كانت فى كل فكر وظهرت على كل لسان ٠

ملنر فى الجلسة الماضية حدد ثلاثة ايام او اربعة لاتمام استئناف مشاوراته فى هذا الموضوع مع اعضاء لجنته ومع زملائه الوزراء ٠

وانقضت الايام الاربعة وانتصف اليوم الخامس وسعد وعدلى واعضاء الوفد جميعا مجتمعون وينتظرون ٠ مكامــلة بالتليفون او رسالة مكتوبة ، لا هذه ولا تلك ، هل هناك ازمة ، او مجرد مظاهر ازمة ؟٠

الرئيس سعد غاضب ثائر هائج حانق يريد العودة الى باريس فورا محافظة على الكرامة ٠

وعدلى واعضاء الاكثرية المعروفة يهدئون ويصابرون ويؤملون وينتظرون ٠

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر هذا اليوم الخـامس حضر الى مكتبى مستر ولرند ــ الانجليزى الاعــرج صديق ملنر وصـديق عدلى وصديق معظم اعضاء الوفد وقال لى انه يحمــل رسالة شفوية من لورد ملنر الى الرئيس سعد باشا : فسألته جادا « قبول أو رفض ؟ » فضحك وقال مازحــا : « لا اقول لك لانك لم تدعنى للغداء معك حتى الآن » ٠

ومستر ولرند هذا ــ انجليزى أعرج خفيف الدم حلو « الثأثأة » ويستغلها احسن استغلال ، تزيد معه عنــد الحاجة الى التفكير اثناء الكلام وتخف حتى لا تراها ولا تسمعها عندما تكون الفكرة واضحة امامه فيعبر عنها فى وضوح ويسر ومن غير « تأتأة » ولا فأفأة ، واعرف أن ســعدا يحبه ويستلطفه ويمزح معــه كثيرا بالفرنسية التى يعرفها جيدا ٠

دخلت على الرئيس وصحبه فى حجرة الاجتماع وابلغتهم بمقدم « ولرند » فشاع فى الجو هدوء غــريب بعد أن كانت المناقشات محتدمة ومحتدة ، والوجوه عابسة مقطبة ، فانبسطت الاســارير

وصدر الاذن فورا بدخول الزائر المرتقب بفارغ الصبر · وصحبته الى داخل حجرة الاجتماع ، ولم ينس أن يسلم باليد عليهم جميعا واحدا واحدا على الطريقة المصرية بادئا بسعد ثم عدلى ثم باقى الاعضاء سائلا عن الصحة والعافية كأنهما عنده من أعز الامانى ثم قال : « ان لورد ملنر أرسله ليعتذر عن التأخير حتى الآن ويرجو عقد اجتماع مع المفاوضين المصريين فى الساعة الخامسة من مساء اليوم فى وزارة المستعمرات . فاذا لم يكن الموعد ملائما لقرب تحديده فيمكن أن يكون الاجتماع غدا فى الساعة العاشرة صباحا » ·

فكان الاجماع أن يكون الاجتماع فى الساعة الخامسة بعد الظهر ·

ثم أخذ عدلى يمــزح معه بكلمات خفيفـــة ، وقبيل انصراف المجتمعين سلم باليد مرة ثانية وهمس بكلام فى اذن الرئيس سعد : فضحك الرئيس وسلم عليه وانصرف ، وبعد انصرافه سأل الاعضاء رئيسهم : « خير ان شاء الله » ·

فقال الرئيس ان هذا الاعرج خفيف لطيف اذ قال · « لا تعكر صفوك : كل شيء سيتحسن فى النهاية » · فتفاءل الحاضرون بذلك واستبشروا خيرا ·

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر كان الرئيس سعد وصاحباه : محمد محمود ولطفى السيد فى وزارة المستعمرات مع ملنر وقد سبقهم اليه عدلى · وانتظم الاجتماع ·

قال ملنر : (مبتسما) ان مصر حــرة فى التمثيل الخــارجى والداخلى ، ولكن لا أرى حاجة الى النص على ذلك فى المعاهدة ، لأن التمثيل السياسى نتيجة طبيعية للاســتقلال ، فانفرجت الازمة وانبسطت الاسارير وساد الابتسام والسلام ·

وفى هذا الجو الهادىء الباسم رفعت الجلسة لتعقــد فى اليوم التالى صباحا فى الساعة العاشرة بعد أن اتفقوا على الموضوعات التى سيتناولها البحث والمناقشة ·

الفصل الثاني

خبر فاجع.. وبدء العاصفة

اول يوليو ١٩٢٠ :

وردت برقية طويلة جدا من مصطفى النحاس ظهر اليوم تحمل انباء القبض على عبد الرحمن فهمى بك السكرتير العام للجنة المركزية للوفد . والشخصية القوية الممتازة المنظمة للحركة الوطنية فى مصر ، والذى لا يمكن ان يملأ مكانه بعد اعتقاله فرد ولاجماعة ، ذلك لانه كما اعرفه شعلة ذكاء وشخصية قوية حازمة بارعة فى التنظيم وصوته القوى الجهورى يكشف عن نفس تعودت ان تملى ارادتها وتدرك ما تريد . فوقع خبر القبض كالصاعقة على الرئيس سعد ، وعلى جميع اعضاء الوفد . وصدمنى صدمة مدوخة وانتشر فى جو حجرة الاجتماعات هنا غضب وغيظ وسخط وسوء ظن بالانجليز .

وبعد قليل وردت برقية اخرى تحمل اسماء سبعة وعشرين مصريا آخرين من زعماء الطلبة وهم : ابراهيم عبد الهادى طالب حقوق . ومحمد عبد الرحمن الجديلى خريج مدرسة القضاء الشرعى . عبد الحليم عابدين طالب حقوق . على هنداوى طالب بالازهر . حسنى الشنتناوى طالب ثانوى . توفيق صليب طالب بمدرسة الاقباط . محمد حلمى الجيار طالب طب وكامل احمد ثابت وكامل جرجس عبد الشهيد الطالبين بالحقوق . ومحمود عبد السلام مدرس . كامل احمد ثابت خريج الحقوق . ومحمد ابراهيم سليمان



مصطفى النحاس — عبد الرحمن فهمى

طالب بمعهد الاسكندرية ، وياقوت عبد النبى وعبد العزيز حسن هندى طالبين فى الثانوى : وقرياقص ميخائيل صحفى ومحمد حسن البشبيشى المحامى ومحمد المصيلحى طالب بالجامع الاحمدى وعازر غبريال · وناشد غبريال وأنيس سليمان عامل بالسكك الحديدية ، وصالح شلبى ومحمد الميرغنى النجار وحافظ محمود ومنير جرجس عبد الشهيد طالب بمدرسة الاقباط ومحمد سامى سكرتير الامير محمد داود ومحمد لطفى السلمى ·

التهمة خلع السلطان والتحريض على القتل

وبهذا يكون عدد المقبوض عليهم ثمانية وعشرين · والتهمة الموجهة اليهم وهى محاولة خلع السلطان وقلب الحكومة والتحريض على القتل والعصيان · والاتهام قائم على شهادة شخص واحد

يدعى عبد الظاهر السمالوطى قيل انه كان ضمن أعضاء الجمعية وخانهم وأفشى سرهم وأبلغ السلطات عنهم · والواقع انه جاسوس مأجور ·

هذه هي ترجمة البرقيتين الواردتين من مصر فى هـــذا اليوم الاسود ·

أشد الناس غضبا وسخطا وحزنا وغيظا وانفعالا نفسيا عنيفا هو الرئيس سعد زغلول ، والاعضاء هنـــا يحاولون تهدئته وهو لا يهدأ بل يزيد انفعالا · ويقول « لابد من قطع المفـاوضات فورا احتجاجا » · ولكن اخوانه ينصـــحونه بالتريث والانتظار حتى تنجلى السحابة ويعرف الوفد مزيدا من المعلومات من مصر ومن ملنر نفسه ·

ولكن هذه الاعتقالات ما معناها وما مغزاها ومامرماها ؟

معناها فى نظرى : ان الانجليز يريدون أن يذكرونا ونحن فى لندن انهم مسيطرون على مصر سيطرة تامة ، يفعلون بها وبأبنائها ما يشاءون ويشـــاء لهم هوى الاستعمار ، وألا ننسى أن الوطن المصرى يئن تحت تاثير الاحكام العرفية البريطانية ، وأن المحاكمات العسكرية البريطانيـة مستمرة تتناول اكبر كبير مصرى وأصـــغر صغير ، وأن القطر المصرى كله قد قسموه الى مناطق ، ولكل منطقة محكمة عسكرية انجليزية خاصة وبجانبها جهـــاز من الضـــباط الانجليز الذين يلفقون التهم ويصـــطنعون الادلة للفتك بكل مصرى وطنى يظهر نشاطا فى الحركة الثورية المصرية أو يتوسمون فيــه القدرة على أحداث متاعب لهم فى المستقبل ·

ومغزاها : ان الانجليز يريدون أن يفهموا المصريين عامة والوفد خاصة انهم لا يكترثون بهم ولا يعبأون بغضبهم أو رضاهم · وانهم لا يقيمون وزنا لمفاوضة الوفد أو عدم مفاوضته ولا لموافقته أورفضه لما يعرضونه عليه ، أو على الاقل هذا ما يريدون التظاهر به فى عدم المبالاة وعدم الاكتراث ، وأن المصريين وزعماءهم أهون عليهم مما يتصورون ·

ومرماها : هو التاثير فى سير المفاوضات فى لندن أو لعلى اكون اكثر دقة اذا قلت ان للانجليز أهدافا ثلاثة كما يلوح لى الآن :

١ ـ حمل الرئيس سعد على التساهل وعدم التشدد فى معارضة اقتراحات ملنر بحجة أن ما تعرضه لجنة ملنر على أى حال خير من هذا العذاب الشامل الذى تصبه الاحكام العرفيـــة البريطانية ومحاكمها العسكرية على المصريين وعلى كل مشـــتغل بالحركة الوطنية · فهذه المحاكمات والاتهامات على هذه الصورة انما هى وسيلة من وسائل الضغط والاكراه التى يلجأ اليها الانجليز للتاثير فى سير المفاوضات فى لندن ·

٢ ـ ارهاب العناصر الثورية فى مصر بالقبض على زعماء الطلبة والعمال واعتقال كل من يرى الانجليز فيه نشاطا أو غيرة أواستعدادا لاستئناف الثورة اذا فشلت المفاوضات ، والانجليز يريدون الفتك بالمصريين الذين قد يسببون لهم المتـــاعب فى المستقبل والقضاء عليهم عن طريق المحاكمات العســـكرية التى فى ظاهرها عـــدالة القضاء وفى باطنها غدر الاستعمار ·

٣ ـ التاثير فى نفسية الشعب المصرى وروحه المعنوية وحمله على عدم التمسك بالغاء الحماية وبالمطالبة بالاستقلال ، وحمـــله كذلك على قبول ما قد يعرضه ملنر على الوفد · فان ذلك على كل حال خير من جبروت السلطات البريطانية العسكرية وطغيان مظالم محاكمها العسكرية ، هذا ما اراه واشعر به الآن والرواية لم تتم فصولا ، ولكن الانجليز واهمون ·

عودة الى الامتيازات الاجنبية

٢ يوليو ١٩٢٠ :

ذهب الرئيس وعدلى صباح اليوم لمقابلة ملنر · وكان الرئيس متجهما يحاول كتم غضبه وضبط عواطفه ما استطاع ثم قال الرئيس لملنر : ما هذا الذى ترتكبونه فى مصر من اعتقال السكرتير العــام للوفد وعدد كثير من خيرة المصريين · ماذا لديك من معلومات ؟

فقال ملنر : انه يجهل كل شىء وانه اسرع بارســـال برقية الى اللنبى يطلب منه التفصيلات الكافية وسيبلغهـــا الى الرئيس فور وصولها ·



عبد العزيز فهمي   علي ماهر

ثم قال ملنر : الامتيازات الاجنبية وحقوق الاجانب ، فقد سبق أن تكلمنا فى هذاالموضوع كلاما سطحيا، ونريد أن نتعمق فيه لنصل الى نتيجة مرضـــية ولذلك اقترح تاليف لجنة فنيـة مشتركة من رجال القانون من الجانبين المصرى والانجليزى ، تضع لنا مذكرة وافية تحتوى على اقتراحات محددة ، وهـــذه الاقتراحات تكون موضوع المناقشة والتعديل او الاقرار •

فوافق الرئيس على هذا الاقتراح، وتالفت هذه اللجنة التشريعية على الوجه الآتى :

يمثل الجانب المصرى : عبد العزيز فهمى وعلى ماهر ومحمـد على علوبه •

ويمثل الجانب البريطانى : هرست ، ويعاونه اثنـان من رجال القانون فى الحكومة البريطانية •

مذكرة بريطانية فى مسالة الامتيازات الاجنبية

٥ يوليو ١٩٢٠ :

فى اقل من ثلاثة أيام قدم هرست مذكرة ضـــافية الى أعضاء اللجنة من الجانب المصرى ، وهى تتضمن ما يأتى :

بما أن الحكومة المصرية تجد نفسها على الدوام مكتوفة اليدين لا تستطيع سن قوانين تسرى على الاجانب بغير مصادقة حكومات بلادهم ٠

وبما أن بريطانيا الحليفة تريد تخفيف هذه الاعبـاء عن كاهل الحكومة المصرية ، وتنقيص القيود التى تقيد بها السلطة التشريعية

للحكومة المصرية الى أن يحين الوقت الذى تلغى فيه الامتيـازات الاجنبية الغاء تاما ٠

فان الحكومة البريطانيـة مستعدة أن تقنع الدول صـــاحبات الامتيازات بأن تحل محلها وتنوب عنها بتوكيل منهـــا فى معالجة هذه الامتيازات الاجنبية بشرط أن توافق مصر على هذا الاجراء ، أو بعبارات أخرى يكون هذا الحق (الذى سـبق أن منحته مصر لهذه الدول المتمتعة بالامتيازات الاجنبية ضمانا لمصالحها فى مصر) محصورا فى يد دولة واحدة هى بريطانيا العظمى ٠

وبناء على هذا تقدم الجانب البريطانى باقتراحات عشرة ينص عليها فى المعاهدة وهى :

أولا : أن تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية مستشارا ماليا بريطانيا يعهد اليه بالاختصاصات التى لاعضاء صندوق الدين الآن ، ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته فى جميع المسائل الاخرى التى ترغب فى استشارته فيها ٠

ثانيا : أن تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفـا بريطانيا فى وزارة الحقانية ويتمتع بحق الاتصال بالوزير مباشرة ، وتجب احاطته علما بجميع المسائل المتعلقة بالقضاء فيما له مساس بالاجانب ٠ ويكون أيضا تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته فى أى أمر مرتبط بتأييد القانون والنظام العام ٠

ثالثا : نظرا لما فى النية من نقل الحقـوق التى تستعملها الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية ، تعترف مصر بحق بريطانيـــا العظمى فى التدخـل بواسطة ممثلها السياسى فى مصر لتمنع ان يطبق على الاجانب اى قانون مصرى يستدعى الآن موافقـــة الدول الاجنبيـــة ، وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها بالا تستعمل هذا الحق الا حيث يكون مفعول القانون مجحفا بالاجانب لاسيما فى مسائل فرض الضرائب أو فى القوانين التى لا تتفق مع مبادىء التشريع المشتركة بين جميع الدول ذوات الامتيازات ٠

رابعا : تبذل بريطانيا جهودها لدى الدول المختلفة ذات الامتيازات لادخال تعديلات على نظام هذه الامتيازات مثـــل ابطال المحاكم القنصلية الاجنبية وتعديل نظام المحـــاكم المختلطة واختصاصها ، حتى يتيسر سريان التشريع الذى تضعه الحكـــومة المصرية ومنه التشريع الذى يفرض الضرائب على جميع الاجانب فى مصر ٠

خامسا : لا يسوغ العمل على التمييز المجحف برعاية اية دولة وافقت على ابطال محاكمها القنصلية ، ويســـتمر هؤلاء الرعايا يتمتعون فى مصر بنفس المعاملة التى يتمتع بها الرعايا البريطانيون ٠

سادسا : فى المسائل التى ينالها مساس من جراء ابطال المحاكم القنصلية تعمل مصر بالمعاهدات النافذة المفعول بين بريطانيا والدول الاجنبية صاحبة الشأن مثل معاهدات تسليم المجـــرمين وتسليم البحارة الفارين ، وكذلك المعاهدات التى لها صبغة سياسية سواء اكانت معقودة بين أطراف عدة أم بين طرفين كاتفـاقات التحكيم والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب ، وذلك كله ريثما تعقد اتفاقات خاصة تكون مصر طرفا فيها ٠

سابعا : تخول مصر موظفى قنصليات الدول الاجنبية نفس النظام الذى يتمتع به القناصل الاجانب فى بريطانيا ٠

ثامنا : تتعهد مصر بضمان حرية ابقاء المـــدارس الاجنبيـــة ، وتعليم لغة الدولة الاجنبية صاحبة الشأن على شرط ان تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه للقوانين السارية بوجه عام فى المدارس المصرية ، وكذلك حـــرية ابقاء أو انشاء معـــاهد دينية وخيرية كالمستشفيات الخ ٠

تاسعا : يقتضي تعديل نظام المحاكم المختلطة أن يضاف اليها كل الاختصاصات التي كانت تخـولها الى الآن للمحاكم القنصلية الاجنبية ، ويترك اختصاص المحاكم الاهلية بغير مساس ·

عاشرا : تتعهد بريطانيا بالعمل على الغاء صندوق الدين الدولي وعلى ابعاد العنصر الدولي عن مجلس الصحة في الاسكندرية ·

*** رد مصري

تلقى أعضاء الوفد الثلاثة بعض هـذه المقترحات البريطانية بالإعتراض لاسيما على المقترحات الثلاثة الاولى · ووضعوا من ناحيتهم مذكرة ردوا عليها ، وقد جاء فيهـا : « ان المبادىء التي اشتملت عليها مذكرة الجانب البريطاني تناقض كل المناقضـة للاستقلال الذي تسعى اليه مصر · وان نظام الامتيازات عبء ثقيل تريد مصر حطه عن كاهلها دفعة واحدة حتى يكون مصريا كل من الشارع والقاضي لجميع السكان على اختلاف جنسـياتهم ، على أن مصر (رعاية منها لرغبة بريطانيا في تخفيف أعباء ومضـار ومتاعب الامتيازات الاجنبية الى حين الغائها الغاء تاما وحقيقيا) تقبل أن تنوب بريطانيا عن هذه الدول في استعمال حقوقهما لمدة معينة وبشروط خاصة ، وكذلك ترى أن يكون الغاء المحاكم القنصلية وتحويلها الى المحاكم المختلطة باتفاق خاص نظرا لاحتيـاجه الى دراسة فنية ·

في ٧ يوليو ١٩٢٠ :

اجتمعت هيئة المفاوضات : الجانب المصري برياسة سعد وانضم اليه عبد العزيز فهمي ، والجانب البريطاني بريـاسـة ملنر ومعه سبندر وهرست صاحب المقترحات العشرة ·

ملنر : بعـد ما شكر اللجنة التشريعية المختلطة على مقترحاتها الفنية الدقيقة وملاحظاتها المفيدة قال :

«لاشك أن مصر ستستريح الى حد كبير من متاعب هذه الامتيازات الاجنبية · وستجد في حليفتها بريطانيا خير معوان على انجـاز التشريعات التي ظلت معطلة زمانا طويلا بسبب هذه الامتيازات ، ولن تقف بريطانيا في سبيل أي خير ترجوه مصر ، ولا ضرر هناك

فى أن كل تشريع بعد اليـوم لا يعرض الا على ممثل بريطانيـا السياسى فى مصر وهو ممثل الحليفة ثم يصدر من الحكومة المصرية ويسرى على المصريين والاجانب على السواء ما لم يعترض عليه، واذا لم تقبل مصر هذا الاعتراض جـاز لها أن ترفع الامر الى عصبة الامم .

سعد : ان هذا الاقتراح يهش لنا ، ولكننا نقبله على الطريقة الآتية :

« ان كل تشريع مصرى يسرى على المصريين والاجـانب ما لم تعترض عليه بريطانيا بسبب عدم وجود نظير له فى أى قانون من قوانين الدول ذوات الامتيازات ولمصر الحق ان لم تقبل هذا الاعتراض أن تعرض الفصل فيه على عصبة الامم » .

ملنر : ولكن يلزم أن يترتب على هذا الاعتراض وقف تنفيـذ القانون المعترض عليه فلا يسرى على المصريين والاجانب معا حتى يفصل فى الامر .

سعد : لا يمكن قبول هـذا التعميم لان التشريع للوطنيين يجب أن يكون مستقلا عن كل مداخله .

ملنر : ولكن مادام الاعتراض موجها الى القانون فلا معنى لان يسرى مفعوله على قوم دون آخرين .

سعد : اننـا لا نريد أن يسرى التشريع من تلقاء نفسـه على الاجانب كما يسرى على الوطنيين ، بل يسرى على الاجانب بعملية أخرى ، وهو أن يصدر أمر عال خاص يقضى بسريانه عليهم ، فاذا كان هناك اعتراض وجب توجيهه على هذا الامر .

ملنر : انا أطلب مهلة لبحث هذا الموضوع والتروى فيه .

مذكرة بريطانية بشأن الموظفين البريطانيين

٢ يوليو :

بينما كانت اللجنة التشريعيةالمختلطة منشغلة بدراساتها واعداد اقتراحاتها بشأن الامتيازات الاجنبية ، وبينما كانت هيئة المفاوضات لم تجتمع بعد لمناقشة تلك الاقتراحات والبت فى تعديل أو فى مصير

الامتيازات الاجنبية ، أرسل ملنر الى سعد بمذكرة مسببة مفصلة عن مسألة الموظفين البريطانيين الذين في خدمة الحكومة المصرية لبحثها ودرسها توطئة لاعادة مناقشة هذا الموضوع في هيئة المفاوضات عند اجتماعها فيما بعد (ويظهر أن الانجليز هنا في لندن لا يريدون أن يتركوا الرئيس وأعضاء الوفد من غير عمل متصل الحلقات يشغلونهم به عن التفكير في مسألة القبض على عبد الرحمن فهمي واستمرار الاحتجاج عليه والشعور بالمرارة بسببه) ٠

أعطاني الرئيس هذه المذكرة لترجمتها الى العربية فأتممت ترجمتها في ثلاث ساعات كاملة بسبب طولها غير المعتاد ، وفيما يلي أهم ما اشتملت عليه من بيانات :

١ ـ المصريون يشغلون ٨٦٪ من الوظائف ذات المعاش ويقبضون ٧٠٪ من الماهيات ٠ والبريطانيون يشغلون ١٤٪ من الوظائف ذات المعاش ويقبضون ٣٠٪ من الماهيات ٠

٢ ـ نصيب المصريين في الوظائف الكبيرة لا يبلغ الربع ، ولكنه يصل الى الثلث في وزارتي الداخلية والحقانية فقط حيث يعين المديرون والقضاة ووكلاء النيابة من المصريين ٠

٣ ـ اما في وزارات المالية والمعارف والاشغال والزراعة والمواصلات فوظائفها الكبيرة يشغل المصريون منها ٣١ مقابل ١٦٩ يشغلها البريطانيون ، وماهيات كل منها اكثر من ٨٠٠ جنيه مصري في السنة ، والسبب في زيادة عدد الانجليز في هذه الوظائف الكبيرة وفي هذه الوزارات بالذات ، هو أن هذه الوظائف تقتضي معارف فنية خاصة ولا يوجد مصريون قادرون او صالحون للقيام بها في الوقت الحالي ، ولكن اذا كان المصريون يريدون حقا أن يصبحوا مسئولين في ادارة بلادهم الداخلية فالواجب اتخاذ تدابير أحسن من التدابير الحالية لتدريبهم واعدادهم لتقلد أمثال هذه الوظائف الكبيرة ٠

٤ ـ لاحظت اللجنة وهي في مصر أن العنصر المصري في الوظائف الصغيرة زاد عدده من ٤٥٪ سنة ١٩٠٥ الى ٥٠٪ سنة ١٩٢٠ ، ولكن نقص عدده في الوظائف الكبيرة من ٢٧٪ سنة ١٩٠٥ الى ٢٣٪ سنة ١٩٢٠ ، وزاد نصيب البريطانيين في بعض هذه الوظائف الكبيرة من ٤٢٪ الى ٦٠٪ من المجموع كله ٠

٥ ـ مراكز الموظفين البريطانيين الذين في خدمة الحكومة على أعظم جانب من الاهمية اذ يتوقف عليهم انتظام الحكومة وحسن ادارتها في مصر ، فنظام الداخلية الحالي برمته ، بنى الموظفون البريطانيون معظمه بجدهم واجتهادهم وعملهم وقدرتهم · وقضى كثيرون منهم زهرة العمر في مصر ، فاذا بعد العنصر البريطاني عن الحكومة المصرية حالا خيف من تقويض اركانها وخراب بنيانها ، بل ان مجرد التسرع في تخفيض عدده يخشى منه أن يؤثر في متانة البناء ويعطل حسن ادارة أعمال الحكومة كثيرا ·

٦ ـ ولكن لجنة ملنر تشعر مع ذلك بانه لا خوف الآن من أن تعود الحكومة المصرية بعد خروج الموظفين البريطانيين منها الى سوء الادارة التي انقذت مصر منها ، ذلك لان عدد المصريين الاكفاء علما وخلقا قد زاد ويمكنهم الاشتراك في أعمال حكومتهم على مبادىء المدنية الحديثة · ومنذ الاحتلال اعتاد المصريون جميعا على ان تكون أعمال حكومتهم واداراتها حسنة الانتظام عادلة صادقة فلا يصبرون عليها اذا عادت الى مساوىء العهد الماضي · ولكن مع هذا كله لا يخلو الامر من خطر على البناء الجديد أن يتداعى بنيانه اذا أبعد كل الذين بنوه ولا يزالون عماده ، فلا بد أن يجرى التغيير تدريجا ·

٧ ـ ومن الطبيعي والحالة هذه أن ننظر بعين القلق لاول وهلة الى الاقتراح المصري الذي فحواه أن تترك الحكومة المصرية وشأنها مطلقة الحرية في استبقاء من تشاء وفي اخراج من تشاء من الموظفين البريطانيين الموجودين الآن في خدمتها على أننا لا نرى من المعقول أن يقدم أى وزير مصري على اخراج جميع الموظفين البريطانيين من وزارته دفعة واحدة ، وحسبنا أن نتصور حال تلك الوزارة بعدما تفقد فجاة أعظم مستشاريها وموظفيها علما وخبرة وكفاءة ، واكثرهم تحملا للمسئولية ، انها لاشك تنهار انهيارا تاما وتستهدف نفور المصريين انفسهم من هذا الوزير نفورا شديدا فضلا عما يترتب على ذلك من سخط الاجانب عليه وخوفهم على مستقبلهم ، فان الجاليات الاجنبية الكبيرة الغنية التي يتوقف عليها كثير من يسر مصر ورفاهيتها ، لا محالة تقوم ضد هذا الوزير قومة واحدة لانها جميعا تعد وجود عدد من البريطانيين في الحكومة المصرية عنوانا لسلامتها وضمانا لرفاهيتها وضمانا لسلامتهم كذلك ·

٨ ـ ثم ان المعتمد البريطانى لا ينتظر منه ان يمكث على حالة كهذه وهو وان كان لا يملك حق الامر والنهى على الحكومة المصرية المستقلة ، فانه كممثل حليفة مصر واسمى الاجانب مقاما فى مصر بل حامى مصالح الاجانب فيها ، يكون لرايه شان عظيم ويهم كل وزير مصرى ان يكون على صفاء واتفاق تام معه ٠

٩ ـ هذا ولا يخفى أن الموظفين البريطانيين الذين يكونون فى خدمة مصر المستقلة سوف يتغير سلوكهم فلا يأمرون ولا ينهـون كما كانوا يفعلون وانما يبذلون كل ما وسعهم لمساعـــدة الوزراء والرؤساء المصريين حتى يزداد هؤلاء رغبة فى الاعتماد عليهم وعدم التفريط فيهم باخراجهم من الخدمة ٠

١٠ ـ لاحظت اللجنة مع الاسف أن عدد الموظفين البريطانيين قد زاد عن الحد الضرورى أحيانا وخصوصا فى السنوات الاخيرة ، وقد آن الاوان لان يطبق المبدأ القائل بانه لا يجوز تعيين بريطانى أو اجنبى فى وظيفة يمكن ان يعين فيها أحد المصريين الاكفاء ٠

١١ ـ هناك خطر من نوع آخر ، وهو ان الموظفين البريطانيين أنفسهم قد يتركون خدمة الحكومة المصرية من تلقاء انفسهم خوفا من أن يبقوا تحت رحمة حكومة مصرية مستقلة ، فاذا فعلوا ذلك وقعت كارثة للحكومة المصرية ٠

على اننا نرجو أن يبقى كثيرون منهم فى وظائفهم اذ ما من خدمة يخدمونها أشرف من العمـل على انشاء شركة حبيبـــة بين بريطانيا العظمى ومصر ومساعدة المصريين حتى ينجحوا فى انظمة الحكم الذاتى ٠

١٢ ـ يحسن وضع نظام متفـــق عليه لتدبير أمـــر الموظفين البريطانيين الذين تروم الحكومة المصرية أن تستغنى عن خدماتهم أو الذين يرومون هم أنفسهم أن يخرجوا من خدمتها عند تنفيـذ النظام الجديد ، فهؤلاء وهؤلاء يجب أن يعاملوا بانصاف وسخاء اذ لا شىء يكدر صفو العلاقات بين الانجليز والمصريين فى المستقبل أكثر من أن يخرج عدد من الموظفين وهم يتظلمون من الحيف الذى وقع عليهم ، ولهذا نقترح أن يوضع نص فى المعاهدة على أساس ما يأتى :

« الضباط والموظفون البريطانيون الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة ، يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية في اى وقت خلال سنتين بعد العمل بالمعاهدة، وتحدد المعاهدة المعاش أوالتعويض الذى يمنحه الموظفون الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ما هو مخول لهم بمقتضى القانون الحالى ، وفى حالة عدم استعمال الحق المخول بهذا الاتفاق تبقى أحكام التوظف الحالية بغير مساس .

١٢ ـ الوظائف الآتية يستمر الانجليز يشغلونها لخطورتها ، وذلك لفترة من الزمن يتفق عليها وهى وظائف « المستشار المالى ومستشار الحقانية ومدير الامن العام للاجانب فى الداخلية ووكيله وهؤلاء يعينون باتفاق الحكومتين البريطانيــة والمصرية ، وذلك لايجاد ضمانات للدول لالغاء الامتيازات الاجنبية » .

(وقد سبق أن اعترض الرئيس سعد على مثل هذا الطلب ورفضه وكان اعتراضه ورفضه قائمين على أساس أنه مخل بالاستقلال الداخلى ، وبأن الامتيازات لا تعطى الدول أى حق فى أن يكون لها موظفون فى ادارة البلاد . فلا معنى لاعطاء هذا الحق الى بريطانيا بنيابتها عنهم فى هذه الامتيازات) .

ثم « ووظائف النائب العمومى لدى المحاكم المختلطة وحكمدارى البوليس في القاهرة والاسكندرية وبورسعيد ، ثم ضابط بريطانى كبير فى وزارة الحربية ليشرف على الجيش المصرى .

(وقد سبق أن اعترض الرئيس سعد وأعضاء الوفد على جميع الوظائف التى يرغب الانجليز فى أن يكون التعيين فيها بالاتفاق بين الحكومتين البريطانية والمصرية) .

ارجاء المناقشة

٨ يوليو :

عقدت الجلسة فى الساعة العاشرة والنصف فى وزارة المستعمرات ودارت المناقشات فى مسألة الموظفين البريطانيين فى خدمة الحكومة المصرية فكرر الجانب المصرى رفض ما سبق له رفضه وقبول معاملة الموظفين الذين يتركون الخدمة أو تستغنى عنهم الحكومة بسخاء

وان يكون للحكومة الحق فى تمصير الاداة الحكومية على الوجه الذى تراه وبالسرعة التى تراها ، واخيرا اتفق الطـرفان (ملنر وسعد) على تأجيل الجلسات الى أجل غير مسمى حتى يضع كل طرف مشروعا بصيغة الاتفاق على حسب ما فهمه من المحادثات السابقة ، ثم يحصل الاجتماع بعد ذلك للمقابلة بينهما والمقارنة •

مصر والسودان قطر واحد

وعند الانصراف قال سعد : « اننا لم نتكلم فى مسالة السودان ، والسودان ومصر قطر واحد ، وكلاهما مكمل للآخر والنيل واحد • ولا يمكن الفصل بينهما بحال من الاحوال ، بل لا غنى لاحدهمـا عن الآخر باعتراف كبار البريطانيين انفسهم •

فقال ملنر : « هذه مسالة اخرى نرجىء الكلام فيهـا الى فرصة اخرى» •

وفى جو يشوبه شىء من التوتر بسبب القبض على عبد الرحمن فهمى والاجراءات التعسفية الانجليزية القاسية التى تتخذ لمحاكمته ومحاكمة الوطنيين المصريين معه ، رفعت الجلسـة فى منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر •

مشروع وفدى

وفى المساء عقد الوفد جلسة فى منتصف الساعة السادسة ولم يحضر الجلسـة عدلى لاول مرة ، وقال الرئيس أن الغـرض من الاجتماع هو اختيار لجنة من اعضاء الوفد لوضع مشروع الاتفاق الذى نقبله لنبعث به الى ملنر ردا على مشروعه فتالفت اللجنـة من عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وعلى ماهر ومحمد على علوبة ، وتفاهم الرئيس معهم على ضرورة الانتهاء من وضع المشروع فى أسرع مدة ممكنة ثم رفعت الجلسة •

واخبرنى الرئيس بعد انصرافهم انه سيضع بنفسه مشروعا مع واصف غالى للمقارنة بينه وبين مشروع هذه اللجنة حتى يكمل كل منهما الآخر وحتى يخرج المشروع الوفدى اقرب ما يكون الى الكمال •

برقية خطيرة ـ عنصر جديد فى العاصفة القادمة

٩ يوليو ١٩٢٠ :

حضر مستر ولرند (الانجليزى الاعرج) فى الساعة ٦ مساء واطلع الرئيس سعد على صورة برقية ارسلها ملنر الى لورد اللنبى فى مصر فى ٣٠ يونية ردا على اسئلته المتكررة عن سير المفاوضات فترجمتها للرئيس وهذا نصها :

« المفاوضات تسير سيرا مرضيا وديا ٠ وزغلول واصحابه يريدون الوصول الى اتفاق ، والظاهر انهم يقبلون تسوية تضمن المحافظة على اساس المراقبة البريطانية لامور مصر بشرط ان يكون الشكل غير ظاهر التناقض مع مطلب الوفد والامانى التى ولدها فى نفوس المصريين ٠ واللجنة تريد محالفة تضمن استقلال مصر بصفتها دولة ملكية دستورية ، ومن جهة اخرى تعترف مصر لبريطانيا بحقها فى استبقاء جيش للدفاع عن مصر وفى تعيين انجليز فى وظائف الحكومة المصرية لحماية مصالح الاجانب بواسطة نظام بوليسى يكون فيه الحكمداريون انجليزا مع استبقاء المحاكم المختلطة فى شكلها الحالى وضمان الوفاء بالدين العام ٠ وامامنا الآن ثلاث صعوبات :

١ ـ قد لا يقبل زغلول ورفاقه تحفظاتنا التى سنتمسك بها لانها تقيد الاستقلال قليلا ٠

٢ ـ او قد يقبل زغلول ورفاقه ولكن اصحابهم فى مصر لا يقبلونها فينضمون الى الحزب الوطنى للتاثير فى الجمعية التشريعية المصرية ، فلا تكون للاتفاق قيمة كبيرة ٠

٣ ـ لا بد من اشراك السلطان وبعض الوزراء فى العمل لان المفاوضات الحالية ليست فى الواقع الا مناقشات بقصد اكتشاف مدى الاستعداد الموجود عندهم ٠

« ولغاية الآن لم تحدث مناقشة اصلا فى مركز السلطان وقوانين الوراثة ، ولذلك نرجوكم كمندوب سام ان تتكلموا فورا مع السلطان وتطلعوه على الموقف كما هو الآن ، وتؤكدوا له ان حكومة جلالة الملك ليس فى نيتها مطلقا ان تصل الى حل من وراء ظهره » ٠

سعد يرفض مراقبة انجلترا ولا يقبل السلطان

هذه البرقية وقعت من نفس سعد أسوأ وقع وكأنها قنبلة انفجرت في وجهه والتفت الى الانجليزى الاعرج وقال له في غضب وفي شيء من الحدة :

« لو ان ملنر لم يطلعنى على هذه البرقية لما كان لى من حق في نقده ، اما وقد ارسلها الى للاطلاع عليها بعد ارسالها فمن حقى أن اعترض عليه اشد الاعتراض · اننا لم نقبل ولن نقبل اية تسوية تقضى بوضع اية مراقبة لانجلترا على مصر ، ظاهـــرة او خفية ، وتعتبر الشعور الذى قام بنفس اللورد ملنر مجردا من كل اساس ، ونحن لا نقبل بقاء جندى واحد من جيش الاحتلال عندنا كما لا نقبل وضع نظام خاص بالبوليس ، كما نرفض الاشتراك مع غيرنا في المفاوضات ، وكذلك نرفض ان نتفاوض بأمر السـلطان بالاشتراك مع اى انسان كان ، بل لا نقبل هذا السلطان نفسه » ·

اليست هذه قنبلة اشد وافدح من قنبلة ملنر التلغرافية السابقة ؟؟ بلى انه سينقلها الى سيده ملنر فيستاء كما نقلها الى سعد فانفجر ، والشر بالشر والبادى اظلم ·

موقف لعدلى ولطفى السيد

عرض الرئيس هذه البرقية على زملائه أعضاء الوفد فاظهروا استياء منها الا لطفى السيد فانه قال « انه لا بأس بهـــا في مجموعها » · فثار سعد في وجهه وقال : « الا ترى أن مطلع البرقية طعن في أمانة الوفد ، وأن البرقية انطوت على مزاعم لا تتفق مع الواقع ؟ »

وعقب انصراف الجميع طلب عدلى على غير عادته أن يتمشى مع الرئيس ، وفهم الرئيس منه أثناء العشاء وحدهما أن البرقية عرضت عليه قبل عرضها على سعد بيوم واحد وانه لم يفاتحه فيها لانه لم يجد الرئيس وحده كما علم أن لطفى السيد اطلع عليهـــا معه ولم يخبر الرئيس بها كذلك ·

قابلت الرئيس بعد خروج عدلى عقب العشاء معه وقلت له : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » • فقال ماذا تعنى ، قلت : فكرت فى برقيـــة ملنر الى اللنبى فرأيت أنها قد تلطف من حـدة جبروت الانجليز فى مصر وتخفف من شر الطغيان والاضطهاد منهم ضد عبد الرحمن فهمى أملا فى عدم عرقلة الاتفاق المنتظر فى لندن ، لان برقية ملنر تفتح أمام اللنبى باب الامل • وليس للبرقية فيما عدا ذلك اية قيمة اخرى ، فابتسم الرئيس وقال : « انت تســـتخرج النعم من النقم » •

ولا شك عندى فى أن ما قلته الليلة سيكون له بعض الاثر فى الرئيس عندما يقابل ملنر غدا حتى لا يحصل تصادم شديد بينهما •

حديث مع ملنر

١٠ يوليو :

ذهب سعد ومعه عدلى لمقابلة ملنر فى وزارة المواصلات صباح اليوم •

قال سعد : ان مستر ولرند اطلعنى على برقية منكم الى لورد اللنبى وهى تشتمل على قسمين :

الاول : لا يحق لى أن اتكلم فيه لانه كلام بينكم وبين زميلكم ، والعبرة فيه عندى هو بما يتم بيننا لا بما يحيكه للغير احدنا •

وأما القسم الثانى : وانى لا اقبل الانتداب للمفاوضة بالاشتراك مع غير الوفد •

ثم دار الكلام فى النظام وما يجب ان تشتمل عليه المعاهدة من مبادىء

عدلى : انه ينبغى أن يتضمن الاتفــاق على هذه المبـــادىء ضمانة له •

سعد : انه لا محل لان يتضمن الاتفاق شيئا من ذلك اللهم الا أن توصف الحكومة فيه بأنها دستورية على المبادىء الديمقراطيـــة ولا يحق لبريطانيا أن تتدخل فيه لانه مسألة داخلية بحتة •

ملنر : ان بريطانيا لكونها ضامنة استقلال مصر تكون بالطبع ضامنة لمبادىء هذا النظام الذى تشتمل عليه المعاهدة ·

سعد : لم يتقرر ضمان بريطانيا لاستقلال مصر ولم تحصل اية مناقشة فى ذلك ·

وانتهى الاجتماع فى شىء من الجفاء ·

ولما عاد الرئيس روى هذه المناقشة لاعضاء الوفد بحضور عدلى فوافق عليها غير أن عدلى تاثر نوعا ما من رواية الرئيس ما سبق أن أبداه عدلى من اشتمال المعاهدة على مبادىء النظام الدستورى للبلاد وفكرة ضمان الانجليز لها ·

سعد يقترح قطع المفاوضات

١١ يوليو :

دعا الرئيس اعضاء الوفد للاجتماع به فى الساعة ١١ من صباح اليوم فحضروا جميعا وحضر معهم عدلى ، وكان موضوع الحديث « مسالة عبد الرحمن فهمى » فقال الرئيس انه تلقى برقيـــة من مصطفى النحاس من القاهرة، يثبت الاجراءات الاستثنائية التعسفية القاسية التى اتخذتها السلطات العسكرية البريطانية ضد عبـــد الرحمن فهمى واخوانه ، وأن النحاس وزملاءه المحامين منعوا من مقابلة المتهمين المسجونين سجنا انفراديا ، وأن الشهود المزورين يجمعون بالرشوة تارة وبالاضطهاد احيانا اخرى ليشهدوا ضـــد عبد الرحمن فهمى بأنه دبر حوادث الاغتيال وأعمال التخريب فى مصر ، وأنه يخشى على صحته وعلى حياته اذا استمر جو الارهاب الحالى سائدا فى البلاد بينما زعماء الامة يتفاوضون فى لندن · ثم قال الرئيس انه سبق أن طلب من ملنر بيانا بأسباب هذا القبض وما صاحبه من الاجراءات التعسفية فوعد ملنر بالاستفسار من اللنبى وأن « الاعرج » اخبر الرئيس منذ يومين بأن ملنر أرســـل برقية مستعجلة يطلب التفصيلات فلم يرد الرد للان ·

واقترح الرئيس أن تقطع المحادثات مع لجنة ملنر والعودة فورا الى باريس ، وذلك للاسباب والاعتبارات الآتية ، وقد تكلم الرئيس فى تاثر ظاهر وقال :

١ ــ ان عبد الرحمن فهمي رجل كبير في مركزه الماضي والحاضر وهو في طليعة الرجال الاكفاء العاملين في مصر ، وهو المنظم لسير الحركة الوطنية والمنفذ لرغباتنا وقراراتنا بصفته السكرتير العام للهيئة المركزية للوفد • ولا يخالجني شك في انه برىء من كل تهمة لاسيما وهو الشخصية البارزة العاملة التي نعرفها ، فالقبض عليه ان هو الا طعنة بريطانية تشل نشاط الحركة الوطنيــة في مصر وتنشر الرعب والارهاب في جوانبها حتى ينصرف الناس عن الوفد ، هذا فضلا عن ان القبض عليه فيه مســاس بنا ، ويلقي شــبهات علينا •

٢ ــ قبض على عبد الرحمن فهمي في اول يوليو ونحن الآن في ٩ يوليو وملنر لم يحطنا بشي ولا يعقــل مطلقا ان اللنبي لم يهتم باحاطة الحكومة البريطانية بكل التفصيلات في هذا الحادث الجلل الذي اقدم عليه ، فكيف يكون معقولا او مقبولا الا يخبرنا ملنر بما نسال عنه حتى بعد القبض عليه بهذه المدة الطويلة ، ثم يزعم ويدعي كذبا انه لا يعرف وانه سيسال اللنبي تلغرافيا عن الحقائق التي لا شك انها الآن بين يديه ؟ اننا يجب ان نلغي عقولنا لكي نصدق كلاما كهذا • وان ملنر يجهل التفصيلات •

٣ ــ لو كان ملنر يحترمنا حقا ويراعي عواطفنا ويحرص حقــا علي نجاح المفاوضات لراي من واجبه ان يبلغنا كل التفصيلات عن عبد الرحمن فهمي ونوع التهم الموجهة اليه قبل ان يقبض عليه فعلا، او حتى بعد ان يقبض عليــه ، ولكن ملنر لم يفعل شيئا لا قبــــل القبض ولا بعده ، وادعي الجهل وهو لا شك عالم بكل شيء وتركنا في ظلام نتالم لما يقع في بلادنا من استبداد الانجليز وطغيانهم وعسفهم ولايحاول حتى تخفيف الصدمة عنا اويبرر تصرف الانجليز في بلادنا ومع رجالنا •

٤ ــ ان الانجليز بهذا التصرف الجائر الظالم انما اعلنوا حربا علنية علي الحركة الوطنية في مصر ، فهم يشردون ويســـجنون

ويضطهدون وينشرون الارهاب في مصر ، ونحن هنا في لندن نحضر الولائم والحفلات.ونتفاوض مع اعدائنا وكان الامور عادية في بلادنا، فهل هذا معقول ؟ ان قلبي ليذوب اسى واسفا على هذه الحـــالة التعسة التي لا تطاق ٠

٥ ـ لا شك ان واجب اللياقة وحسن السياسة كان يقضي بل يحتم على الانجليز أن تكون فترة المفاوضات مع ملنر في لنــــدن فترة هدنة في مصر ، فيكفوا عن عدوانهم ولا يعلنوها حربا عوانا وتشريدا لرجالنا وابنائنا في مصر ٠ ولكن لا لياقة ولا سياسة ولا عدالة ولا احترام عندهم ، لهذا كله لا ارى معنى لهذا العبث الذي يوصف بالمفاوضات ، ونحن نراها كل يوم تتعثر في كل خطوة ولا امل مطلقا لانجاحها لا سيما في هذا الجو الموبوء الذي تعيش فيه بلادنا ، ولهذا ايضا ارجوكم الموافقة على قطع المفـاوضات واعلان ذلك في خطاب مسبب نرسله الى ملنر فورا وسيكون هذا احتجاجا بينا على ما يجرى في بلادنا ، وخلاصا لنا من هـــذا العبث الاليم الذى نحن فيه ، وفيه على الاقل محافظة على كرامتنا وكرامة البلاد ٠

هنا سكت الرئيس بعد أن تدفقت كلماته ومعانيه ، وتجلت حججه ومراميه في صوت قوى فصيح مؤثر ، ووجه عابس معبر وغضب مكتوم ظاهر وغير مستور سافر ، واسباب يسوقها في فصاحة واقعية فائقة مرتبة متلاحقة كانه يتلوها من كتاب مسطور ، ولا يدلي بها على البديهة الملهمــة ٠ منذا الذى يستطيع أن يعــارض هذه الاسباب المسوقة لقطع المفاوضة ؟ أية حجة يمكن أن تســاق فتقف في وجه هذه الاسباب ، فلا يغلق للمفاوضة باب ؟

كلام لاعضاء الوفد

وسكت الاعضاء وكان على رؤوسهم الطير : ثم كان اولهم في الكلام حمد الباسل الذى قال : « ان الرئيس على حق فيما يــرى ويشعر به ٠ ولكنه يرى قبل اتخاذ اى قرار في هذا الموضـــوع

الخطير ان يتفضل عدلى باشا فيقابل ملنر وينقل اليه ما فى نفوسنا ، ويفهم الموقف جيدا » ·

هذه كلمات المتكلم الاول ، فاجاب عدلى على الفور « بأنه لا يذهب فى هذه المهمة وانه يحسن التريث قليلا فقد ياتى الغد بجديد » · وهنا تكلم الاعضاء ودارت المناقشة : « فى هل من الحكمة والصواب أن تقطع المفاوضة مع لجنة ملنر الآن فى هذه المرحلة بالذات » ·

فكان من رأى عدم القطع لطفى السيد وعلى ماهر ومحمد على علوبة ومحمد محمود والمكباتى وعبد العزيز فهمى وقالوا ان الوفد وصل الى مرحلة دقيقة نهائية فى المفاوضات ، وأن ملنر على وشك أن يقدم مشروع المعاهدة التى قد تسفر عن خير البلاد فلا يجوز والحالة هذه أن يتصرف الوفد فى حالة انفعال وغضب وأن التريث القليل قد يفيد ولا يضر ·

وقال عدلى ان ملنر يجب أن يعطى الزمن الكافى ليصلح ما افسده غيره ·

وقال الرئيس ان ملنر من غير شك يعرف كل شىء حتى قبل أن يقع القبض فى اول يوليو ، وانه انما يخفى ويدعى المعرفة لان المستبد الظالم لايستطيع ان يقنع احدا ويبرر طغيانه· واخيرا اقترح عبد العزيز فهمى تاجيل البت فى هذا الموضوع الخطير حتى يتمكن كل عضو من التفكير الهادىء فى خير السبل التى يجب على الوفد سلوكها فى هذه الازمة ·

ورفعت الجلسة فى كمد وغيظ وسخط على الانجليز ·

الاعتراف السابع ـ خواطر الرئيس وملاحظاته بعد الاجتماع

١ ـ قال الرئيس بعد انصراف الجميع : « لا يتأتى لضعيف أن يبث روح الثورة ، ولا لهازل أن يدرك معنى الجد والكرامة » · فادركت مبلغ المرارة فى نفسه ازاء أعضاء الوفد الذين لم يوافقوه على قطع المفاوضة ·

وبعد قليل عاد محمد محمود وامضى مع الرئيس ربع ساعة ثم خرج ، وبعد خروجه دعانى الرئيس اليه ، فلما دخلت وجلست قال : « اتدرى ماذا قال لى صاحبك ؟ » قلت ماذا ؟ قال : « انه

نصحني قائلا ان السياسة تقضي بالمجاملة ، و
فقلت له لا أقبل أن تكون ناصحي بطريقة عامة
وانا مستعد للعمل بما ترى اذا بان لي وجه الد

قال محمد محمود · « كلا هذه فكرة عامة طر
الرئيس وخرج صاحبه ، وهنا سكت الرئيس
ثم رفعه وقال لي :

« لقد ضاق صدري من احوال هؤلاء الـ
القاسية أن يكونوا زملاء لي في عمل لا هم يليقو
للقيام به فضلا عما عندهم من غرور عجيب ،

٢ ـ قلت للرئيس : « انى اشعر بأن محمد
الاعضاء لك » · فقال : « قد يكون ذلك صحيـ
الناس كثيرا فوجدت الوفاء فيهم قليلا والاخلا
في امكاني أن اصلح غيري · ولا في امكان غيـ
غض النظر عن نقائص المنافقين والعفو عن
ومن أراد أن تقل همومه وتخف متاعبه أن يعـ
أكثر مما له عليهم ، وان له عنـــدهم اقل مما
الانسان لانانيته يميل بطبعه الى أن يستكثر ما لـ
ما لهم عنده ، ومن هذا تعب الانسان وشقاؤه

برقية حول محاكمة عبد الرحمن

١٢ يوليو :

ورد تلغراف من مصطفى النحاس عن نوع ،
فهمي وأصحابه جاء فيه : ان المحامين خرجوا
السماح لهم بالدفاع ، وعلى استمرار القاضي
أقوال الشهود عليهم حتى يذكرهم بكل ما فيـ

فلما حضر الاعضـــاء وعدلي هذا الصباح
الرئيس على هذه البرقية · فغضب الاعضاء غضـ
عدلي أن يذهب الى ملنر حاملا البرقية الخطير
النيات والتصرفات من جانب الانجليز ، والرئيس
فرط الغيظ وسوء الظن والتسويف ·

وبعد ساعتين كاملتين عاد عدلى من مقابلتـــه لملنر ، وروى للرئيس وللأعضاء ما قاله له وما سمع منه وخلاصته : « ان عبد الرحمن فهمى ومن معه قبض عليهم لانهم متهمون بتدبير الاعتداءات الذى وقعت على الوزراء وغيرهم ، وكذلك أعمـــال التخريب التى وقعت فى القاهرة والاسكندرية فى الشهور القليلة الماضية ، وأنهم كانوا يستعدون لاحداث اضطرابات على أوسع نطاق اذا لم تأت المفاوضات مع ملنر بنتيجة مرضية تحقق الاستقلال التـام ، وأن ملنر ارسل برقية الى اللنبى ينصحه فيها بالحكمة والاعتدال لاسيما فى هذا الوقت الذى دخلت فيه المفاوضات مع الوفد فى مرحـــلة خطيرة دقيقة . وأن عدلى قال لملنر انه يخشى أن السياسة البريطانية للانجليز فى مصر تريد وتعمل على عرقلة المفاوضات فى لندن حتى لا يتم اتفاق ، وقال عدلى انه وجد ملنر مهمـوما ومهتما بهـــذه التطورات فى مصر وأثرها فى سير المفاوضات معه هنا فى لندن ».

فخفف بهذا البيان حدة الغضب عند الاعضاء ، وتفاءلوا ببعض الخير ، ولكن لم يكن له أقل تاثير فى حدة الغضب عند الرئيس الذى ظل متشائما كل التشاؤم .

ملاحظات وخواطر وتحليل وتعليل

١٤ يوليو :

لاحظت فى الايام القليلة الاخيرة ظاهرتين عجيبتين :

الاولى : ظاهرة ركود شديد فى ناحيتين كانتا فى غاية النشاط الى وقت قريب :

١ ــ مفاوضات (سعد وملنر) توقفت تماما منــذ ٨ يوليو، فلا مناقشة ولا اتصال .

٢ ــ اجتماعات الوفد توقفت تماما كذلك من ١٠ يوليـــو فلا اجتماعات ولا مقابلات ، وهذا الركود المزدوج تفســيره وتحليله وتعليله ينجلى فى الظاهرة الثانية .

الثانية : ظاهرة نشاط زائد متزايد محمـــوم مسرف . وأراه منتشرا فى أربع جبهات فى وقت واحد :

١ ــ نشاط ملنر ولجنته صباحا ومساء (كما ابلغنى ولرند الانجليزى الاعرج) لاعداد مشروع المعاهدة والفراغ منه فى أسرع

وقت ممكن ولارساله الى الوفد لدراسته ، ثم استئناف المفاوضة فيما عسى ان يراه الوفد من تعديلات فى مبوله ·

٢ ـ نشاط لجنة الوفد المكلفة بوضع مشروع للمعاهدة ترتضيه مصر ومقارنته بمشروع ملنر ولجنة الاربعة هذه (عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وعلى ماهر ومحمد على علوبه) تجتمع صباحا ومساء · والى ساعة متاخره من الليل فى حجره مجاوره لنا هنا فى فندق كارلتون وهى تنتقل فى بعض الاحيان الى فندق جلاردج للاجتماع بعدلى واستشارته فى بعض التفصيلات ولم تجتمع بالرئيس سعد لاستشارته مرة واحدة ، ولا يخالجنى شك فى ان سعدا سيتأثر من هذا التصرف تاثرا كبيرا (اذا عرفه) ·

٣ ـ نشاط الرئيس سعد وواصف غالى فى اعداد مشروع للمعاهدة ترتضيه مصر (وبعبارة أصح وأدق) يرتضيه سعد ويرضى الامة بقبوله وانا مع الرئيس صباحا ومساء الى ساعة متاخرة من الليل : يفكر ويملى ويعدل ويغير ، ويراجع ويصحح ، ويملى من جديد ، حركة دائبة مستمره لا تهمد ولا تخمد ولا تركد ولا تركد ·

قلت له اثناء تناول الشاى معه : انه يفرط فى اجهاد نفسه بلا هوادة ولا رحمة فى عمل يقوم به غيره (قاصدا لجنة الاربعة) ، فلماذا لا يرحم نفسه وجسمه من هذا الاحتراق والاذهال ، ويستجم فى هذه الفترة ويستعيد بعض صحته ويدخر بعض النشاط للايام المقبلة حتى يقدم اليه مشروع ملنر ومشروع الاربعة ؟·

فقال سعد :

كيف أدرس مشروعات واناقشها قبل أن اكون قد فكرت طويلا فى كل مادة فيها ؟

وكيف أحدد بفكرى فى كل مادة بدون أن اكتبها وانظر فيها وأراجعها وأتأملها ؟

وكيف أتحاشى ما يريده ملنر واصحابه من صيغتهم الخبيثة الخلابة بعد أن تظهر لى نياتهم واتجاهاتهم ؟·

وكيف أتحايل على حملهم على قبول رغباتنا بصيغ دقيقة تحررها بعد تامل ؟·

ثم مشروع لجنة الاربعة ، كيف اعـــرف ما فيه من نقص ، وما احتوته مواده من عيوب ، وكيف أصلح هذا النقص وهذه العيوب بالبديهة المحردة ؟٠

كيف يتاتى لى كل ذلك ان لم اكتب المـواد نفسـها بعد تفكيرى الخاص وباسلوبى وصيغتى الخاصة ؟ حينـذاك اذا انتقـدت شيئا أو مادة تقدمت فى الوقت عينه بالصيغة التى تحل محلها وتكون خيرا منها وعليهم أن يردوا بالبداهة ان استطاعوا ٠

ثم قال : لا شىء غير الكتابة يحدد الافكار ويساعد على التفكير الدقيق ٠

فاعجبت بالفكرة وان كنت ما زلت مقتنعا بحاجته القصوى الى الراحة والاستجمام فى هذه الايام التى اراها اشـبه بعطلة نادرة بعد أن تخلص فيها من كل اجتماع وكل مقابلة وكل مناقشـة وكل مناكفة ومشاكسة ٠ ولا يسعنى هنا الا أن أسجل اعجابى بواصف غالى الذى يساعد الرئيس سعدا بدقة بحثـــه وملاحظاته وبراعته فى الفرنسية حين يصـوغ بها ما يقترح من افـكار ومواد يدبجها الرئيس فى مشروعه ٠

٤ ـ الجبهة الرابعة التى انفجر فيها نشاط عنيف مفاجىء هى جبهة مصر نفسها ، فقد فتح الانجليز هذه الجبهة فى عنف أجرامى عندما احسوا أن المفاوضات مع ملنر تعقدت وتعثرت وانهـا على وشك الفشل ٠

ولاجل أن نفهم سياسة الانجليز وخططهم يجمـــل بنا أن نبين سلوكهم وتصرفاتهم فى مصر فى الشهور القلائل الماضية :

قبل وصول لجنة ملنر الى مصر « لتحقيق أسـباب الاضطراب الذى حدث فى مصر وتقديم تقرير عن الحالة الحاضرة فى البلاد » كانت الاحكام العرفية البريطانيـــة غاية فى الشدة والقســوة : اعتقالات ومحاكمات وتشـــتيت للمظاهرات بالرصـاص القاتل الى آخر ما سبق لى أن وصفته عنـــدما بينت حالة مصر فى أواخـر ١٩١٩/١٩٢٠ ٠

بعد وصول لجنة ملنر الى مصر فى أوائل ديسـمبر ١٩١٩ ـ لغاية يوم سفرها من مصر عائدة الى بلادها فى أواخر شهر مارس ١٩٢٠ (أى مدة أربعة اشهر كاملة اقامتها فى مصر) خفت الاحكام

العرفية البريطانية في مصر خفة ملحوظة جـــدا كأن هدنة وقعت واتفق عليها بين بلدين متحاربين ، وذلك حتى يتشجع المصريون على الاتصال بلجنة ملنر والاطمئنان لها ، وحتى تتمكن لجنة ملنر من اجراء التحقيق الذى كلفت به وتعرف الحقائق التى ارادتها ، فلما فشلت اللجنة فى مهمتها بفضل المقاطعة الاجماعية الرائعه من جانب الامة ، عاد ملنر ولجنته الى بلاده بخفى حنـــين واضطر اضطرارا الى مفاوضة سعد والوفد المقيم فى باريس ·

ومن شهر مايو ١٩٢٠ لغاية آخر يونيو ١٩٢٠ أى شهران كاملان هما فترة التمهيد للمفاوضات وانتقال ســـعد والوفد الى لندن ، والمفاوضات الفعلية مع ملنر ولجنتـــه . خفت الاحكام العـــرفية البريطانية فى مصر خفة عجيبة حتى خيل للناس جميعا انها زالت من الوجود واختفى الجنود البريطانيون من الظهور ، وانتشر بين المصريين شعور بالتفاؤل فى كل مكان بأن مفاوضات سعد ـ ملنر ستحقق لمصر استقلالها وخلاصها من ويلات الاحتلال البريطانى ، وكان الدعاء فى المساجد أيام الجمع يرتفع الى الله لتحقيق الحرية والعزة والكرامة والاستقلال لمصر والمصريين . والانجليز امام كل هذا ساكتون هادئون يتربصون ·

وفى أواخر يونيو : تجلى لملنر أن الاتفاق مع سعد مستحيل لان المفاوضات أسفرت عن عدم اتفاق الطرفين على أى شىء . واشتت خلافها فى كل شىء اللهم الا « مسألة التمثيل » ·

وسعد يعتقد أن المفاوضة فاشلة لا محالة ·

وملنر يعتقد أن ســـعدا لن يوافق على أسس مشروع المعاهدة التى سيقدمها الى الوفد بعد أيام ، وان الوفد سينتقل قريبـــا الى باريس بعد فشل المفاوضات ·

فماذا عسى أن يكون رد الفعل فى مصر بعـــد خيبة الامـــل فى المفاوضات ؟

ثورة ثانية لا محالة

قد لا تقل وقد تزيد على ثورة سنة ١٩١٩ نفسها . هذا ما تدل عليه كل الدلائل . فهل يسكت المستعمرون حتى تقوم الثورة فعـــلا وتقع الواقعة ؟

بحثوا حولهم فى مصر فلم يجدوا عناء فى معرفة البارزين من المصريين ذوى النفوذ فى الحركة الوطنية ، هو ذوى التأثير البليغ فى الشعب المصرى : عبد الرحمن فهمى سكرتير اللجنة المركزية للوفد . رجل عجيب فى نشاطه ووطنيته وشخصيته القوية الجذابة ونفوذه الجارف . وهو « الدينامو » المحرك المسير المنظم للحركة الوطنية فى البلاد من اقصاها الى اقصاها وحوله أعوان من شباب الطلبة الفصحاء الشجعان أمثال ابراهيم عبد الهادى وعبدالرحمن الجديلى ، وأعوان من زعماء العمال والصناع المسيطرين على الحركة العمالية فى البلاد .

على هؤلاء بالذات انقض العسكريون البريطانيون فقبضوا عليهم جميعا فجاة بغير سؤال ولا سابق انذار وبعد أن كانت الاحكام العرفية البريطانية خامدة هامدة منزوية ملتوية على نفسها كالافعى ولا يشعر بوجودها انسان مدة المفاوضات ، برزت فجأة فى أول يوليو ١٩٢٠ كاقسى واعتى واشنع ماتكون بمجرد ما ثبت لملنر ان نجاح المفاوضة مع سعد أصبح مستحيلا ، وان رد الفعل فى مصر قد يكون ثورة عاتية .

غضب سعد والوفد وسخطوا على هذا الاعتداء الوحشى على ممثلهم فى مصر وأبناء وطنهم المخلصين ، وادعى ملنر الجهل والبراءة ووعد بالاستفسار من اللنبى كأن اللنبى يستطيع أن يقدم على عمل جرىء كهذا من غير علم لندن وفى أثناء وجود زعماء مصر فى لندن يتفاوضون .

طبخة بريطانية فاحت روائحها الكريهة فزكمت انوف الوطنيين .

وحيلة استعمارية لجأ اليها الانجليز ليمنعوا او يعرقلوا قيام ثورة فى مصر بعد أن يرفض الوفد مشروع ملنر الذى سيقدمه بعد أيام قلائل .

ويشاء الله ان تظهر الحقيقة على لسان ملنر نفسه يوم ١٠ يوليو حين قال لعدلى بعد تجاهل وتمنع طويلين : « ان عبد الرحمن فهمى وأعوانه قبض عليهم بتهمة تدبيرهم اعتداءات على الوزراء ، وانهم كانوا يستعدون لاحداث اضطرابات على أوسع نطاق اذا لم تأت المفاوضات بينهم مرضية » . اذن برح الخفاء وظهرت النيات السوداء .

والخلاصة : ان الموقف يتجلى للفهم بتتبع منطق الحوادث التى تتسلسل على الوجه الآتى :

١ ـ احكام عرفية بريطانية خفيفة خفة الريش عنـــد التمه للمفاوضات وطوال مدة السير فى المفاوضات المرضية ·

٢ ـ اللنبى يسال عن سير المفاوضات ويحاط علما بكل مرح من مراحلها ·

٣ ـ اللنبى كقائد عسكرى يضرب ضربته الماجنـة ويشغل عا البلاد بأحكامه العرفية بمجرد شعوره بان المفاوضة تتعثر ويلو فى أفقها الفشل المؤكد ·

٤ ـ اللنبى يسبق الحوادث فيقبض على عبـــد الرحمن فهم وزعماء الطلبة والعمال والاعيان حتى لاتقوم فى البلاد ثورة عند تعلم الامة بفشل المفاوضة وتشعر باليأس بعد الامل الباسم ·

٥ ـ باعث الانجليز الحقيقى هو شعورهم المردوج أولا بقدر هؤلاء الذين قبضوا عليهم ، على اثارة الشعب ، وثانيا بأن الشعب المصرى ثائر لا محالة وفى حاجة الى القادة الذين يوجهون خطوا فى الثورة ·

٦ ـ وبما أن هذاالباعث لا يكفى مبررا للقبض والاعتقال فى نظ العالم المتمدين فقد زعموا أنهم تآمروا ودبروا اغتيـال الوزرا وأعمال التخريب ، وهذه جريمة محـــددة عقوبتها السجن تحت الاحكام العرفية ·

٧ ـ ملنر يعلم تمام العـــلم ويتآمر مع اللنبى فى استعدادات وتصرفاته ، ثم يدعى الجهل امام سـعد ، ثم يكذب بانه سيستفسر تلغرافيا من اللنبى ، ثم يكذب مرة ثانية بأن الرد لم يصل له حتى بعد مرور أيام على استفساره المزعوم ، وهو العليم المحيـط بكل ما هنالك ·

٨ ـ هذا العنف والظلم وحكم الارهاب فى مصر يرمى الى غرضين الاول منع نشوب الثورة فى مصر عند اعلان فشـــل المفاوضات ، والثانى ايجاد ضغط شديد على سعد والوفد فى لندن لقبول مشروع ملنر الذى سيقدم اليهم بعد ايام قلائل ، وقبولهم اياه كفيل بالافراج عن كل هؤلاء المعتقلين والمقبوض عليهـــم من المصريين الوطنيين ، ولكنه كفيل فى الوقت عينه باعتقال مصر كلها ووضعها فى سجن الاستعمار ، وشعار المستعمرين « الغاية تبرر الواسطة » ، وبئس به من شعار حقير !!

الفصل الثالث

١٧ يوليو ١٩٢٠ :

فى الساعة الواحدة الا عشر دقائق من بعد ظهر اليوم حضر الى فندق كارلتون سكرتير ملنر وسلمنى مظروفا مغلقا بالشمع الاحمر لايصاله الى الرئيس ، فسارعت به الى حجرة الاجتماع وسلمته الى الرئيس وكان معه بعض الاعضـــاء فلما فضه الرئيس ووجد انه المشروع المنتظر بفارغ الصبر سلمنى اياه وكلفنى بترجمته الى اللغة العربية فورا ، ولما هممت بالانصراف سألنى « كم من الوقت يلزمك لاتمام الترجمة ؟ » .

فقلت ساعة واحدة أو ساعتين على اكثر تقدير اذا أردت أن أزن كل كلمة بميزان الذهب » فقال : « خذ ساعتين اذن وساعة للغداء وليكن اجتماع الوفد فى الساعة السادسة مساء .

وتكفل الدكتور حامد محمود بابلاغ الاعضـــاء وعدلى بموعد الجلسة .

وفيما يلى ترجمة المشروع :

« النقاط التى استوثق انه يمكن الاتفاق عليها مع الوفد المصرى الموجود الآن فى لندن هى : ابدال الحالة الحاضرة بمعاهدة محالفة دائمة بين بريطانيا العظمى ومصر يتقرر فيها ما يأتى :

١ ــ تتعهد بريطانيا العظمى بضمان سلامة أرض مصر واستقلالها كمملكة ذات انظمة دستورية ٠

٢ ــ وتتعهد مصر من جانبها الا تعقد اية معاهدة سياسية مع اية دولة اخرى بدون رضاء بريطانيا العظمى ٠

٣ ــ نظرا للمسئوليات الملقاة على عاتق بريطانيا العظمى بمقتضى الفقرة المتقدمة ، ونظرا لما لها من المصلحة الخاصة فى حفظ مواصلاتها فى الشرقين الادنى والاقصى فان مصر تعطيها حق ابقاء قوة عسكرية فى الاراضى المصرية وحق استعمال الموانىء والمطارات المصرية لغرض التمكن من الدفاع عن القطر المصرى ومن المحافظة على مواصلاتها مع املاكها فيما وراء البحار ، أما المكان أو الامكنة التى تعسكر فيها تلك الجنود البريطانية فانها تعين بالاتفاق بين الطرفين ٠

٤ ــ تقبل مصر أن تعين بالاشتراك مع حكومة جلالة الملك مستشارا ماليا يعهد اليه بجميع الاختصاصات المخولة الآن لاعضاء صندوق الدين لحماية حقوق دائنى مصر ، ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية فى جميع المسائل الاخرى التى ترغب استشارته فيها ٠

٥ ــ تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر فى تحرير نفسها من القيود التى تقيد حريتها فى التشريع والادارة بسبب الامتيازات التى يتمتع بها الاجانب فى مصر ، وفى وضعها نظاما بمقتضاه تكون القوانين المصرية سارية على المصريين والاجانب على السواء ٠

٦ ــ وتوقعا لتنازل الدول الاجنبية فى الامتيازات الخاصة التى يتمتع بها رعاياها حتى الآن، ونظرا لضرورة تطمين تلك الدول على أن حقوق الاجانب الشرعية ستكون مع ذلك محترمة ، فان مصر تعطى لبريطانيا العظمى حق التدخل بواسطة ممثلها فى مصر لوقف تنفيذ أى قانون يكون ماسا بحقوق الاجانب الشرعية أو مخالفا للمتبع فى البلاد المتمدينة ، واذا وجدت الحكومة المصرية أن حق التدخل قد استعمل فى اية حالة مخصوصة بلا مبرر فى الواقع رفعت الامر الى عصبة الامم ٠

٧ ــ قضاء المحاكم المختلطة الحالية أو ما يحل محلها من الانظمة المماثلة لها يبقى قائما ، وينسحب هذا القضاء على المواد الجنائية وجميع الدعاوى الاخرى الخاصة بالاجانب فى مصر ٠

٨ ـ تقبل مصر أن تعين بالاشتراك مع حكـــومة جلالة الملك موظفا انجليزيا بوزارة الحقانية يكون له من الاختصاص والسلطة ما يتأكد معه من تأكيد حسن ادارة القوانين فيما يتعلق بالاجانب ٠

٩ ـ تكون حكومة جلالة الملك مستعدة لان تأخذ على عهـدتها تمثيل مصر في أى بلد لم يعين فيها ممثل مصرى ، ولكن ليس لمصر أن تعهد بهذا التمثيل الى اية دولة اخرى غير بريطانيا العظمى ٠

١٠ ـ تعترف الحكومة المصرية أن لمركز ممثل بريطانيا العظمى فى مصر صفة خاصة وان له باعتباره ممثل الدولة الحليفـة حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين ٠

١١ ـ الموظفون البريطانيون وغيرهم من الاجانب عدا من ذكروا بالمواد السابقة تسوى حالتهـــم باتفاق خاص بين الحكـــومتين البريطانية والمصرية ٠

وهذا الاتفاق يعتبر جزءا متمما للتراضى المزمع عقده بينهما » ٠

الوفد ضد المشروع

ما كاد الرئيس سعد وأعضاء الوفد يطلعون على هذا المشروع حتى أصابتهم دهشة بلغت درجة الذهول ٠ وبلغ اليأس بالرئيس خاصة أقصى الحدود، واعتبروا كل هذه المواد فى صيغتها وأهدافها
خاصة أقصى الحدود، واعتبروا كل هذه المواد فى صيغتها وأهدافها
واتفقت آراء الاعضاء جميعا على رفضها وعدم امكان قبولها بحال من الاحوال ـ فليس فى الوفد الآن اغلبية واقلية كما كان الحـــال قبل المفاوضة ٠

وهذا فقط هو المكسب الوحيد حتى الآن ٠

١٨ يوليو ١٩٢٠ :

عقد الوفد اليوم ثلاث جلسات حضرها جميع الاعضاء وعدلى ٠ جلسة في الصباح وجلسة بعد الظهر وجلسة بعد العشاء ، وذلك للمراجعة الاخيرة للمشروع الذى أعده الوفد وأسجل هنا أن الرئيس هو الذى أعد بنفسه نص المادة الاولى ونص المادة الثانية ، وحمل الاعضاء على قبول هـــذين النصين لانهما غاية فى الصراحـــة

والوضوح ، أو هما على الاقل اكثر وضوحا مما وضعته اللجنة وقد عاون الرئيس فى الصياغة واصف غالى ·

نص مشروع الوفد

١٩ ـ يوليو ١٩٢٠ :

حملت مشروع الوفد الى سكرتير ملنر فى مكتبه بوزارة المستعمرات حوالى ظهر اليوم ونصه كما يلى ·

المادة الاولى :

تعترف بريطانيا العظمى باستقلال مصر ·

تنتهى الحماية التى أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر فى ٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ هى والاحتلال العسكرى البريطانى ، وبذلك تسترد مصر كامل سيادتها الداخلية والخارجية ، وتكون دولة ملكية ذات نظام دستورى ·

المادة الثانية :

تجلى بريطانيا العظمى جنودها من القطر المصرى من تاريخ العمل بهذه المعاهدة ·

المادة الثالثة :

عند استعمال الحكومة المصرية حقها فى الاستغناء من خدمة الموظفين الانجليز تلتزم بحسن معاملتهم على الكيفية الآتية :

« فى غير حالة الرفت لبلوغ السن القانونية أو العجز النهائى عن العمل أو بمقتضى حكم تأديبى أو لانتهاء المدة المحددة فى عقد الاستخدام ، يعطى للموظف المرفوت تعويض اضافى بمقدار شهر عن كل سنة قضاها فى الخدمة ، ويمنح هذا التعويض ايضا لكل موظف يترك باختياره خدمة الحكومة المصرية فى ظرف سنة من تاريخ العمل بهذه المعاهدة ·

المادة الرابعة :

تخفيفا لمضار الامتيازات الاجنبية الى حين الغائها تقبل مصر أن الحقوق التى تستعملها الدول الآن بمقتضى هذه الامتيازات يكون لبريطانيا العظمى استعمالها باسمها بالكيفية الآتية :

١ ـ الزيادات والتعديلات التى يراد ادخالها على لائحة ترتيب المحاكم المختلطة لا تتم الا بموافقة بريطانيا العظمى ٠

٢ ـ كافة القوانين الاخرى التى لا تنفذ الآن فى حق الاجانب أصحاب الامتيازات الا بموافقة الدول أو بقرار بالموافقة صادر من الهيئة التشريعية لمحكمة الاستئناف المختلطة أو من الجمعية العمومية لهذه المحكمة تصير نافذة عليهم بمقتضى دكريتو يصدر وينشر لهذا الغرض ما لم تحصل معارضة من بريطانيا العظمى تبلغ الى وزير الخارجية المصرى من تاريخ النشر بالجريدة الرسمية ٠ ولا تصح هذه المعارضة الا اذا كان مبناها أن القانون يشمل أحكاما لا نظير لها فى شريعة من شرائع الدول ذوات الامتيازات فى المعاملة بشأنها بين المصريين والاجانب ٠ وفى حالة حصول خلاف بين الحكومتين فى صحة مبنى هذه المعارضة فلمصر رفع الامر الى عصبة الامم للفصل فيه ٠

المادة الخامسة :

فى حالة الغاء المحاكم القنصلية واحالة محاكمة الاجانب على ما يقع منهم من الجنايات والجنح الى المحاكم المختلطة ، تقبل مصر أن تعين أحد رجال القانون من التبعية الانجليزية فى وظيفة النائب العمومى لدى المحاكم المختلطة ٠

المادة السادسة :

تقرر الحكومة البريطانية أنها مستعدة للنظر بالاشتراك مع الحكومة المصرية بعد مضى خمس عشرة سنة فى مسألة ازالة المساس الحاصل بسيادة مصر على سكان بلادها بسبب ما للاجانب من الامتياز فى التشريع والقضاء ، وتحفظ مصر لنفسها الحق فى رفع هذه المسألة ان اقتضى الحال الى عصبة الامم بعد الميعاد المذكور ٠

المادة السابعة :

فى حالة الغاء قومسيون الدين العمومى فان مصر تعين موظفا ساميا تختاره بريطانيا العظمى يكون له ما للقومسيون المذكور من الاختصاصات الآتية ، ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية فى كافة ما ترغب تكليفه به من الاستشارات والمهمات المالية ٠

المادة الثامنة :

لبريطانيا العظمى (ان رأت لزوما) أن تنشىء على مصاريفها بالشاطيء الاسيوى قنال السويس نقطة عسكرية للمساعدة على حد ما عساه يحصل من الجهات الاجنبية على هذا القنال ، وتحديد منطقة هذه النقطة يحصل بمعرفة لجنة مكونة من خبراء عسكريين من الطرفين بعدد متساو ، ومن المتفق عليه أن انشاء هذه النقطة لا يعطى لبريطانيا العظمى أى حق فى التدخل فى أمور مصر ، ولا يخل أدنى اخلال بما لمصر من حقوق السيادة على تلك المنطقة التى تبقى خاضعة لسلطة مصر ومنفذة فيها قوانينها ، كما لايمس بالسلطة المخولة لمصر باتفاقية الاستانة المحررة فى اكتوبر عام ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة فى قنال السويس • وبعد مضى عشر سنوات من تاريخ العمل بهذه المعاهدة يبحث المتعاقدان الامر لمعرفة ما اذا كان استبقاء هذه النقطة لم يعد له لزوم وما اذا كان ممكنا أن يترك لمصر وحدها العناية بالمحافظة على القنال وفى حالة الخلاف يرفع الامر الى عصبة الامم •

المادة التاسعة :

فى حالة ما ترى مصر التى لها حق التمثيل السياسى ، الا تعين نائبا مصريا عنها لدى أى بلد من البلاد ، تعهد بالمصالح المصرية فى هذا البلد الى نائب بريطانيا العظمى وهو يتولى الدفاع عن تلك المصالح وفق أراء وزير الخارجية المصرى •

المادة العاشرة :

يوافق الطرفان بمقتضى هذا على عقد محالفة دفاعية بينهما للاغراض الآتية :

١ ـ تتعهد بريطانيا العظمى بالاشتراك فى الدفاع عن الاراضى المصرية ضد كل تعد يحصل من جانب أية دولة من الدول •

٢ ـ عند حصول تعد على المملكة البريطانية من جانب أية دولة أوربية ، ولو لم تكن سلامة مصر ذاتها فى خطر مباشر ، فان مصر تتعهد بأن تقدم داخل حدودها لبريطانيا العظمى ، جميع ما تحتاج له حربيا من تسهيل سبل المواصلات واعمال النقل ، وشروط اداء هذه المعونة تتحدد بعد باتفاق خاص •

المادة الحادية عشرة :

تتعهد مصر فوق ذلك بألا تعقد أية محــالفة مع أية دولة اخرى بدون الاتفاق مقدما مع بريطانيا العظمى .

المادة الثانية عشرة :

هذه المحالفة معقودة لمدة ثلاثين ســـنة ، وفى نهايتها يمكن للطرفين أن ينظرا فى أمر تجديدها .

المادة الثالثة عشرة :

مسألة السودان تكون موضوع اتفاق خاص .

المادة الرابعة عشرة :

كل ما كان مخالفا لهـــذه الشروط من الاحكام المتعلقة بمصر الواردة فى كافة المعاهدات الاخرى يكون ملغى ولا عمل له .

المادة الخامسة عشرة :

تودع هذه المعاهدة بسكرتيرية عصبة الامم لتسجل بها ، وتقرر بريطانيا انها عن نفسها قابلة من الآن دخول مصر بهذه الجمعيـة بصفتها دولة حرة مستقلة .

المادة السادسة عشرة :

يعمل بهذه المعاهدة بمجرد تبادل التصديق عليها من المتعاقدين، ويحصل التصديق فيما يتعلق بمصر بناء على قرار صـــادر من الجمعية الوطنية التى تدعى لتقرير الدستور المصرى الجديد .

ملاحظة :

أرسل الوفد مع هذا المشروع خطابا أمضاه الرئيس هذا نصه :

« أتشرف بأن أبلغكم نبأ استلامى خطابكم المؤرخ ١٧ الجارى والمشروع المرافق به ، وانى أبادر فأعرض عليكم هذا مشروع اتفاقا يحوى النقط التى جرت المناقشة فيها خلال محادثاتنا ، وهى النقط التى يلوح لى أنكم تقبلونها ، ونحن نعتقد أن هذا المشروع بالصيغة التى هو عليها من شأنه أن يرضى الطرفين ، فعلى هـــذه القواعد يمكننا أن نضع دعائم صداقة متينة وتعاون عماده الاخلاص بين الشعبين الانجليزى والمصرى .

« ومن المتفق عليه بيننا أن المسـائل التى لم تبحث بعد ، تكون موضوع اتفاق يعقد فيما بعد ·

« ولى عظيم الثقة بأن أعمالنا التى توليتم رياستها بتلك الكياسة يمكن أن تنتهي قريبا حتي يتيسر لي السفر الى (شانل وفيشى) قبل فصل الخريف وذلك للاستشفاء الذى لابد منه لصحتى ·

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام »

سعد زغلول
(رئيس الوفد المصرى)

ملنر ومشروع الوفد

٢٠ يوليو ١٩٢٠ :

لا يخالجنى شك فى أن مشروع الوفد قد أصاب ملنر بدهشـــة بلغت حد الذهول كما أصابنا بمشروعه ، ودقة بدقة والبادى أظلم ·

ولا يخالجنى شك فى أن كثيرين فى مصر سيطعنون فى الرئيس والوفد بحجة انه أقر استمرار الاحتلال البريطانى بهذا المشروع ، وانهم لظالمون اذ ليست المسألة مسألة المثل الاعلى الذى يتصوره الحالمون ، وانما هو المثل الاعلى الذى يدركه الواقعيون ، حسب مشروع الوفد فخرا أن ينهى الحماية البريطانية على مصر ، ويلغى كل الاحكام المتعلقة بها الواردة فى المعاهدات الدولية الاخرى وأن ينتزع الاعتراف باستقلال مصر . وهذا كله يحقق توكيل الوفد كل التحقيق ·

وفى الساعة العاشرة صباحا اجتمع الوفد بكامل هيئته · وبعد قليل وصل عدلى وأبلغ المجتمعين أن ملنر اتصل به تليفونيا وأبلغه أنه ساخط على مشروع الوفد ورافض له ، فأعلن الرئيس فى شيء من الغضب والعزم ضرورة قطع المفاوضـــات والعودة فورا الى باريس ·

انقسام فى الوفد

ولكن أغلبية الاعضاء ومعهم عدلى رأوا ضرورة التريث وضبط الاعصاب فى هذا الظرف العصيب واقترحوا أن يذهب عدلى لمقابلة ملنر بعد ظهر اليوم ليتعرف رأيه الاخير قبل أن يصدر الوفد قرارا ·

وحوالى الظهر خرجوا متفرقين : فذهب عدلى الى ملنر رأسا وخرج الاعضاء ليلتقوا به فى فندق (كلاردج) بعد عودته من مقابلة ملنر •

وبقى سعد فى حجرته ومعه واصف غالى وسينوت حنا •

وهكذا ثبت لى مرة أخرى أن أغلبية الاعضاء متضامنة متفاهمة مع عدلى ، ومؤملة فيه خيرا ، وكنت أظن أن هذا الانقسام فى الوفد قد زال بعد الاجماع على رفض مشروع ملنر ثم الاجماع على مشروع الوفد • ولكنى كنت واهما واخلق بمن جعل الاوهام زاده أن يتزود الهم اذا استبان الحق • والحق الذى لا مرية فيه هو أن أعضاء الاغلبية الوفدية ما زالوا عند رأيهم فى سعد ، وشعورهم نحوه كما كانوا فى باريس قبل المفاوضات ، وأن الانقسام فى الوفد أعمق وأخطر من أن تزيله الاحداث الجسام ، وكل ما تأتى به الايام •

هذا موجز حالنا فى لندن هذه الايام •

والحال فى مصرنا العزيزة المعذبة اشد وأنكى •

الحالة العامة فى مصر قد وصلت الى درجة الغليان والانفجار ، بعد القبض على عبد الرحمن فهمى وعلى زعماء الطلبة النابهين وزعماء العمال البارزين ، فالعواطف فائرة والنفوس ثائرة والافكار حائرة والاحكام جائرة، يصدرها حكام بريطانيون طائشون متهورون لعبت القوة الغاشمة بعقولهم كما تلعب الخمور ، فأسكرتهم ودفعتهم الى الفتك بالمصريين الابرياء الوطنيين المخلصين ، ونشروا الرعب وحكم الارهاب فى كل ميدان وكل مكان وزرعوا الحقد والثورة فى كل وجدان ، وأصبحت البلاد كالبركان فما أشقى جيلنا هذا الذى يكتوى بكل هذه النيران •

فى الساعة الواحدة بعد الظهر وأنا أستعد للنزول للغداء نادانى الرئيس سعد وسألنى « هل انت مستعد للسفر معى الى باريس بعد غد ؟ » فقلت « اليوم ان شئت » فقال « متى تستطيع أن تحصل على التأشيرات اللازمة من القنصلية الفرنسية ؟

ـ فأجبت : « فى الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم سأتسلم جواز سفرك وجواز سفرى مؤشرا عليهما « بالفيزا » اللازمة » • فقال : «حسن » • وانصرفت •

حديث مع علوبة



محمد على علوبة

وفى الساعة الخامسة والربع بعد الظهر وانا عائد بالجوازين مستوفيين شروط السفر، وعلى مقربة من فندق كارلتون قابلت صديقى محمد على علوبة الذى تفضل كعـــادته فاطلعنى على كل ما يعرفه ·

قال : « ان عـــدلى باشـــا بحسن سياسته وبراعة دهائه قد تمكن من تغيير الحال تغييرا تاما ، فقد قابل ملنر وتحدث اليه طويلا ، ومع أن ملنر قد رفض مشروع الوفد وهدد بقطع المفاوضات ، فانه عـــدل عن تهـــديده الآن ، واعـــرب عن استعداده لتعديل مشروعه الذى قدمه الى الوفد ، وسيرجو سعدا العدول عن السفر وابداء كل الملاحظات التى يراها ضرورية لتعديل مشروعه حتى يكون مقبولا للوفد ، وأنه سيبعث ببرقية الى اللنبى يرجـــوه فيها تخفيف وطأة الاحكام العرفية فى مصر وعدم اتخاذ أى اجراء من شانه ان يثير سخط المصريين أو المحامين عن المقبوض عليهم · وان أعضاء الوفد من معسكر الاغلبية قدموا الشكر لعدلى باشا على ما بذل من جهد وعلى ما أدرك من توفيق » · ثم قال محمـــــد على علوبة : « انه ذاهب الآن الى سعد ليخبره بكل هذه التفصـــيلات » · فقلت له : « لا داعى لذكر الشكر الذى قدمتموه الى عدلى على مسعاه » ·· فضحك وقال : « طبعا لا اذكر ذلك لسعد » ·

وقد تمت مقابلته للرئيس وخرج من عنده ساخطا وقال لى : « ان هذا الرجل عنيد ومتشائم ، ولكنى أقنعته بكل صعوبة أن يؤجل السفر مرة أخرى » •

وفى الساعة السادسة مساء تسلم سعد خطابا من ملنر يرجوه أن يقابله فى بيته غدا الساعة الحادية عشرة صباحا •

محادثة غاية فى الصراحة بين سعد وملنر

٢١ يوليو ١٩٢٠ :

فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم كان سعد مع ملنر فى بيته وعنده « الانجليزى الاعرج » وهى المرة الاولى لاجتماعهما بعد تبادل المشروعين المتناقضين ، وتوتر الاعصاب من الجانبين ، وللمرة الاولى كذلك لم يكن عدلى حاضرا اجتماعا بين سعد وملنر •

وللمرة الاولى ايضا يجرى حديث بين سعد وملنر فى خلوة ولا ثالث لهما •

وفيما يلى تفصيل الحديث كما املاه على الرئيس لتدوينه واطلاع الاعضاء عليه فى الاجتماع القادم :

ملنر : سمعنا أنك تفكر فى السفر ، فهل حددت له موعدا ؟

سعد : نعم • فكرت فى السفر لانى سمعت انك هددت بقطع المفاوضة وانك رفضت مشروع الوفد كما رفض الوفد مشروعك، فما معنى البقاء هنا الآن ؟

ملنر : ان هناك امورا اخرى لم نتناولها بالبحث ويحسن أن نناقشها ، ثم ان المشروع الذى ارسلته اليكم قد تضمن شروطا اساسية لا بد منها ، واخرى تفصيلية يمكن مناقشتها وتعديلها اذا اردتم ، وانى احب ان اسمع اقتراحاتكم بالتعديلات •

سعد : انا فى حاجة الى السفر للاستشفاء وارجو أن تساعدنى على ذلك لان صحتى تستلزمه •

ملنر : وانا كذلك شديد الرغبة في الانتهاء بسرعة لان مصلحتنا تستلزمه وما هى الا أيام قليلة أخرى حتى نفرغ معا · ثم استطرد الى الكلام عن القوة العسكرية البريطانية وقصة الدفاع عن المواصلات الامبراطورية ·

سعد : لقد سبق ان بحثنا هذا الموضوع وتناقشنا فيه بكل صراحة ، وأبدى كل منا رأيه ، فهل عندك اليوم جديد ، وقد أكدت لك مرارا اننا لا يمكننا أن نقبل استمرار الاحتلال في اى مكان لانه مخالف لتوكيلنا ومخل بالاستقلال ·

عظمة سعد

ملنر : انتم كثيرا ما تستندون على هذا التوكيل ، وانتم الذين وضعتموه وأمليتموه على الشعب المصرى ·

سعد : ليكن ، ولكنه الآن عقد بيننا وبين امتنا لا نستطيع نقضه او تحويره ·

ملنر : اننا الآن فى مصر حائزون على كل شىء وفى قبضتنا كل شىء · ونريد أن نتخلى لكم عما فى ايدينا فى نظير أن تقبلوا أن يكون مركزنا الفعلى عندكم مركزا شرعيا ، اذ لا نستطيع أن نتخلى عن مصر بعد أن أتممنا ما اتممنا فيها من الاصلاحات ولا نستطيع ان نتركها دفعة واحدة خشية أن تفسد هذه الاصلاحات فلا بد لنا ن مراقبة سير الامور فيها ، والاطمئنان الى انتظامها ، ووضع قوة عسكرية فى بعض نواحيها تقيها شر هذا الفساد ·

سعد : انا احمد لك صراحتك هذه وأرجو أن تحمد انت صراحتي كذلك، فالصراحة لازمة فى بعض الظروف· اننا لانستطيع مطلقا أن نوافق على تصحيح مركزكم فى مصر فيصبح المركز الفعلى مركزا شرعيا لان هذا يناقض الاستقلال على خط مستقيم وما اتينا هنا الا بحثا عن الاستقلال · ولا نقبل أن يكون لبريطانيا مراقبة علينا مستندة على قوة عسكرية فى بلادنا · اننا ما اتينا هنا الا للخلاص

من هذا ، ومسألة الاصلاحات التي تتحدث عنها تهمنا نحن لاننا اصحاب البلاد المسئولون عن حاضرها ومستقبلها ، وهو حقنا وواجبنا معا فلا يجوز لكم ان تنظروا منا ان نوافق على عقد مثل هذا الاتفاق الذي يصحح مركزكم الفعلي .

ملنر : نحن لا يمكننا ان نفرط في املاكنا ، ولا ان نترك مصر لنفسها بعد أن لبثنا اكثر من مائه عام نسعى للحصول عليها حتى استولينا عليها استيلاء تاما وما نطلبه منكم الآن لا يضركم في شيء ، بل فيه مصلحتكم .

سعد : نحن ادرى بمصلحتنا من غيرنا ، واني أراني مضطرا لان اذكرك الآن أن الحكومة البريطانية على ألسنه رجالها الرسميين قطعت على نفسها أكثر من ستين عهدا ووعدا بالجلاء عن مصر ، فاذا طالبناكم بوفاء عهودكم وتنفيذ وعودكم لا نعد مجاوزين للحد ولا مبالغين في الطلب .

ملنر : وعدناكم ستين مرة أو مائة وستين مرة لا يهم الآن . ان املاكنا لايصح أن تتعرض للخطر . على اننا اذا وثقنا بأنكم سائرون سيرا حسنا فلا يبقى في بلادكم جندي بريطاني واحد كما حصل في كندا واستراليا اذ لا أثر للجنود البريطانيين فيهما ، ومع أن بريطانيا العظمى لم تطلب منهما شيئا مدة الحرب فانهما قدمتا لها خدمات جليلة كثيرة من تلقاء انفسهما . والمراد الآن أن تسيروا انتم مثلهما حتى تصلوا الى ما وصلنا اليه وان كانتا من الامبراطورية البريطانية وانتم لستم داخلين فيها .

سعد : اذن وعودكم الرسمية بقرب الجلاء لا قيمة لها مطلقا في نظركم الآن وتفضل أن تحدثني حديث القـــوة ، وأن تحدثني عن خشيتكم من أن الامور قد لا تسير سيرا حسنا اذا تم الجـلاء . ولا محل لهذه الخشية لاننا ضعاف وانتم اقوياء . وما يخشى القوى ضعيفا . ولكن العكس طبيعي ومعهود . ولست أرى كيف يمكن

ان تمس املاككم بضرر اذا خرجتم من مصر خصوصا اذا كانت مصر حليفة لكم ، وما دمنا سنكون حلفاء فلا معنى لاساءة الظن بنا ٠

ملنر : نحن اذا تخلينا عنكم وخرجنا من بلادكم وقعت بلادكم فى ثورة كما جربنا ذلك مرارا ٠

سعد : اذا دخلنا الآن فى فروض واحتمالات فلا آخر لحديثنا وانا اؤكد ان الثورة لا معنى لها ولا هى محتملة ٠

ملنر : ان مسافة الحلف بيننا فى الواقع ليست بعيدة ٠

سعد : أرجو أن تقطعوا انتم هذه المسافة لانى لا أستطيع زيادة السير وانتم اقوى منى عليه ٠

ملنر : انى سأرسل اليكم خطابا غدا بعد اجتماعى بزملائى والمناقشة معهم فى موضوع مشروع الوفد الذى أرسلتموه الينا فى ١٩ يوليو ٠

وهنا افترقا ٠٠ بعد السلام كلاما وامتلاء نفسيتهما خصاما ٠

هكذا تكلم لسان القوة الغاشمة الميت الضمير بأسلوب اعتى ما يكون واقسى ٠

وهكذا تكلم لسان الحق الاعزل الشريف الشجاع باسلوب ابلغ ما يكون واقسى ٠

⊙❖⊙

عاد الرئيس الى حجرة الاجتماع فوجد الاعضاء جميعا وعدلى فى انتظاره فقص عليهم كل ما رأى وكل ما سمع وكل ما قال ، واذا هم جامدون فى مقاعدهم لا يتحركون ، ساد سكوت ووجوم والم ظاهر مكتوم ٠

ثم قال سعد وسط هذه « الجنازة » الصامتة : يحسن أن نستريح الآن وننتظرخطاب ملنر عنهاحتى تكون امامنا كل الحقائق فنناقشها كلها دفعة واحدة ، ونصل فيها الى قرار حاسم ٠ فوافقوا بالاجماع ٠ وانفض الاجتماع ٠

خطاب صاعق من ملنر

٢٢ يوليو :

فى الساعة الواحدة بعد الظهر وصل خطاب ملنر المنتظر بفارغ الصبر وهذا نص ترجمته الحرفية أسجلها هنا لما انطوى عليه من معان خطيرة :

« تسلمت مشروعكم المؤرخ ١٩ الجارى وأسف أن انهى اليكم اننى وزملائى لا نستطيع قبوله أساسا للمناقشة ، ولقد ذهبنا بعيدا فى رغبتنا فى ارضاء الوفد بل كنا ميالين للنزول عن بعض أمور كنا فى حكمتها مترددين كل التردد فعلنا ذلك بقصد اكتساب قبولكم الصريح للنقط القليلة التى نعتبرها تحفظات لا مندوحة عنها ، والتى نرى انفسنا مضطرين للتمسك بها ·

« لهذا أرجو أن تعتبروا وثيقتى الماضية (مشروع ١٧ يوليو) انها محتوية على أقل ما يمكن من التحفظات ، وانها تمثل فى معناها الحد الاقصى الذى يمكن أن نذهب اليه · ونرى أن ما اقترحناه سخى من جانب بريطانيا العظمى ، ثم انه فى الوقت عينه مفيد وشريف لمصر ·

« وكان أملنا أن يصادف مشروعنا قبولكم ، وينال مساعدتكم وتأييدكم أنتم وزملائكم وانصاركم ·

« ولذلك نرى اذا أريد استئناف محادثاتنا (كما ارجو ذلك من صميم الفؤاد) أن تقبلوا أن تستمر المناقشة على أساس تلك الوثيقة» ·

المخلص ، ملنر

حديث سعد لاعضاء الوفد

الآن بلغ السيل الزبى ، وطفحت الكاس باليأس وغامت كل نفس·

وابتسم الرئيس ابتسامة الفيلسوف وقال للاعضاء «الم أقل لكم»

« اتنتظرون بعد هذا نذيرا أو انذارا بقطع المفاوضة ، أصرح من هذا وأصرخ ؟ »

ولكن عدلى ولطفى السيد ومحمد على وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود لم ييأسوا كل اليأس ، وأما الباقون على ماهر وواصف

غالى والمكباتى وسينوت حنا وحمد الباسل فلم تعد تدخل صدورهم شعاعه من امل ولا بصيص من رجاء ، ونادانى الرئيس وقال لى على مرأى ومسمع من الجميع : « استعد لنســـافر الى باريس بعد غد » •

سعد يلح فى ضرورة قطع المفاوضات

ثم التفت الرئيس الى الاعضاء جميعا وقال « ماذا تنتظرون بعد الآن ؟ »

« ان ملنر قد صارحكم بأن مشروعه قد اشتمل على اقصى ما يمكن لبريطانيا التساهل والتسامح فيه ، ولما كان هـذا المشروع يصرح بان بريطانيا تضمن استقلال مصر ، وانها لهذا السبب يلزم ان يكون لها فى مصر نقط عسكرية من جيش الاحتـــلال لتامين مواصلاتهم الامبراطورية ، وأن مصر لا تعقـــد معاهدة مع دوله اخرى من غير رضا بريطانيـــا ، وأن ترتبط مصر ببريطانيا فى محالفة ابدية ، وأن يكون لبريطانيا حق مراقبة التشريع والقضـــاء والمالية فى بلادنا فيما يختص بالاجانب ، وأن يكون لممثل بريطانيا السياسى فى مصر مركز ممتاز ، ومتقدم ، على سائر ممثلى الدول ، فان هذه كلها عناصر الحماية الحقيقية السافرة ولا يمكن لواحد منا ان يقبلها بحال من الاحوال •

« ولا يمكن ان نقبل أن يكون هذا المشروع اساسا للمناقشة •

« واذن فلا معنى لبقائنا هنا بعد هذا الخطاب الصريح ، بل يجب السفر من لندن فورا الى باريس » •

عدلى يقترح تأجيل الجلسة

كان المنتظر أن يوافقوا بالاجماع على هذا الرأى وهذا القرار مدعمين بأقوى الحجج ، كان المنتظر أن يحـــزموا أمرهم فورا اذ ليس للموضوع وجه آخر ولا للامـــل نافذة واحدة ، ولكن عدلى اقترح تأجيل الجلسة الى صباح الغد حتى يفكروا هادئين مستقلين، حتى يفكر كل واحد على حدة ويبحث الموضوع والموقف بينه وبين عقله وضميره ، فلعل الله يحدث بعد ذلك امرا •

فوافقت الاغلبية على التأجيل ورفعت الجلسة على أن تنعقد فى الساعة العاشرة من صباح الغد • وعند انصرافهم حرصت عـلى

مقابلة صديقي محمد على علوبة الذى يأنس بي وأنس به · وهمست في أذنه أن يتناول معي العشاء ، هذا المساء حوالى الســـاعة التاسعة وقصدى من ذلك معروف · فقد أردت أن أعرف كل شيء من وجهة نظره وهو دائما رجل حصيف صريح مهذب منطقى حلو الحديث ، فاعتذر آسفا وقال انهم جميعا ذاهبون الآن للاجتماع بعدلى فى فندقه « كلارج » وربما تناولوا جميعا طعام العشاء معه ·

الآن فهمت شيئا : أعضاء الاكثرية فى الوفد لا يجدون كلاما يقولونه لرئيسهم سعد زغلول ويجدون كلاما كثيرا يقولونه لعدلى ويسمعونه من عدلى · ويأنسون اليه ، ويأنس اليهم ، وبين هؤلاء الاعضاء أنفسهم ورئيسهم سعد وحشة واى وحشة · منظر عجيب مدهش يحتاج الى تفسير ولكنى لا أحاول تفسيره حتى يتبين لى وجه الحق الكامل ، وانى لو حكمت الآن لحكمت حكما قاسيا عليهم وما أريد ذلك فقد أكون غير ملم بكل الحقائق وما أريد أن أظلم أحدا ·

وعقب انصراف الاعضاء اختلى الرئيس سعد بواصف غالى، الزميل الموالى والاديب المفكر ، والذى يجيد الفرنسية أضـــعاف أضعاف اجادته للغة العربية ، اختلى الرئيس وصاحبه وأخذا فى اعداد خطاب الى ملنر بالفرنسية يتضمن انه لم يبق للوفد بعــد انذاره الذى اشتمل عليه خطاب ملنر بالامس الا الاستئذان فى السفر ، وأعطانى الرئيس هذا الخطاب ليكتب على الآلة الكاتبة ، ولم أنصرف حتى تمت كتابته ·

جلسة للوفد صاخبة بين سعد والاعضاء

٢٣ يوليو :

حضر الاعضاء هذا الصباح وأعصابهم متوترة ظاهرة التوتر وحضر عدلى ورشدى كذلك ، وكانت جلسة صاخبة ، قرأ الرئيس على المجتمعين الخطاب الذى أعده مع واصف غالى ليرسل الى ملنر فورا ، وهنا تقدم رشدى وأخذ ينصح ويوصى بضرورة سعة الصدر والتروى والهدوء · وأخذ الاعضاء يبدون ملاحظاتهم وعدم موافقتهم على صيغة الجواب ، واقترح عدلى أن يقابل ملنر لعقــد جلسة أخيرة معه ، وثار الرئيس سعد وأخذ يصرخ بأعلى صـــوته ساخرا ومنتقدا لمظهر الضعف والتردد الذى شاهده ·



حسين رشدى

ثم قال : « اننا [illegible] حتى نتمسك بأوهام أوهى من خيط العنكبـوت ، الا ترون أن مشروع ملنر ومذكـرته ليست الا الحماية تحت اسم آخـــر وطلاء جديد ؟ أى أمل هناك ، وقـد بانت النيــاتاسطع من الشمس وأكثر احراقا منهــا ؟ ماذا تريدون وماذا تؤمـــلون وماذا تنتظرون ؟ اننا يجب أن نسافر جميعا من لندن فنحفظ كرامتنا وكرامة أمتنا، فما يليق بأمثالنا أن يتعلق بالاوهام » •

وهكذا ظل سعد يهدر غاضبا، وظل الاعضاء يردون غاضبين• وظل عدلى يثير الامـل الخفى على استحيــاء فيتمســك به الاعضــاء ، كمـا يتمســك الغـــريق بالقشــــة الطافيــة فوق سطح الماء • واشـــتدت المناقشة بين الاعضاء والرئيس اشتدادا حمل المكباتى أن يرى فيه نية بعض الاعضاء على الانسحاب من الوفد • فانسحب جانبا وكتب للرئيس كلمة يرجوه فيها بعدم التشدد تلافيا للفشل ، وانه قرأ على بعض الوجوه علامات الانسحاب من الوفد •

قرأ الرئيس الورقة ثم طواها وسكت • وبعد قليل اقترح عدلى ووافقه الاعضاء على أن يأخذ الخطاب الذى أعده الرئيس مع واصف غالى ويطلع ملنر عليه ، ويستجلى منه حقيقة الامر ، فوافق الرئيس على هذا الرأى ، وانتهى الاجتماع •

انصرفوا جميعا ، وظل الرئيس فى حجرته وحيدا ، ودخلت عليه وهو مطرق فرفع رأسه • ورأيته كالبناء الضخم ، فقلت له : « هل تسمح يا سيدى أن أجلس معك قليلا ؟ » •

قال : « اجلس •• أنا فى حاجة اليك » •

الاعتراف الثامن

وبعد أن سكت قليلا قال : « انى الآن فى اشد المازق واحرج المواقف ولا أملك لنفسي تدبيرا · والتدبير لله وحده · وقد عودنى الله أن ينقذنى من كل ضيق ، ويخفف عنى كل شدة من حيث لا ادرى فلانتظر فرجه ، انى صابر والله يحب الصابرين » ·

فقلت : « انت على حق ·· والامة كلها معك فماذا يضيرك اذا خالفك المخالفون » ·

الاعتراف التاسع

فقال : « انى افكر كثيرا فيما يكون من أمرى ـ فقد اشتد الخلاف بينى وبين بعض الزملاء كما ترى ، وأصبحت لا استطيع معاشرتهم ولا معاملتهم ، كما فقدت كل ثقة بعدلى · فماذا يكون من أمرى ؟

« خطر لى ان اتمارض وانسحب ، ولكن ذلك جبن وفيه شبه هروب ·

« او اعلن عدم اتفاقى معهم وكل ذلك تقسيم وفيه ارتباك وتخريب·

« او استمر معهم فى العمل ، وفى ذلك نفاق ومصانعة ، وما تعودت المصانعة والنفاق · اللهم أوسع حيلتى ، وأرشـــدنى الى المخرج السليم ·

« فما أريد لنفسى نفعا ، ولكنى لا اريد لها ضرا » ·

قلت : « يا سيدى أنت فى حاجة الى الراحة والنوم ، وبعد عن كل انفعال نفسانى ·· حسبك فخرا وارضاء لضـــميرك أنك قمت بواجبك الوطنى على أكمل وجه وســتعرف الامة موقفك هـــذا ، وستخلد ذكرك على مر الاجيال ، فماذا يهمك الآن ؟ » ·

الاعتراف العاشر

قال والحزن يقطر من وجهه ، والمرارة تنساب مع كل كلمة من كلماته :

« مسكين انا يا كامل لانى اعيش فى غير جيلى وامتد بى اجلى حتى أرى زملاء لا تجمعنى بهم جامعة ، ولا تربطنى بهم رابطة ·

« قوم التفوا حولى ليستخدمونى فى أغراضهم ، لا أن استعملهم فى غايتى . فلما بان لهم بعد غايتى عن غايتهم ، انفضـــوا من حولى ، ثم عملوا على معاكستى ، وانقلبوا من صـــداقتى الى عداوتى . ولكنهم ما فعلوا الا ما يوافق طباعهم ويرضى أهواءهم . ومادام لا غرض لى الا المصلحـــه العامة ، وليست لى مصلحة خاصة ، فلا ينبغى لى ان احزن ، ولا لوم على اذا لم اصل الى تحقيق هذه المصلحة بسبب معاكسة الخارجين . ومضايقة المشاكسين واهمال المساعدين ، ويلزمنى أن أستمر فى موقفى أحارب فيه حتى أسقط فى ميدان الشرف ، ذلك خير لى من أن أولى الادبار ، وأركن الى الفرار . خصوصا والامة لم تنفر منى ، بل وما زالت تلتف حولى ، فمن نكران الجميل أن أتخلى عنها قبل أن تتخلى عنى، وأن اتركها فى هذا الوقت العصيب .

« وكلما جد الجد كان تحمله فضيلة والصبر عليه مكرمة . فلأتحمل ولأصبر والعاقبة دائما للمتقين الصابرين ! » .

عدلى يقوم بمحاولة جديدة

٢٤ يوليو :

حضر الأعضاء جميعا هذا الصباح وحضر عدلى بعدهم بدقائق واجتمعوا بالرئيس .

فقال عدلى :

انه اجتمع أمس بملنر ساعة كامـــلة وقد أطلعه على الخطاب الذى أعده الرئيس فقال ملنر انه لم يجل بخاطره مطلقـــا قطع المفاوضة ، وأكد أنه مستعد للنظر فى التعديلات التى يريد الوفد ادخالها على مشروعه ، وأن عدلى وملنر اتفقا على البحث عن طريقة مرضية لاستئناف المفاوضات .

فحبذ الاعضاء هذه الفكرة وأظهروا الميل الى تأجيل الســـفر انتظارا لما عسى أن يعمله عدلى مع ملنر ، وهنا لاحظ الرئيس أن عدلى لم يأت بجديد لان اللورد ملنر نفسه صرح فى الخطاب الذى

ارسله بانه مستعد للنظر فى « ملاحظاتنا عليه » ، وهذا عين ما قاله لعدلى باشا ، ثم قال الرئيس : « انى مازلت أرى ان بقاءنا هنا فى لندن مضيعة للوقت، وغض من الكرامة الشخصية والقومية»

فطلب عدلى من الرئيس أن يتمهل قليلا لان عنده كلاما يريد ان يقوله فى خلوة ٠

ثم انتقل عدلى من مكانه الى سعد ، وقاما معا الى حجرة مجاورة وانضم اليهما رشدى باشا الذى وصل الى لندن امس ٠

فقال عدلى : « ان ملنر عند قطع المفاوضة يريد أن يتكلم فى تقريره بخصوصكم ، لا بصفة اعتراض عليكم ، بل بصفة اعتذار عنكم ، ولا يود أن تكون المقاطعة مغاضبة وأن التسهيلات التى ينتهون اليها (اذا لم تقبلوها) تفيد فى انهم لا يعدلون عنها ، بل يعرضونها من طرفهم لتكون اساسا لاتفاق بينهم وبين الامة فيما بعد » ٠

فقال سعد : هل يريد ملنر فى هذه الحالة أن اسكت عن معارضة هذا الاساس ٠

قال عدلى : اظن ذلك ، ووافقه رشدى ٠

فقال سعد : اذا كان المراد سكوتى فانى لا أعطى وعدا به ، بل احتفظ لنفسى بحرية العمل ٠

فقال عدلى : لا حاجة الى وعد تعطيه ، وانما المسألة مسالة تفاهم بسيط على عدم المعارضة مؤقتا ٠

وقال سعد : كل شيء يتوقف على الظروف ، وانتهى اجتماع الخلوة ٠

هدف عدلى

وبعد انصراف الاعضاء اخبرنى الرئيس بانه فهم فهما غامضا بأن عدلى ورشدى يريدان الاستمرار فى المفاوضات بعد أن يقطعها الرئيس ، وأن اعضاء الوفد يميلون ميلهما ومستعدون للتظاهر بالانقسام اذا خالفهم الرئيس ٠

فقلت له : ان قرائن الاحوال تدل على هذا الاتجاه دلالة واضحة، فقد أجمع الاعضاء معك على رفض مشروع ملنر واجمعوا كذلك

على مشروع الوفد ومع ذلك فاغلبية الوفد ما زالت تؤيد عدلى فى نشاطه واتجاهاته وتصرفاته ، وتشجعه على الاستمرار فى ذلك رغم معارضتك ورغم علمهم التام بأن ملنر قد كشف عن نياته الحقيقية فى محادثاته معك ، وفى خطابه الاخير مما لا يتفق مطلقا مع قضية الاستقلال • فقال سعد : « علينا الآن أن نعرف ماذا يجب أن يعمل » •

•• ومشروع غير صالح

٢٥ يوليو :

علم الرئيس اليوم أن عدلى ورشدى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة اشتركوا فى وضع مشروع جديد فى ثلاث عشرة مادة • بفكرة أن يكون الطريقة التى يرونها مرضية لاستئناف المفاوضات ، وان عدلى حمله بنفسه الى ملنر بدون أن يطلع الرئيس سعد عليه قبل أن يقدم الى ملنر •

فاستاء الرئيس استياء شديدا لهذا التصرف ، وازداد استياؤه أضعافا مضاعفة بعد الاطلاع عليه ، وقال فى غضب : « ان هذا المشروع غير صالح لان يكون أساسا للمفاوضات لانه جامع لكل أركان الحماية ، ولا يجوز لنا أن نتفاوض على أساس الحماية » •

٢٥ ــ ٣٠ يوليو :

حضر بعض الاعضاء ظهر اليوم لمقابلة الرئيس وتوسلوا اليه أن يؤجل سفره من لندن أياما قليلة حتى تتم مقابلة هامة بين عدلى وملنر يوم ٢٨ يوليو ، وهو الموعد الذى حدده ملنر لكثرة اشتغاله باجتماعات مجلس الوزراء البريطانى يوميا فى هذه الظروف الدولية العصيبة ، اذ أخذت الجيوش البولندية تنسحب فى شكل هزيمة منكرة أمام الانتصارات المتتالية للبولشفيك الروس ، وعلى الرغم من تهديد الحلفاء للروس البولشفيك بوقف زحفهم وسحقهم للجيوش البولندية أو يساعدون بولندة بكل الوسائل التى لديهم ، فان البولشفيك لا يكترثون لتهديد الحلفاء ويريدون أن تسلم لهم بولندا من غير شرط أو قيد •

علوبة يطلعني على حقيقة معسكر الاغلبية

٢٦ يوليو :

اتصل بى تليفونيا هذا الصباح محمد على علوبة وقال :

ـ انى أرجوك أن تقبل الغداء معى اليــــوم . فقلت انى اقبله مع الشكر الجزيل .

وقال .. حسنا فاتفقنا على تناول الغداء فى مطعم بيكاديلى وأن تكون المقابلة فى ردهة الفندق ، فى الساعة ٣٠ر١ بعد الظهر. وقد عقدت العزم وانا فى طريقى اليه الا أدخل معه فى مناقشة بل اتركه يتحدث ويفيض بكل ما عنده حتى اقف على الحقائق كلها والبواعث والاهداف لجماعة الاغلبية فى الوفد . ثم ماذا تفيـد المناقشة ؟ هل انا اقوى حجة من الرئيس سعد الذى عجـــز عن اقناعه هو وزملائه ؟ اذن لا مناقشة وانما استماع بيقظة واهتمام ولا انسى أن نشاط المتكلم على قدر فهم السامع واهتمامه ، ولم يجد صاحبى من هو اكثر اهتماما منى بكلامه ولا أعظم تقـدير منى لبيانه .

تقابلنا ودخلنا حجرة الطعام ، وفى أحد اركانها استقر بنـــا المقام ، وبدأ الكلام فقال :

« انا آسف لانى لم اتحدث اليك منـــذ أمد طويل » . فقلت « ما اشد حاجتى الى الاستماع الى رأيك والى تحليلاتك وتعليلاتك لما يجرى الآن من احداث جسام ، انى لا أجـــد أمامى الا ظلاما وخصاما .

فابتسم قائلا : « ان الشباب لا يرى الظلام ولا يعرف التشاؤم ، ولكنك معذور الى حد ما .

وابتدأ الكلام فى قلق ظاهر عن مسألة القبض على عبد الرحمن فهمى ومن معه وما يجرى فى مصر الآن من المظالم البريطانية ، والاجراءات الاستثنائية والتعسفات العسكرية التى لا يقبلهـــا عقل ولا يقرها قانون ، والتى ربما عرضت حياة هذا الرجل المخلص الوطنى النشيط الجرىء هو ومن معه لأشد الاخطار كالاعدام أو الاشغال الشاقة المؤبدة ، ثم قال :

« الم تلاحظ ان كل هذا حصل عندما تعثرت المفاوضات هنا فى

لندن وأخذ سعد يهدد بقطع المفاوضات والعودة الى باريس ؟ ان الانجليز يعرفون تماما أن مثل هــذه المفاوضات سيحدث ثورة ثانيه فى مصر فاعتقلوا مقدما عبد الرحمن فهمى وأصحابه وأعوانه حتى اذا قطعت المفاوضات لم تقم ثورة فى مصر بسبب اعتقال كل من يمكن ان يتولى قيادتها أو اثارتها أو الاشتراك فيها . فهو اجراء تحفظى من جانبهم لحمايه أنفسهم ومركزهم فى مصر ككل اجراء تحفظى لمنع ارتكاب جريمة قبل وقوعها . فلولا سعد وتهديده المستمر بقطع المفاوضات عند كل عقبة ، ولولا تشاؤمه المستمر من كل محاوله لوصل ما انقطع من المحادثات والتغلب على العقبات رغبة فى الوصول الى اتفاق ، لولا هذا المسلك من جانب سعد لما رايت كل هذا البلاء الذى نراه فى مصر ٠ وسعد مع ذلك ساخط علينا جميعا لاننا لا نميل ميله ، ولا نرى رأيه ، بل نرى ضرورة الوصول الى اتفاق ٠ وهو يهدد باستمرار وفى كبرياء وعناد ، برفض كل رأى وكل اقتراح وكل فكرة لا تتفق مع رياســـته فى المفاوضات وضرورة قطعها والعودة فورا الى باريس ، ولو اطعناه ماذا بالله نستطيع أن نعمله فى باريس ؟ وأى خير يعود على بلادنا المنكوبة المسحوقة المعذبة فى اقامتنا فى باريس ناعمين متعطلين ؟ ماذا نعمل وماذا نريد ؟ ٠٠ جرائد باريس لا تنشر للوفد شيئا ، لا مذكرة ولا بيانا ولا احتجاجا الا اذا كان ذلك فى شكل « اعلان » فع ثمن كل سطر كما يدفع كل صاحب اعلان ٠

« هل نرجو مساعدة فرنسا ؟ فرنسا هذه التى بعثت الى فيصل رغا نهائيا تأمره فيه بأن يعترف بوصايتها على الشام وبأن اللغة الفرنسية هى لغة البلاد ، وأن العملة الفرنسية عملتها والا حاربته وسحقته واحتلت حلب ودمشق فاحتج فيصـــل بما تحت يده من وعود مقطوعة وحاول المقاومة ولكن ماذا تنفع المقاومة العربيـــة ازاء الطائرات والدبابات والمدافع والجيــوش المـــدربة والمطامع الاستعمارية ؟ وكانت النتيجة عزل فيصل وسقوط الشـــام كله فى يد فرنسا الجمهورية ٠

هل نرجو مساعدة ايطاليا التى لا تستطيع أن تحرك اصبعا فى وجه بريطانيا وفرنسا ؟ ٠٠ أم المانيا ؟ التى هزمت وقهرت واذلت الى درجة لا يتصورها خيال ، لقد عارضت فى تسريح كل جيوشها فدعا مؤتمر « سبا » الماريشال فوش ليحل المشكلة بضربة يحتـــل بها كل المدن ، فسلمت المانيا وسرحت جيوشها وعارضت اخيرا فى مسألة الرور وحجمه الذى هو مصدر حياتها الاقتصادية فضـــلا

عن أنه المورد الوحيد الذى بواسطته تستطيع أن تسدد الغرامات الحربية الباهظة التى فرضت عليها فرضا ، فدعا مؤتمر « سبا » الماريشال فوش مرة ثانية ليحتل كل منطقة الرور ، فانصاعت المانيا وخضعت فى ذلة اليمة وهى تحاول حينا أن تناقش بالعقل والمنطق خصما عنيدا يريد شيئا معينا وهو عاقد العزيمة على الحصول عليه بالقوة القاهرة ٠

« أم نرجو مساعدة تركيا التى سحقت فى الحرب ومزقت اربا بجيوش اليونان وذخائر الحلفاء وطائراتهم وضباطهم واحتلالهم الاستانة (اسطنبول) بعد سقوط أدرنة فى أيدى اليونان ، ثم ترى جيوش مصطفى كمال تنسحب فى آسيا الصغرى الى الداخل من مكان الى مكان والحلفاء ينذرون تركيا بامضاء معاهدة الصلح الثانية أو تطرد نهائيا من الاستانة وكل أوربا ، فاستقالت الوزارة العثمانية ، ولكن سرعان ما الف السلطان وزارة تركية أخرى رأت من حسن السياسة أن تمضى المعاهدة الكريهة وهى صاغرة ٠

« أم نرجو مساعدة أمريكا التى أدارت ظهرها للعالم بعد أن فشل الرئيس ولسون فى تنفيذ مبادئه فى مؤتمر فرساى ، والآن عادت أمريكا الى عزلتها القديمة وعكفت على شئونها الداخلية بعد أن أكسبت بريطانيا وفرنسا وايطاليا الحرب ٠ والآن قد خلا الجو لهؤلاء الحلفاء الغربيين ظلموا واستبدوا وطغوا فى كل مكان ٠٠ مع كل هذه الحقائق الظاهرة الصاعقة يريد سعد أن يعود الوفد الى باريس!

« حقا ان الوفد يستطيع أن يعود مرفوع الرأس محفوظ الكرامة ، ثم لا شىء غير ذلك ، ولكن السؤال الهام هو : ماذا يعمل فى باريس أو ماذا ينتظر اتمامه فى باريس ؟

« هذه اسئلة لا تخطر ببال سعد ٠٠ لا يكترث بها عند سماعها ٠ فهو رجل خيالي أو مثالى أو قل فيه ما شئت الا أنه رجل عملى ٠ ان الانجليز حاولوا أن يسحقوا فى مصر ثورة ١٩١٩ بغلظة ووحشية معدومة النظير فقد حرقوا القرى وقتلوا عددا كبيرا من الرجال والنساء والاطفال ، وهم الآن مسيطرون على مصر سيطرة مريعة بجيوشهم وموظفيهم واستعمارهم الوحشى فى كل مكان ٠٠

« ونحن هنا نفاوض ونطالب بحقوق البلاد ، ومصر الآن تقف وحيدة فى وجه بريطانيا الغشوم التى تركتها الدول تفعل فى

مصر وفي غيرها كما تشاء لانهن أنفسهن مشغولات باعتـــداءات أكثر وحشيه وشناعة في بقاع اخرى ·

« هل تظن ان بريطانيا تخشى راى التاريخ والعالم المتمـــدين فتتردد او تمتنع عن الفتك بمصر وبعين المصريين بكل ما تملك من قوة ووحشيه ؟ وما هى الشام والعراق وتركيا وبلاد العرب تمزق كل يوم بايدى اليونان والطليان والفرنسـيين والانجليز ، ولا من سميع ولا مجيب ولا نافذ ولا مجير ·

ثم استطرد علوبة فقال : « ·· في هذه الظروف الدولية القاسية التعسة التي تحيط بنا ، وفى هذا الجو الخانق الذى تتنفس فيه ، وفى هذا العالم الظالم الذى ليس لنا فيه صديق او معين او نصير، يريد سعد منا ان نقطع المفاوضات ونعـــود الى باريس · فيزداد البلاء في مصر بلاء ، ونحن عاجزون عن العمل في اى مكان · أهذا أحسن وأفضل من الاستمرار فى المفاوضة هنا فى لندن عسى أن تنتج وساطة عدلي وصداقته للنر بعض الخير لبلادنا ؟ ولكن سعدا يقول ويكرر ، ثم يقول ويعيد ، ولا يتعب من القول والاعادة والتكرار بأن ما يعرض علينا خارج عن توكيلنا ، كأنه محام يترافع فى قضية عادية لا زعيم سياسى يتفاوض فى قضية سياسية ، ومع ذلك خذ قضية عادية ، سل أى مصرى أو أى انسان عاقل : اذا أن لك دين على رجل بمبلغ ١٠٠ جنيه وأنت تطالبه برد هذا الدين ذى تعهد مرارا برده وهو مع ذلك متعنت لا يريد رده فعـــلا ، يس هناك أية محكمة فى العالم تنصفك وتعدل وتحكم لمصلحتك، م يأتى هذا الرجل المدين ويبدى لك استعداده لرد ٧٠ جنيها من هذا الدين فهل ترفض لانه ممتنع عن رد الثلاثين الباقية أم تقبل السبعين وتنتفع بها ثم تستمر فى المطالبة بحقك في المبلغ الباقي عنده»

وهنا سكت صاحبى قليلا فظننت انه يستريح أو يستجمع باقى أفكاره ، ولكنه التفت الى وقال : « اني أسالك انت بصفتك مصريا وطنيا متنورا هل تقبل السبعين جنيها أو ترفضها فى مثل هــــذه الظروف وتصر على المطالبة بالمائة كلها على أساس مبدأ « الكل أو لا شيء » ·

ابتسمت لهذا السؤال المفاجيء · وقلت : « ان هذا الســـؤال كما وضعته يختلف فيه اثنان بل لا يتردد فى الجواب عنه انسان وهو القبول حتما ، ولكنه سؤال ينطوى على تبسيط معرف لمسالة

شديدة التعقيد · ولهذا أرى أن هذا السؤال لا يمثل الواقع والحقيقة تمثيلا دقيقا ، ذلك لان ملنر لا يريد أن يعطينا ٧٠ جنيها ويحتفظ بثلاثين ، وانما يريد أن يمنحنا هذه السبعين بالشروط الآتية :

١ ـ أن يستمر ساكنا معى فى البيت أى يستمر محتلا لبلادى يهدد بوجوده حياتى ·

٢ ـ أن يعين لى مستشارا ماليا يشاركنى فى عمليـــة صرف السبعين جنيها ، فلا أستطيع أن أصرف شيئا الا بموافقته ، فاذا عارض استحال الصرف ·

٣ ـ أن أظل مقيدا برأيه فلا أصادق الا من يرضى عنه ، ولا أخاصم الا من يسخط عليه ·

٤ ـ أن يتولى هو الدفاع عنى · وحمايتى من أى اعتداء يقع على ، وهذه هى الحماية بعينها ·

٥ ـ أن يعقد معى محالفة أبدية · فلا يتركنى ابدا ولا أستغنى عنه ابدا ·

« اليست كل هذه الشروط عناصر الحماية ومقوماتها ، وهى الحماية التى قامت الامة قومتها للخلاص منها ؟ وماذا بقى لى بعد ذلك من الحرية والاستقلال فى التصرف فى مبلغ الســـبعين جنيها ؟ لا شىء ·· لو أنك وضعت سؤالك من غير هذه الشروط فالجواب بداهة بالقبول ·

فضحك صديقى محمد على علوبة وقال : « وهو كذلك ·. ولكن اليست وظيفة المفاوض المصرى أن يجتهد فى تعديل هذه الشروط وتخفيفها أو العمل على ازالتها ؟ أليس واجبه أن يصبر ويصابر ويفكر ويدبر للخلاص مما يضيق به ، وينفر منه ثم يتحايل بالصيغ والاساليب لادراك ما يريد ؟ أليس هذا عمل السياسى المفاوض »

فلم أشأ أن أدخل معه فى مناقشة ثانية فأقول له مثلا ان الرئيس سعدا قد فاوض ملنر طويلا ، وفكر ودبر وصبر وصابر ، وتحـايل بشتى الوسائل لابعاد الحماية وشبحهـــا عن مصر فلم يوفق ، لم أشأ ان أقول هذا حتى لا أدخل فى جدل عقيم ، وحسب الرجـل فضلا انه أتعب نفسه وشرح لى وجهة نظره شرحا مستفيضا ، وهذا بالضبط ما كنت أنشده وأسعى اليه فحصلت عليه ·

حديث مع محمد محمود

٢٧ يوليو :

زارني اليوم في مكتبي محمد محمود باشا وأنا أتصفح الجرائد الانجليزية وسألني عن بعض الامور ثم دعاني للغداء معه حيث جرى حديث عن صحة الزعيم سعد وما عكسته عليها طبيعة المفاوضات العقيم . ثم قال محمد محمود باشا : « ان المفاوضات بين مصر وبريطانيا ، ليست مفاوضة بين ندين متعادلين ، وانما هي مفاوضة بين القوة المسلحة والحق الاعزل : مصر تقول ان بريطانيا وعدتها بالجلاء ٦٣ وعدا ، فتجيب بريطانيا ، وليكن ١٦٣ وعدا أو اكثر ثم ماذا ؟ ومصر تقول ان عليك يا بريطانيا أن تنفذي وعودك . فتجيب بريطانيا : لا افعل ولا أنفذ لانّ ذلك ليس من مصلحتي . ومصر تقول : هل هذا حق ؟ فتجيب بريطانيا وماذا تريدين ؟ اني بحثت عنك اكثر من مائة سنة للاستيلاء عليك وحمدت الظروف التي أوقعتك في يدي ، فكيف أتركك الآن ؟ ومصر تقول : اني اريد أن أعيش حرة مستقلة ، فتجيب بريطانيا ، أستطيع أن أجعلك تعيشين حرة نصف مستقلة فلا تنتظرين مني اكثر من ذلك .

« هذا هو الوضع تماما ، وسعد يريد الاستقلال مائة في المائة وهذا محال . اليس من الافضل أن نحصل على شيء ونتقوى به ثم نطالب بغيره ، الا ترى أن مبدأ الكل أو لا شيء مبدأ خطير .. لقد تحدثت في هذا الشأن مع سعد أمس فلم يوافق بل رفض في اصرار » .

الفصل الرابع

٢٩ يوليو :

• قابل عدلى ملنر الذى اخبره بان بريطانيا تتشبث بامور اربعة كل التشبث ، ولا مندوحة منها :

١ ـ أن تكون مشرفة على التشريع للاجانب ٠

٢ ـ أن تحتل منطقة القنال لتامين مواصلاتها الامبراطورية ٠

٣ ـ الا تعقد مصر معاهدة سياسية من غير رضا بريطانيا ٠

٤ ـ أن يكون لممثلها السياسى فى مصر صفة خاصة ، وأن يكون مقدما على سائر ممثلى الدول السياسيين ٠

وفى المساء اجتمع الوفد بكامل أعضائه وأبلغ عدلى هذه النقط الاربع اليهم ، وقال انها لاشك تقدم محسوس ، فاظهر لطفى السيد وعبد العزيز فهمى اعجابا شديدا بالتوفيق الذى أدركه عدلى وقدما الشكر اليه ٠

وقال الرئيس : « هذا اخف انواع الحماية واقل انواع الاستقلال٠ اما النقطة الاولى : فخطورتها محدودة وان كانت انجلترا ستتخذ منها ذريعة للتدخل فى كل عملية تشريعية على انه يمكن تخفيف ذلك على ما أرى بأن تقتصر معارضتها فى القوانين التى لا نظير لها فى قوانين الدول صاحبات الامتيازات ٠

« واما النقطة الثانية : فهذه غاية الخطورة لانه يصح ان تتدخل انجلترا بجنودها في أى اضطراب داخلي بحجة انه يهدد القتال او مصالح الاجانب فتحرم مصر بذلك من عمل أى تغيير في الانظمة الداخلية التي لا بد منها حسب سنة التطور العالمي ٠

واما النقطة الثالثة : فهي مظهر من مظاهر الحماية ٠

« واما النقطة الرابعة : فهي مظهر صارخ جدا من مظاهر الحماية ودليل على تبعية مصر لبريطانيا » ٠

فقال عدلي انه قضى ثلاث ساعات مع ملنر وهرست ، وكان هرست اكثر تشددا ويكرر السؤال لماذا لا تقبلون الحماية ؟ وقال ملنر لعدلي ان الاتفاق بينه وبين سعد بعيد ٠ وانه تساهل كثيرا رغبة منه فى الاتفاق على هذه النقط الاربع التى لابد لبريطانيا منها ، كما صرح ملنر بأنه سيقدم تقريره بعد أسبوعين او ثلاثة وأنه يرجو أن سعدا لا يعارض ما يتضمنه تقريره من المقترحات عند عرضها على مصر ٠ فقال عدلي ان ذلك يتوقف بطبيعة الحال على نوع الاقتراحات وأنه يظن أن سعدا لا يرضى أن يعطى وعدا صريحا بذلك ٠

فقال ملنر : « انى لا اطمع فى الوعد الصريح ، وكل رغبتى أن يعودوا من هنا غير غاضبين ومعلنين الحرب على آرائنا وخطتنا »٠

فوعد عدلي أن يتكلم مع الرئيس ومع أعضاء الوفد في ذلك ٠

وهنا قال سعد لعدلي : « انى لا أعد بشيء ٠ وأريد أن أحتفظ بنفسى بحرية العمل » ٠

ثم تداول الوفد فى قطع المفاوضة وطريقتها ، وأجل قراره الى ما بعد مقابلة عدلي لملنر ٠

مصادمة بين سعد وعلوية بسبب اقتراح من ملنر

٣١ يوليو :

كان الوفد مجتمعا برياسة سعد كالعادة وحضر عدلي وقال انه اجتمع فى الصباح بملنر فاكد على انه شديد الرغبة فى الاتفاق

مع الوفد ، وأنه يرى أن يجتمع معه هو وهرست ورتل وود وسيندر يوم الثلاثاء القادم لبحث المشروع الذى وضعه عدلى بمعاونة عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على علوبة ، وأن ملنر أطلعه على مذكرة من حكومة اليونان بأنها تقبل التنازل عن الامتيازات اذا بقيت الحماية • أما اذا حدث تغيير فانها تعود كما كانت من تلقاء نفسها ، وزاد ملنر بأن قال لى أن الدول الاخرى تنحو جميعا هذا النحو ، وأنه مع شدة رغبته فى أن يعقد مع الوفد اتفاقا يلزمه بأن يقدم لحكومته تقريرا ، وأنه يفهم جدا أن الوفد لا يمكنه أن يؤيد مشروعا الا اذا كان تحت يده وعد من الحكومة البريطانية بتنفيذه من جانبها • وما كاد عدلى يتم كلامه حتى قال لطفى السيد حسن جدا نشكر معاليكم • وعد الباقون من الاعضاء هذا القول خطوة واسعة نحو الاتفاق ، وأنه فتح بابا جديدا للامل •

وفى ختام الجلسة بعد انصراف الاعضاء ، همس عدلى فى أذن سعد بأن ملنر طلب منه أن ينتدب الوفد محمـــد على علوبة ليتنـــاقش مع هرست فى « مشروع هرست » الخاص بموضـــوع الامتيازات الاجنبية ، فاستغرب الرئيس تدخل ملنر فى شئون الوفد الداخلية الى هذا الحد ، وقال ان عبد العزيز فهمى اقدر منه على هذا الموضوع لانه سبق له أن درسه وعلق عليه • وأراد سعد التذرع بهذه الحجة لمنع تدخل ملنر فى شئون الوفد الداخلية •

وعندما تقابل سعد مع محمد على علوبة قال له : « لماذا اختارك ملنر لتتناقش مع هرست فى مشروعه » ؟

فقال محمد على علوبة (غاضبا) : « لانه يعلم انى ساخون وطنى وأوافقه على ما يريده » •

فقال سعد : « أستغفر الله انك لم تفهم قصدى » •

فقال محمد على علوبة : « هذا لا يهم » • فاستاء سعد وغضب من هذا الرد الجاف • وهكذا تسوء العلاقات الشخصية يوما بعد يوم بين الرئيس والاعضاء بسبب توتر الاعصاب وانعدام الثقة •

وفى مثل هذه الظلال الثقيلة لا تعيش مودة ولا تبقى كياســـة بل تموت فى جوها الخانق كل لباقة •

مقالة خطيرة فى جريدة التيمس موعز بها

٢ اغسطس :

نشرت جريدة التيمس اليوم مقالة شنيعة اللهجة جاء فيها :

« المفاوضات بين لجنة ملنر والوفد المصرى قد طالت اكثر مما ينبغى ، وحق على الوفد أن يكون قد عرف بالضبط نيات لجنة ملنر ومدى ما هى مستعدة للذهاب اليه من التساهل ، كما أن الوفد لا بد أن يكون قد شرح للجنة كل ما عنده من آراء ، واذن يجب على الوفد أن يفهم أن هناك حدا لصبر اللجنة والمشتغلين بالمسالة المصرية • وخير لزغلول ورفاقه الا يسيئوا تفسير روح المسالة التى ظهرت بها اللجنة ازاء هذه المسالة المعقدة ، وأن ينتهزوا فرصة استعداد اللجنة لاجابة المطالب المصرية المعقولة ، والا فلا معنى لاستمرار المفاوضات وضياع الوقت بغير طائل ، والاولى أن تستأنف اللجنة اكمال تقريرها الذى قطعته رغبة منها فى الاستماع الى زغلول ورفاقه واصحابه » •

هذه مقالة موعز بها من غير شك ، والا ما تجرأت جريدة عالمية محترمة كجريدة التيمس أن تنشر كلاما كهذا بغير وحى رسمى هبط اليها من الحكومة البريطانية أو من ملنر نفسه ، فدعا الرئيس اعضاء الوفد فورا عقب فراغى من ترجمة هذه المقالة واطلاعه عليها وقال للاعضاء :

« ان الانجليز كما ترون لا يريدون أن يزيدوا شيئا على ما اقترحوه حتى الآن ، وأن أحسن ما نصنع هو المبادرة بالسفر » •

ثم حضر عدلى اثناء الاجتماع ولم يجد كلاما يقوله سوى انه لم يشعر من ملنر بانه ضاق ذرعا بالحديث والمفاوضة ، وانه على موعد معه ظهر اليوم ، بل انه على العكس راغب فى الاستمرار • فقال سعد أنه سيسافر من لندن يوم ١٠ اغسطس وانه حدد هذا التاريخ البعيد حتى يتمكن الاعضاء من تدبير شئونهم الخاصة حتى يسافروا معه ، وأن البقاء فى لندن أصبح لا يطاق ولا يمكن تبريره بحال من الاحوال لا سيما بعد هذا الكلام الصريح الوارد فى المقالة الافتتاحية لجريدة التيمس •

بين ملنر وعدلى

ولما بلغ هذا الخبر الى ملنر بواسطة عدلى ، كتب ملنر خطابا بخط يده الى الرئيس سعد يعتذر فيه عن التأخير والتطويل . ويشير الى أن المحادثات الجارية بينه وبين عدلى جرت بناء على اقتراح الوفد وانه سيجتهد فى الانتهاء منها قريبا ، والح فى الرجاء أن يبقى الرئيس والوفد بضعة أيام اخرى ، فقبل سعد هذا الرجاء ، ولكنه لاحظ أن المناقشة مع عدلى كانت بناء على اتفاق بين ملنر وعدلى ولا شأن لسعد وللوفد بها كما اشار اليه ذلك الخطاب .

وقد استمر عدلى يقابل ملنر ويتحادث معه للبحث عن الطريقة المرضية لاستئناف المفاوضات ، وكان عدلى يحضر لمقابلة الرئيس واعضاء الوفد عقب كل اجتماع ويروى ما دار من المناقشات فى الموضوعات المختلفة .

خطاب من سعد الى النحاس

٣ اغسطس :

كتب الرئيس اليوم خطابا الى مصطفى النحاس جاء فيه :

« يؤسفنى أن اكاشفكم باننا لم نعد نرى من السهولة فى المفاوضة ما صادفناه فى بدايتها . واصبح الامل لا يهش لنا هشاشته الاولى ، وقبض القوم يدهم بعد أن بسطوها . وعدلوا عن بعض المسائل التى كنا نظن أن الاتفاق تام عليها ، وهم يطلبون الآن منا أن نقبل النقط الاربع الاتية :

١ ـ أن تكون بريطانيا مشرفة على التشريع للاجانب .

٢ ـ أن تحتل منطقة القنال لتأمين مواصلاتها الامبراطورية .

٣ ـ أن لممثلها السياسى فى مصر صفة خاصة وأن يكون مقدما على سائر الممثلين السياسيين للدول الأخرى .

٤ ـ الا تعقد مصر معاهدة سياسية من غير رضا بريطانيا .

وفوق هذا فقد طرأت مشكلة اخرى وهى أن الحكومة البريطانية لا تريد على ما يظهر أن يتم الاتفاق على اعترافها باستقلال مصر

قبل أن نتأكد من قبول الدول لقيامها مقامهن فى الامتيازات الاجنبية، ونقترح بناء على ذلك أن يكون الاتفاق بيننا وبينها معلقا على هذا القول ٠

« هذا مركز المسألة الآن ٠ ولا أدرى ما يأتي به الغد »

سعد زغلول

٦ أغسطس :

اجتمع الوفد وحضر عدلى وقال انه قابل ملنر الذى قال له :

« ما معنى سوء الظن بنا ، سيكون لمصر برلمان ووزارة مسئولة أمامه ومستشار للمالية ليس له فى الواقع والحقيقة الا ما لصندوق الدين من حقوق ، فهل كل ذلك ليس دليلا قويا مقنعا لكم على حسن نيتنا ؟

اننا لا نريد أن تكون جنودنا فى منطقة قنال السويس لانهـا منطقة دولية ومحايدة حسب المعاهدات القائمة الآن ٠ فلا مندوحة لنا من ابقاء جنودنا فى الداخل قليلا أى فى جهة التل الكبير أو الزقازيق مثلا وأن يسمح لنا بنقل جنودنا من مكان الى آخر فى السكك الحديدية المصرية لارسالها الى السـودان أو الى الشرق فهل هذا كثير على مصر أن تقبله وترضاه وأن يؤيده زعماؤها الآن ٠ ونحن فى يدنا كل شىء فى الوقت الحاضر ، ومستعدون أن نتخلى عنه فى مقابل هذه المطالب المتواضعة ؟ »

فقال سعد : « انى قلت لملنر مرارا وتكرارا اننا لا يمكن أن نقبل ذلك وأن مطالبنا أساسية كالغاء الحماية واعلان الاستقلال ، وهو مع ذلك يلف ويدور ويكرر مطالبه الاستعمارية بلا خجل وينتظر منا أن نتعب ونسأم ونسلم بها فى النهاية وهذا مستحيل ٠ وأما عن سوء الظن بالانجليز فعندنا الف دليل ودليل على حقنا فيه ٠ وأقرب دليل على صحته قبضهم على عبد الرحمن فهمى واخوانه ظلما وعدوانا والاجراءات الاستثنائية التعسفية الظالمة التى لجأوا اليها أخيرا فى محاكمتهم ، واستمرارهم فيها رغم المفاوضات » ٠

سعد مصمم على السفر من لندن وأعضاء الوفد مرتبكون

الرئيس مصمم على السفر من لندن الى باريس يوم الثلاثاء القادم ١٠ أغسطس والاعضاء منقسمون فى الرأى فى مسـألة

السفر . فقام الرئيس وتركهم وذهب الى حجرته والارتباك ظاهر بين صفوفهم · فلا هم قادرون على اقناع الرئيس بضرورة البقاء فى لندن ، ولا هم قادرون على اقناع انفسهم بضرورة السفر الى باريس ، ولا هم قادرون على تقديم حجة واحدة تبرر البقاء فى لندن أياما اخرى ، ولا هم قادرون على التخلف فى لندن اذا سافر الرئيس وحده أو مع بعض الاعضاء الى باريس ، ولا هم قادرون على قبول ما عرضه عدلى عليهم اخيرا خصوصا بعد أن أظهر الرئيس سخطه الشديد عليهم ، ولا هم قادرون على تكليف عدلى بمهمة جديدة تبرر الاقامة فى لندن بضعة أيام اخرى ، ولا عدلى قادر على أن يقول كلاما جديدا يبرر البقاء او يشجع على الامل ·

فما العمل ؟ ··

السفر كريه · والبقاء كريه ، والامل معدوم · والافق امامهم غيوم وهموم ، ارتباك وحيرة وقنوط ، وعجز تام عن الوصول الى قرار حاسم ·

فانصرفوا بين ساخط وقانط وبين اقل أمل صاعد ويأس هابط ·

ولابد على كل حال من الوصول الى قرار فى جلسة الغد فى الساعة الخامسة بعد الظهر ، فالى جلسة الغد مصير الامور ·

◎❖◎

خرج عدلى وخرج الاعضاء معه ووراءه وليس بينهم وجه باسم ولا حتى وجه غير عابس وعلمت من صديقى محمد على علوبة انهم ذاهبون الى عدلى لاستئناف الاجتماع به فى فندق (كلاردج) للتشاور فى الموقف العصيب الرهيب الكئيب ·

ـ وعلمت بعد العشاء (من حمد الباسل) أن عدلى سيقابل ملنر غدا صباحا · وجلسة الوفد فى المساء ·

٧ اغسطس :

ذهب عدلى لمقابلة ملنر فى الساعة العاشرة صباحا (فى بيته) ما الغرض من هذه المقابلة ، وماذا يرجى منها ؟

ان مهمة عدلى شاقة جدا لانه يريد الا ينقطع حبل المفاوضة بين الوفد واللجنة على ما يظهر لى ، ولانه يحاول التوفيق بينهما لتبدأ المحادثات بين ملنر وسعد مرة أخرى ، فهل بقى كلام جديد لم يقله أحدهما للآخر ؟

الوفد لا يستطيع أن يقبل مشروع ملنر ·

وملنر لا يستطيع أن يقبل مشروع الوفد ·

وسعد يريد السفر فورا ايذانا بفشل المفاوضات وقطعها . لانها كانت في نظره مأساة ومهزلة ولا خير فيها على الاطلاق ·

وملنر لا يريد هذا السفر ولا يريد فشل المفاوضات ولا يريد قطعها وانما يريد التفاهم مع الوفد على شيء وأعضاء الوفد لا يريدون هذا السفر أيضا ولا يريدون فشل المفاوضات ولا يريدون قطعها ، ويريدون التفاهم على شيء · .

وملنر يعرف هذا كله عن سعد ورغباته ؛ وعن أعضاء الوفد ورغباتهم ·

فهو يشد ويرخي ، ويتصلب ويلين ، ولكن « هذه اللعبة » لا يمكن أن تستمر الى ما لا نهاية ·

فماذا يريد في الحقيقة ؟ لا أعرف بالضبط ·

لعل سياسته هذه المتمثلة في « لعبته » سببها الحقيقي خشيته أن تنفجر الثورة من جديد في مصر أشد مما كانت أول مرة ، أو لعل السبب مجرد رغبته في ابقاء الحالة هادئة في مصر في الوقت الحاضر على الاقل ، أو قائمة على رغبته في تطور مسألة المؤامرة والمحاكمة التي تجرى في مصر الآن تطورا يمكن الانجليز من معاكسة الوفد في شكل جديد والخلاص منه في النهاية ؛ أو لعلها قائمة على رغبته في احداث انقسام حاسم كامل في الوفد ؟ ويتحطم الوفد بعد ذلك وازالته من الطريق ·

لا أعرف سر هذا التسويف في الحقيقة ، ولكن لا بد له من نهاية ، ونهايته في مساء هذا اليوم نفسه ·

خطاب للزعيم من ملنر

حضر أخي حسين ظهر اليوم من لفربول لزيارتي لاني سبق أن أخبرته أننا مسافرون من لندن يوم ١٠ الجاري · وبينما نحن نتناول الغداء معا حوالي الساعة الثانية بعد الظهر حضر الدكتور حامد محمود وأبلغني أن الرئيس يريد مقابلته حالا لمسألة خطيرة ، وهمس في أذني أن خطابا من ملنر وصله منذ دقائق ·

فذهبنا أنا وأخى معا الى فندق كارلتـــون ، وقابلت الرئيس فأعطانى خطاب ملنر (وهو مكتوب بخط يده من أوله الى آخره) وطلب الى أن أترجمه فورا قبل حضور الاعضاء فى الجلســـة الحاسمة المنتظرة فى الساعة الخامسة مساء ·

مشروع جديد لملنر

وخطاب ملنر هذا يتلخص فيما يأتى :

– رجاء خاص الى الرئيس الا يتشبث بالسفر يوم ١٠ أغسطس، ان انتظار بضـــعة أيام أخرى يســـاعد على التفاهم وايجـــاد حل جديد ·

– وأن ملنر وضع مشروعا جديدا فى قالب جديد على أساس مشروع عدلى الذى وضعه مع بعض أعضاء الوفد بمعنى أنه وفق بين مشروع ملنر القديم (اذ اقتبس بعض مواده) وبين مشروع الوفد (اذ اقتبس منه اعتراف بريطانيا باستقلال مصر وبأنهـــا دولة دستورية ذات أنظمة دستورية) ·

وفى الساعة الخامسة مساء :

اجتمع الوفد وحضر عدلى وتلا الرئيس عليهم خطاب ملنر كما ترجمته فتحول العبوس الى ابتسام ، وزال كل ظـــلام ، ووافق سعد على تأجيل السفر فازداد الابتسام عمقا ، وازداد الانشراح اتساعا وتمت المعجزة ، وانجابت الازمة ، ويخلق ما لا تعلمون ·

ولكن ·· هل زالت الازمة حقا ؟ هل تمت المعجزة حقا ؟ أم أن هذا الابتسام وهذا الانشراح العام يثيرهما سراب لا ماء فيه ؟ هل هما باقيان ؟ أو هما كسحابة صيف عما قريب تنقشع ؟ سنرى·

٨ اغسطس :

رد الرئيس على ملنر بخطاب صباح اليوم ، وفيه يجيبه الى رغبته فى البقاء بضعة أيام أخرى ، ما دام ملنر يرى أن هـــذه الايام القلائل كافية لايجاد حل يرضى الطرفين ·

لم يجتمع الوفد اليوم · وخرجت مع الرئيس للرياضـــة فى هايدبارك ·

٩ اغسطس :

حضر عدلي بعد الظهر وكان الوفد مجتمعا . وقال انه اطلع على المشروع الجديد الذى وضعته لجنة ملنر « وهو أحسن قليلا من مشروعهم السابق » . ولكن الانجليز لا يمكن ان يتزحزحوا عن عزمهم في ابقاء قوة عسكرية فى مصر لتامين المواصلات الامبراطورية وانهم سيرسلون هذا المشروع غدا ، وربما تحددت جلسة يوم الجمعة القادم ١٣ أغسطس بين سعد وملنر للمناقشة فى هذا المشروع .

وهكذا ظهرت بوادر السراب .

سعد يفند مشروع ملنر

طلب منى الرئيس أن أعود اليه بعد العشاء فى الساعة التاسعة مساء ، وهو لا يضن على بكل آرائه وخوالج نفسه لانه يعلم انى اكتب « مذكرات » يومية عن سير المفاوضات وقال : « ان لجنة ملنر تهدف الى غايتين بارزتين ليس أخطر على مصر منهما :

« الاولى : ابقاء قوة عسكرية بريطانية فى مصر اى استمرار الاحتلال برضاء المصريين وموافقة زعمائهم .

« والثانية : مراقبة التشريع الخاص بالاجانب اى استمرار التدخل فى شئون مصر الداخلية .

« ومن هاتين الغايتين تتفرع كل مصلحة لبريطانيا فى مصر . وهذه هى الحماية بعينها ذلك لان « كلمة الحماية » فى غاية المرونة ، وهى تشمل كل أنواع التدخل وكل أعمال العنف كما هو الحال فى مصر هذه الايام ، كما تشمل أخف أنواع الرقابة وأخف أنواع الضغط وللدول القوية الحامية أن تلجأ الى احدى الحالتين كلما تراءى ذلك لها .

« وان بريطانيا قد حصلت على اعتراف جميع الدول بهذه الحماية التى فرضتها على مصر .

« والقانون الدولى يقول انه اذا أخذت دولة متمدينة مراقبة شئون دولة ضعيفة للاجانب فيها امتيازات ، زالت هذه الامتيازات بطبيعة الحال تحت نظام هذه الحماية لان المفروض فى نظام

الامتيازات ، ان الاجانب لا يخضعون لقوانين هذه الدولة الشرقية المتأخرة بحجة أن العدل لا يرجى فى قضائها . ولكن اذا تولت دولة اجنبية أمر هذا التشريع فى هذه الدولة الشرقية المتاخرة سقطت حجة الدول الاخرى في التمسك بهذه الامتيازات . ولكن هذه الدولة الاجنبية (فى حالة مصر) لا تستطيع أن تتنازل عن امتيازاتها لان الحماية عقد بين الحامى والمحمى والمصريون يرفضون هذه الحماية ، ومن هنا يتضح سعى بريطانيا ورغبتها فى الحصول على موافقة مصر على وضع التشريع للاجانب فى يد بريطانيا ، والانجليز يوهموننا فى الوقت عينه بان هذا فى مصلحتنا بحجة أن فرض الضرائب يسرى على الاجانب فى المستقبل ، ولا يخفى ما فى هذا من فائدة مالية عظيمة لمصر . ولكن الواقع ان انجلترا (اذا وافقت مصر فى هذه النقطة) تصبح فى نظر الدول حامية لمصر فعلا وقانونا وتكون بالتالى حامية للاجانب من قوانين البلاد ، ولا يخفى ما فى هذا من الخطر السياسى الوبيل على مصر ، فضلا عن أنه يجعل لانجلترا الحق فى التدخل فى كل الشئون الادارية بحجة أنها تضر بالاجانب، فيأتى المندوب السامى البريطانى مثلا ويطلب من الحكومة عزل مدير ما لانه ظلم الاجانب بقرار أو بمشروع قام به أو يعارض فى انشاء ترعة بحجة أنها مضرة بمصلحة بعض الاجانب . والاجانب بطبيعة الحال منتشرون فى انحاء البلاد لا فى بقعة واحدة ، ولاتفصلهم عن المصريين حواجز ، لذلك كانت هذه النقطة فى المعاهدة المنتظرة شديدة الخطورة ، وتترك لممثل بريطانيا سلطة واسعة هائلة وتزداد هولا بوجود قوة عسكرية انجليزية فى البلاد . ان المرء كلما فكر فى هذا المشروع امتلأ خوفا وجزعا ، وأيقن أن وجود برلمان تام السلطة ووزارة مسئولة امامه وغير ذلك يمكن كله أن يشل شللا كبيرا أو يزول من الوجود فى مصر بجرة قلم . والحكم يومئذ للقوة وللحقوق التى فى يد بريطانيا بموافقتنا . ان بريطانيا تريد أن تخدعنا وتفهمنا اننا مستقلون فى نظرها . ولكننا (فى نظر الاجانب وسائر الدول) تحت الحماية والمراقبة البريطانية .

ونحن وان كنا لا نكون جزءا من الامبراطورية البريطانية فاننا فى الواقع سنكون فى دائرتها المرنة ، تدافع عنا بريطانيا كما تدافع عن اى جزء من اجزاء امبراطوريتها ونلتزم لها بالتزامات كبيرة كأن تضع كل سككنا الحديدية ومحطات الطيران وما الى ذلك تحت تصرفها . ان بريطانيا تريد ان توهمنا أنها تسعى

لتخليصنا من مصيبة الامتيازات الاجنبية ، ولكنهـــا فى الواقع تريد حصرها فى يدها هى لا ازالتها نهائيا • وهى بذلك تجعل هذه الامتيازات مؤبدة عندنا لا مؤقتة بطبيعتها الحالية • بينما لـو تركنا وشأننا امكننا أن نقنع الدول فيما بعد باننا اكفاء على الحكم• عادلين فى التشريع • فترتفع عنا قيود هذه الامتيـــازات التى قيدونا بها • المركز الآن عسير والخطب جلل » •

هذه هى ملاحظات الرئيس وبياناته سجلتها كتابة عقب خروجى من عنده مباشرة ، وقد ثبت لى بانصع دليل أنه شديد الذعر والهلع من هذه المسألة ، بينما أغلبية الاعضاء لا يشاركونه فى مخاوفه واستجاباته •

فلننتظر الى الغد لنرى المشروع الجديد ، وما الغـــد لناظره ببعيد •

وثيقتان من ملنر

١٠ اغسطس :

فى منتصف الساعة السادسة مساء حضر عدلى ومعه وثيقتان:

١ ــ خطاب من ملنر الى سعد •

٢ ــ المشروع الجديد الذى وضعته لجنة ملنر على زعم انه قائم على أساس مشروع عدلى الذى حاول فيه التوفيق بين مشروع ملنر الاول ومشروع الوفـد الســـابق • وقد سلمت الى هاتان الوثيقتان لترجمتهما الى اللغة العربية ففعلت وانتهيت من الترجمة فى منتصف الساعة العاشرة ليلا •

أما الخطاب فيتلخص :

أولا : فى دعوة الرئيس سعد الى مقـــابلة ملـــنر فى وزارة المستعمرات يوم ١٣ أغسطس الساعة ٣٠ر٤ بعد الظهر لاستئناف المفاوضات على أساس المشروع الجديد •

ثانيا : لفت النظر الى أن المشروع الجديد قد بين الاسس التى تقوم عليها تسوية المسألة المصرية على أحسن وجه ممكن لمصلحة بريطانيا ومصلحة مصر معا •

ثالثا : ان ملنر واعضاء لجنته مستعدون لان يشـــيروا على الحكومة البريطانية بقبول السياسة التى وضعت دعائمهـــا فى المشروع الجـــديد اذا اقتنعوا أن زغلول باشا وأعضــــاء الوفد مستعدون من جهتهم أيضا للدفاع عنها والترغيب فيها فى مصر ٠

رابعا : أن يستعمل الوفد كل نفوذه حتى يحصل على موافقـة دمعية وطنيـــة مصرية على عقد معاهدة على الاساس المبين فى المادتين ٣ ، ٤ من المشروع الجديد ٠

خامسا : لفت النظر الى أن الفـريقين (الانجليزى والمصرى) اذا لم يتحدا قلبا وقالبـــا على تأييد هذا المشروع ، فان النجاح يصبح عسيرا ان لم يكن مستحيلا ٠

النص الكامل لمشروع ملنر

فيما يلى « ترجمة حرفية للنص الكامل للمشروع الجـــديد » آثرت تسجيله كاملا :

١ ــ لانه مشروع بريطانى تقدمت به هيئة رســـمية بريطانية لتسوية المسألة المصرية بعد مفاوضات أجرتها مع هيئـــة شعبية مصرية ٠

٢ ــ ولان المشروع عظيم الخطر والاهمية التاريخيـة مما هز البلاد هزا عنيفا طويلا واحدث انقساما فى صفوف الامة المصرية ، وتصدعا فى كيان الوفد نفسه ٠

٣ ــ ولانه المشروع الذى كان مبدأ سياسة جديدة لبريطانيا فى مصر ، وكان الخطوة الاولى فى سبيل الغاء الحماية البريطانية على مصر فى النهاية ٠

اما نص المشروع فهو :

١ ــ لكى يبنى استقلال مصر على أساس متين دائم يلزم تحديد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تحديدا دقيقا ويجب تعديل ما تتمتع به الدول ذوات الامتيازات فى مصر من المزايا واحوال الاعفاء وجعلها اقل ضررا بمصالح البلاد ٠

٢ ــ ولا يمكن تحقيق هذ. الغرضين بغير مفاوضات جديدة تحصل للغرض الاول بين ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية

واخرين معتمدين من الحكومة المصرية ومفاوضات تحصل للغرض الثاني بين الحكومة البريطانية وحكومات الدول ذوات الامتيازات وهذه المفاوضات ترمي الى الوصول الى اتفاقات معينـــة على القواعد الاتية ٠

٣ ـ أولا : تعقد معاهدة بين مصر وبريطانيا العظمى تعترف بريطانيا العظمى بموجبها باستقلال مصر كدولة ملكيه دستورية ذات هيئات نيابية وتمنح مصر بريطانيا العظمى الحقوق التى تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ولتمكينها من تقديم الضمـــانات التي يجب أن تعطى للدول الاجنبية لتحقيق تخلي تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات ٠

ثانيا . تبرم بموجب هذه المعاهدة نفسها محالفة بين بريطانيا العظمى ومصر تتعهد بمقتضاها بريطانيا العظمى أن تعضد مصر في الدفاع عن سلامة أراضيها ، وتتعهد مصر بأنها في حالة الحرب حتى ولو لم يكن هناك مساس بسلامة أراضيها ، تقدم داخل حدود بلادها كل المساعدة التي في وسعها الى بريطانيا العظمى ٠ ومن ضمنها استعمال مالهـــا من الموانى وميـــادين الطيران ووسائل المواصلات للاغراض الحربية ٠

٤ ـ تشمل هذه المعاهدة أحكاما للاغراض الآتية

أولا : تتمتع مصر بحق التمثيل في البلاد الاجنبية وعند عدم وجود ممثل مصرى معتمد من حكومته ، تعهـد الحكومة المصرية بمصالحها الى الممثل البريطاني . وتتعهد مصر بألا تتخذ في البلاد الاجنبية خطة لا تتفق مع المحالفة أو توجـــد صعوبات لبريطانيا العظمى ، وتتعهد كذلك بألا تعقد مع دولة أجنبية أى اتفاق ضار بالمصالح البريطانية ٠

ثانيا : تمنح مصر بريطانيا العظمى حق ابقاء قوة عسكرية فى الارض المصرية لحماية مواصلاتها الامبراطورية وتعين المعاهده المكان الذى تعسكر فيه هذه القوة وتسوى ما تستتبعه من المســائل التى تحتاج الى التسوية ، ولا يعتبر وجود هذه القوة بأى وجه من الوجوه احتلالا عسكريا للبلاد كما أنه لا يمس حقوق حكومة مصر ٠

ثالثا : تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانيـــة مستشارا ماليا يعهد اليه فى الوقت اللازم بالاختصاصات التى لاعضـــاء

صندوق الدين الآن ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في جميع المسائل الاخرى التي قد ترغب في استشارته فيها ·

رابعا · تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفا في وزارة الحقانية يتمتع بحق الاتصال بالوزير وتجب احاطته علما بجميع المسائل المتعلقة بادارة القضاء فيما له مساس بالاجانب ويكون أيضا تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في أي أمر مرتبط بتأييد القانون والنظام العام ·

خامسا : نظرا لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها الى الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية ، تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التدخل بواسطة ممثليها في مصر لتمنع أن يطبق على الاجانب اى قانون مصرى يستدعى الآن موافقة الدول الاجنبية وتتعهد بريطانيا العظمي من جانبها بألا تستعمل هذا الحق الا حيث يكون مفعول القانون مجحفا بالاجانب ·

(صيغة أخرى لهذه الفقرة)

« نظرا لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها الى الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية ، تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التدخل بواسطة ممثليها في مصر لتمنع أن يطبق على الاجانب أى قانون مصرى يستدعى الآن موافقة الدول الاجنبية ، وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها بألا تستعمل هذا الحق الا في حالة القوانين التي تتضمن تمييزا مجحفا بالاجانب في مادة فرض الضرائب أو لا تتفق مع مبادىء التشريع المشتركة بين جميع الدول ذوات الامتيازات » ·

سادسا : نظرا للعلاقة الخاصة التي تنشأ عن المحالفة بين بريطانيا العظمى ومصر ، يمنح الممثل البريطاني مركزا استثنائيا في مصر ويخول حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين ·

سابعا ــ الضباط والموظفون والاداريون من بريطانيين وغيرهم من الاجانب الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية في أى وقت خلال سنتين بعد العمل بالمعاهدة ، وتحدد

المعاهدة المعاش أو التعويض الذى يمنحه الموظفون الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ما هو مخول لهم بمقتضى القانون الحالى .

وفى حالة عدم استعمال الحق المخول بهذا الاتفاق تبقى أحكام التوظف الحالية بغير مساس .

٥ ـ تعرض هذه المعاهدة على جمعية تأسيسية ولكن لا يعمل بها الا بعد انفاذ الاتفاقات مع الدول الاجنبية على ابطال محاكمها القنصلية ، وانفاذ المراسيم المعدلة لنظام المحاكم المختلطة .

٦ ـ يعهد الى الجمعية التأسيسية فى وضع قانون نظامى جديد تسير حكومة مصر فى المستقبل بمقتضى أحكامه ، ويتضمن هذا القانون النظامى أحكاما تقضى بجعل الوزراء مسئولين امام الهيئة التشريعية ، وتقضى أيضا باطلاق الحرية الدينية لجميع الاشخاص وبالحماية الواجبة لحقوق الاجانب .

٧ ـ تحصل التعديلات اللازم ادخالها على نظام الامتيازات باتفاقات تعقد بين بريطانيا العظمى والدول المختلفة ذات الامتيازات وتقضى هذه الاتفاقات بابطال المحاكم القنصلية الاجنبية لكى يتيسر تعديل نظام المحاكم المختلطة وتوسيع اختصاصها وسريان التشريع الذي تسنه الهيئة التشريعية المصرية (ومنه التشريع الذى يفرض الضرائب) على جميع الاجانب فى مصر .

٨ ـ تنص هذه الاتفاقات على أن تنتقل الى الحكومة البريطانية الحقوق التى كانت تستعملها الحكومات الاجنبية المختلفة بمقتضى نظام الامتيازات وتشمل أيضا أحكاما تقضى بما يأتى :

أولا : لا يسوغ العمل على التمييز المجحف برعايا اى دولة وافقت على ابطال محاكمها القنصلية ، ويتمتع هؤلاء الرعايا فى مصر بنفس المعاملة التى يتمتع بها الرعايا البريطانيون .

ثانيا : يؤسس قانون الجنسية المصرية على قاعدة النسب فيتمتع الاولاد الذين يولدون فى مصر لاجنبى بجنسية أبيهم ولا يحق اعتبارهم رعايا مصريين .

ثالثا ـ تخول مصر موظفى قنصليات الدول الاجنبية نفس النظام الذى يتمتع به القناصل الاجانب فى انجلترا .

رابعا : المعاهدات والاتفاقات الحالية التى اشتركت مصر فى التعاقد عليها فى مسائل التجارة والملاحة ومنها اتفاقات البريد والتلغراف تبقى نافذة المفعول · اما فى المسائل التى ينالها مساس من جراء ابطال المحاكم القنصلية فتعمل مصر بالمعاهدات النافذة المفعول بين بريطانيا العظمى والدول الاجنبية صاحبة الشأن، مثل معاهدات تسليم المجرمين وتسليم البحارة الفارين وكذلك المعاهدات التى لها صبغة سياسية سواء أكانت معقودة بين أطراف عدة أم بين طرفين كاتفاقات التحكيم والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب ، وذلك كله ريثما تعقد اتفاقات خاصة تكون مصر طرفا فيها ·

خامسا ـ تضمن حرية ابقاء المدارس وتعليم لغة الدولة الاجنبية صاحبة الشأن على شرط أن تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه للقوانين السارية بوجه عام على المدارس الاوربية بمصر ·

سادسا : تضمن ايضا حرية ابقاء أو انشاء معاهد دينية وخيرية كالمستشفيات الخ ·

وتنص المعاهدة أيضا على التغييرات اللازمة فى صندوق الدين وعلى ابعاد العنصر الدولى عن مجلس الصحة فى الاسكندرية ·

٩ ـ التشريع الذى تستلزمه الاتفاقات السالفة الذكر بين بريطانيا العظمى والدول الاجنبية يعمل به بمقتضى مراسيم تصدرها الحكومة المصرية وفى الوقت عينه يصدر مرسوم يقضى باعتبار جميع الاجراءات التشريعية والادارية والقضائية التى اتخذت بمقتضى الاحكام العرفية صحيحة ·

١٠ ـ تقضى المراسيم المعدلة لنظام المحاكم المختلطة بتخويل هذه المحاكم كل الاختصاص الذى كان مخولا الى الآن للمحاكم القنصلية الاجنبية ، ويترك اختصاص المحاكم الاهلية غير ممسوس·

١١ ـ بعد العمل بالمعاهدة المشار اليها فى البند الثالث تبلغ بريطانيا العظمى نصها الى الدول الاجنبية وتعضد الطلب الذى تقدمه مصر للدخول عضوا فى جمعية الامم ·

خطاب ملنر الى عدلي ومذكرة عن السودان

أخرج ملنر السودان عمدا من كل مناقشاته مع الوفد ، كما استبعده من مشروعه وأوضح للوفد أن مشروعه هـذا ومشرو المعاهدة المنتظرة لا يمسان السودان ·

وفيما يلى نص خطابه الى عدلي

١٨ اغسطس ١٩٢٠ :

عزيزى الباشا

« بخصوص الحديث الذى جرى بيننا أمس أعود فأقول مرة أخرى انه ليس بين أجزاء المذكرة التى أنا مرسلها اليك الآن جزء يقصد تطبيقه على السودان كما هو ظاهر من المذكـرة نفسها ، ولكن ملنر لا شـك يعلم انقسـام الوفد الى معسـكرين · وهل من المقبول عقلا أن يخفى عدلى هذه الحقيقة عن صـديقه ملنر ؟ وفي هذه الحقيقة سر قوة عدلى ونفوذه وحظوته لدى ملنر الذى لاشك يعلم علم اليقين أن عدلى يسـتند الى أغلبية الوفد ، وان هـذه الاغلبية هي التى منعت قطع المفاوضات مرارا · ومنعت سعدا من السفر ، وكبحت جماحه بحكم السلطان الذى تتمتع به كل أغلبية !

- ان ملنر يعلم انقسام الوفد ـ ما فى ذلك ذرة من شـك · ولكن الشعب المصرى وحده هو الذى يجهل انقسام الوفد ·

يخيل الى أن اجتماع الغد بين سـعد وملنر سيكون اجتماعا حاسما جدا وأعضاء الوفد جميعا يتهيبونه ويخشون نتائجه ·

وسعد نفسه مقبل عليه وفى نفسه مرارة مزدوجة ! مرارة ضد زملائه أعضاء الوفد الذين لا يشاطرونه رأيه ، ومرارة ضد ملنر ومشروعه « الفظيع » ، هذا هو الجو الذى ستجرى فى مفاوضات الغد بعد انقطاعها كل هذا الزمان الطويل ، جو تحفز وتوتر وغيظ وقلق وانتظار !!!

الجلسة الحاسمة بين سعد وملنر

١٣ اغسطس :

حضر عدلى الصديق اللدود واصطحب سـعدا لمقابلة ملنر فى الميعاد ·

وتم الاجتماع فى وزارة المستعمرات البريطانية (الساعة ٣٠ر٤ بعد الظهر) ، ولم يشهد الجلسة الا ملنر وسعد وعدلى ولا رابع لهم ٠

وقبيل الساعة السادسة مساء عاد سعد من الاجتماع ، ورأيت وجهه مكفهرا محتقنا شديد الاحتقان عابســا شديد العبوس فلم انبس بكلمة وصحبته الى داخل حجرة الاجتماع فقال لى : « يجب أن تستعد لنسافر معا بعد غد الى باريس » ٠ ثم دخل حجرة النوم ليغير ملابسه ، وعدت الى مكتبي وشعرت انى علمت بما دار فى الجلسة ، مناقشة ومصادمة ومخاصمة وقطع كلام بسلام أو بغير سلام ، هذه خلاصة وافية لما حـــدث ، أما التفصيلات فساسجلها كتابة عندما أسمعها من الزعيم ٠

ولم يطل انتظارى ٠ فقد خرج الرئيس بعد دقائق من مخدعه ، ونادانى وأملى على كل التفصيلات :

ملنر : انى أقترح أن نجرى المناقشة على الطريقة الآتية :

أن أسمع ملاحظاتكم على المشروع الذى أرسلته اليكم ،

وان نسجل المسائل التى يتم التفاهم عليها بعد مناقشتها ٠

وأن نمضى على اتفاق يتضمن هذه المسائل التى لم يحصـــل خلاف عليها ٠

ثم يشتمل تقريرى على المشروع متضمنا الاشــــارة الى هذا الاتفاق ٠

على أن يبقى ما نتفق عليه سرا مكتوما حتى يذاع فى تقريرى الذى ساقدمه الى الحكومة البريطانية بعد شهر واحد من الآن وفيه أنصح حكومتى بتنفيذه ٠

سعد : حسن ، ولكن ما الذى نقوله لموكلينا اذا سألوا عما تم الاتفاق عليه وعما وقع الخلاف فيه ٠ ان الشعب المصرى ينتظر بفارغ الصبر نتيجة هذه الاتصالات بيننا وهـــذه المفاوضات التى استمرت من ٥ يونيه حتى الآن ؟ هل نعود الى قواعدنا فى باريس سالمين ، ونظل صامتين والناس فى مصر يتساءلون ويستفسرون ولا من مجيب ؟٠

ملنر : (سكت واطرق مفكرا قليلا) ثم قال : « يمكن أن يقال بأن المفاوضات لم تنته • وانتهاؤها متوقف على بعض الاستيضاحات • أرى اجتنابا لكل خطأ وسوء فهم في المستقبل أنه يحسن بنا أن ندون رأى اللجنة ، وهو أن موضوع السودان الذى لم نتناقش فيه قط نحن وزغلول باشا وأصحابه ، خارج بالكلية عن دائرة الاتفاق المقصود بمصر •

« فان البلدين يختلفان اختلافا عظيما في أحوالهما ، ونحن نرى أن البحث في كل منهما يجب أن يكون على وجه مختلف عن وجه البحث في الآخر •

« ان السودان تقدم تقدما عظيما تحت ادارته الحالية المؤسسة على مواد اتفاق ١٨٩٩ ، فيجب والحالة هذه الا يسمح لأى تغيير يحدث في حالة مصر السياسية أن يوقع الاضطراب في توسيع نطاق تقدم السودان وترقيته على نظام أنتج مثل هذه النتائج الحسنة ، على أننا ندرك من الجهة الاخرى أن لمصر مصلحة حيوية في ايراد الماء الذى يصل اليها مارا في السودان • ونحن عازمون على أن نقترح اقتراحات من شأنها أن تزيل هم مصر وقلقها من جهة كفاية ذلك الايراد لحاجتها الحالية والمستقبلة » •

الامضاء : ملنر

كيف ناقش الوفد مشروع ملنر

عقد الوفد خمس جلسات طويلة ساخنة بمناسبة مشروع ملنر الجديد ، وجرت مناقشته ودراسته من كل نواحيه وتفهم معانيه وادراك كل مراميه ، واختلفت كالعادة وجوه النظر فيه • ما السبب الكامن وراء هذه الجلسات التى قضاها رجالات الوفد في بحث مشروع لا هو بالغامض ولا هو بالعويص ولا هو بالمعقد ؟ لم تكن الصعوبة في المشروع ذاته ، فلم يكن هناك في الواقع غموض في مواده ، أو التباس فيه ولا تعقيد في صياغته ، وانما الصعوبة كل الصعوبة كانت في مسألة واحدة هى « هل يقبل أو يرفض ؟ »

هل يرفضه الوفد لانه مخالف لتوكيله القائم على الغاء الحماية واعلان الاستقلال التام وتحقيق الجلاء ؟

أو هل يقبله الوفد لان المشروع ينطوى على بعض المزايا كما يقول البعض ؟

أو هل يعرضه الوفد على الامة ويمتنع عن ابداء رأيه فيه ؟ ويجعله موضع الاستفتاء العام ؟

أو هل يعرضه الوفد على الامة ويبدى سعد رأيه فيه كما يبدى سائر الاعضاء آراءهم فيه ؟

انقسم الوفد الى فريقين وهما اللذان سبق أن تحدثت عنهما وشكا منهما سعد مر الشكوى ٠

الفريق الاول : مكون من الرئيس وعلى ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، وهؤلاء يرفضون المشروع لانه « حماية » لا شك فيها ٠

الفريق الثانى : مكون من الاغلبية الساحقة للوفد وعلى رأسها عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومعهما حمد الباسل والمكباتى ومحمد محمود ومحمد على علوبة ٠

ومن ورائهم عدلى يشجعهم ويشجعونه ويدفعهم ويدفعونه ويؤيدهم ويؤيدونه ، وهؤلاء يقبلون المشروع لانه اقصى ما يمكن الحصول عليه من الانجليز فى الوقت الحاضر ٠

الفريقان لم يتفقا على رأى موحد أو خطة موحدة ٠ فما العمل ؟ والرئيس سيقابل ملنر غدا لاستئناف المفاوضات على أساس هذا المشروع الذى اثار كل هذا الخلاف وكل هذه الزوبعة وكل هذه الخصومات الداخلية والتى لم ينته الوفد فيها الى قرار ؟

هل ينفرد سعد بابداء رأيه للنر مستندا الى الاعضاء الثلاثة الذين يؤيدونه ؟

هل يستطيع سعد أن يهمل رأى الاغلبية الساحقة فى أعضاء الوفد ؟

ماذا يقول سعد للنر حين يلقاه غدا ؟

كان هذا موضوع المناقشة الطويلة فى الجلسة الاخيرة للوفد ٠

وفى آخر لحظة تم شبه تفاهم على أن يقول سعد أن المشروع سيعرض على الامة لاخذ رأيها فيه ٠

وفى هذا مخرج من ازمة حادة ، ولكن ليس حلا لهذه الازمة ، ذلك لان هذا المخرج المؤقت ما زال محفوفا بالصعاب وفى حاجة الى ايجاد حلول كثيرة فرعية ·

كيف يكون عرض المشروع على الامة ؟
من الذى يتولى عرضه على الامة ؟
هل يكتم سعد رايه عن الامة ؟
هل يكتم الاعضاء رايهم عن الامة ؟
هل يقف الوفد على الحياد ؟
وبماذا يجيب الوفد اذا سئل عن رأيه فى المشروع ؟
وكيف يخفى الوفد انقسامه الى معسكرين ؟

هذه اسئلة لم توجد لها حلول بعد ، ولكنها على كل حال ليست عاجلة ولا تمنع المفاوضة غدا بين سعد وملنر ·

سعد : ان مصر الآن فى حاجة الى وزارة تستحق الثقة فيها والاطمئنان اليها ، وتعمل على تهدئة الخواطر وتمهيد الطريق للحكم الجديد ·

ملنر : هذه مسالة اخرى ·

سعد : هذه مسالة على اعظم جانب من الاهمية ولذلك سمحت لنفسى ان أتكلم فيها عقب كلامكم عن الطريقة التى يجب اتباعها ·

ملنر : هذه مسالة تهمنا ايضا وهى راجعة الينا ، فيجب أن ننتظر كذلك تعيين مندوب سام جديد لهذا النظام الجديد كما يجب تعيين وزارة جديدة ، وهذا يهمنا نحن لان فى مصر اناسا لا يرغبون فى نجاح هذه المفاوضات واذا نجحت فانهم لايرحبون بها ·

سعد : انا أوافق على ذلك ، وفى طليعة هؤلاء اولئك الذين دبروا القضية الحاضرة ·

ملنر : يحتمل هذا ، ولعل هذه القضية من وسائلهم ، ولكن هذه مسالة خارجة عن اختصاصنا هنا ، ويهمنا ان نشغل انفسنا بما نحن بصدده الآن ·

سعد : اننا هنا لسنا بممثلى حكومة وانما نحن نمثل شعبا · وعزيز علينا ان يقع كل هذا النظام والاضطهاد فى بلادنا ·

ملنر (منفعـــلا) لا شأن لي بذلك ، ويجب أن نحصر الكلام فيما نحن بصدده . ما هى ملاحظاتكم على المشروع الذى أرسلته اليكم ·

سعد · (منفعلا) ان هذا المشروع يحقق لكم كل مطالبكم ويهمل كل مطالبنا · وانت تعرفها . وهى الغاء الحماية واعلان الاستقلال وتحقيق الجلاء · ولست أدرى كيف تريدون الاحتفاظ بوجود قوة عسكرية فى بلادنا ؟ لماذا لا يتقرر الجلاء تنفيذا للوعود الرسمية البريطانية وهى اكثر من ٦٠ وعدا ؟

ملنر : هذا لا يمكن مطلقا ، ولا يمكن المناقشة فى هذه المسائل ·

سعد : أهذا تأجيل لها ؟

ملنر : لا · لا · ليست مؤجلة ، وانما هى مسائل لا مناقشـــة فيها لان المناقشة لا تجدى ·

سعد : انكم وضعتم مادة فى مشروعكم خاصة بموظف بريطانى يعين فى وزارة الحقانية وقد سبق أن تفاهمنا على مجرد الاكتفاء بان يكون النائب العمومى لدى المحاكم المختلطة ، انجليزيا ·

ملنر : هذا غير كاف وهذه مسالة لا تقبـل المناقشة فيها ، وما اردنا بهذا المشروع أن تتناقشوا فى أسسه التى هى غـــير قابلة للتغيير ولا حتى للمناقشة ، بل هى اما أن تقبل أو ترفض ·

سعد : (سكت وظهر الانفعـــال عليه) . ثم قال : « اذن انتهت مهمتى هنا » ·

ملنر : (تكلم بالانجليزية مع عدلى · واللغة الانجليزية لايعرف منها سعد كلمة واحدة) . ثم التفت ملنر الى الرئيس ودعاه أن يستمر فى ابداء باقى ملاحظاته ·

سعد : مادام الامر : قبولا أو رفضا فليس عندى ما أقوله الآن ·

ملنر : (عاد فتكلم بالانجليزية مع عدلى بضع دقائق · ثم وقف ايذانا بانتهاء الجلسة) ·

فوقف سعد وعدلى وافترق سعد وملنر فى فتور تام له مظهــر الخصام . واما عدلى فقد تخلف باشارة من ملنر بعـــد خروج سعد ، وظل مع ملنر بضع دقائق ·

فلما خرج عدلى وعاد بالسيارة مع سعد ظل ســاكتا ولم يقل لسعد كلمة واحدة عما دار فى الحديث بينه وبين ملنر بالانجليزية،

وفى المرتين اللتين تكلم فيها ملنر بالانجليزية مع عدلى · وقد كان لمسلك عدلى هذا أسوأ الوقع فى نفس سـعد ·· ومما زاد الامر شناعة أن عدلى لم يعتذر لسـعد ولم يشرح لماذا احتجزه ملنر وماذا تحدث اليه دقائق بعد خروج سعد ·

وفى الساعة السابعة حضر أعضاء الوفد وحضر عدلى ، وروى الرئيس لهم كل مادار فى الجلسة وختم كلامه بقوله : « لا تدبروا فى الامر ، ولابد من السفر فورا ، وانى معكم فى كل ما تقررونه الا فى البقاء هنا ، ومن يحاول ابقائى هنا انما يحـاول عبثا »·· واستأذنهم الرئيس وذهب الى حجـرة نومه ، وتركهم فى حجـرة الاجتماع واجمين ساهمين ثم انصرفوا أفرادا وجماعات كما لو كانوا خارجين من مأتم عزيز مات بعد مرض طويل ·

قابلت بعض الاعضاء عند انصرافهـم لانى حرصت على أن اتبين ردود الفعل عندهم وأسمع بعض ما يتفوهون به تعليقا على ما سمعوه أو ما رأوه أو ما يشعرون به ازاء هذه الجلسة الحاسمة وقرب السفر ·

محمد علوبة قال لى : « ان سعدا لم يلتزم بقرار الوفد فيقتصر على أن يقول لملنر ان المشروع سيعرض على الامة لأخذ رأيها فيه. ودخل فى تفصيلات مثيرة وأعلن مطالب الامة فى حزم وقسوة ·

وعبد العزيز فهمى قال لى : « ان بريطانيا مزهوة بنفسها وهى الآن أقوى دولة فى العالم ، وخرجت منتصرة من الحرب العالميـة الاولى ونفوذها بين الدول ساحق ماحق ولا ينازعهـا منازع ، ومصر أضعف دولة فى العالم وواقعة بين براثن هذا الغول البريطانى ونحن هنا « شحاذون » نشحذ منها استقلالنا وحريتنا ·

أما أنا فقد التزمت الصمت لانى أعلم أن الاعصاب متوترة الى الدرجة القصوى · وأن ما تنطوى عليه النفوس من الغيظ والكمد والكراهية والمخاوف قد بلغ غاية ما بعـدها غاية ، فطفح الكأس والكيل ، واستحال التفاهم ، وانعدمت الثقة واستبد الضيق وساد الانقباض ·

نفسية سعد تفصح وتتجلى فى اجمل حالاتها :

وبعد العشاء حضرت الى مكتبى لعل الرئيس يريد شيئا لاسيما وقد قرب موعد السفر وتحدد (بعد غد أى ١٥ أغسطس) ، فلمـا

علم بوجودى فى مكتبى دعانى اليه وقال : اجلس يا كامل ، ما رأيك فيمن يقول « نحن هنا شحاذون وعلينا أن نظل نطيل بالنا » ؟٠

فاظهرت دهشة ساخطة وقلت « من قال » هذا ؟

قال : انه عبد العزيز فهمى ٠ سمعته عند انصرافه يقول هذه « الكبيرة » الى أحد زملائه فغضبت اشد الغضب ولم اشأ أن أعود اليه لاناقشه الحساب وأثير معركة جديدة فكفى ما نحن فيه من معارك وكرب وبلاء » ٠

وهنا أطرق سعد مفكرا ثم قال : « يا لكرامة الرجـال !! هذا لا يمكن ابدا ولا يطاق ٠

ولا يجوز مطلقا أن تكون هذه الروح الوضيعة الحقيرة فى رجل كريم على نفسه . لقد كان عزيزا على ، أن افاوض هنا وأبناء وطنى ينكل بهم فى مصر تنكيلا ، ويعذبون ظلما وعدوانا ٠ ان نكرى الشباب المصرى الذين كانوا يعرضون صدورهم للرصاص ويموتون شهداء وعلى ألسنتهم الهتاف باسمى واسم الوفد واسم الوطن تكفى لملء نفوسنا باعظم انواع الشجاعة واشد انواع السخط والمقت لاولئك المستعمرين الذين سطوا على بلادنا كما يسطو القتلة واللصوص على الابرياء الآمنين ٠

« نحن شحاذون !! كبرت كلمة تخرج من افواههم أن يقولون الا كذبا والله ما شعرت وأنا اخاطب هؤلاء الانجليز الا كما يشعر القاضى حين يخاطب اللص ٠٠ يطالبه برد الامانة التى سرقها ، ويطالبه بالاستقامة بعد أن حاد عنها ، ويطالبه تنفيذ الوعود التى قطعها على نفسه ، وعهود الشرف التى التزم بها ليرد الى حقى الذى اغتصبه ٠٠ فاذا كان هناك من يخجل ويشحذ فهم الانجليز ٠ واذا كان هنا من يطالب بشجاعة وفخار فهم المصريون ٠

« ومتى كان المطالب بحقه شحاذا ؟ ومتى كان المطالب بماله وحقوقه المسروقة ضعيفا خجولا ؟ ومتى كان المغتصب لحقوق الناس واموالهم عظيما شريفا جديرا بالاحترام ؟

« والله انى لاعجب كيف يجرؤ ملنر وهؤلاء المستعمرون أن ينظروا فى وجهى وانا اطالبهم بأن يكونوا شرفاء فينفذوا عهودهم ووعودهم بالجلاء لكى ينقذوا شرفهم وسمعتهم من العار والشنار ٠

ويتركوا بلادى التى سرقوها بالحيل الشيطانية وبالحديد والنار ٠٠؟ هـذه روحى وأنا أخاطب هؤلاء القـــوم ، وتلك هى روح عـدلى وأصحابه المهازيل وهذا فى الواقع هو سر الخلاف بيننـــا وسر البلاء» ٠

الاعتراف الثانى عشر :

ثم سكت سعد قليلا وقال منغلا حزينا :

« ما حيلتى فى رخاوة بعض الاعضاء ؟ ان مصيبتى فى ضعفهم وهزالهم ، ان الواحد منهـــم ليفرح اذا دعاه عظيم من الانجليز ليتناول الغداء معه . وأنا والله لا افرح ولا اقبل ارفع نيشان ياتينى من ملك هذه البلاد ، وما لبيت دعوة الا كنت لها كارها اقلبهـــا ساخطا لانى اعتبرها نفـــاقا فى نفاق وآية من قوم هم خصومى وأعدائى وانا عدوهم اللدود ٠

« ماحيلتى الآن وقد أخذ بعض الاعضاء لا يخجلون حين يظهرون اللين يأسا أو طمعا فى دخول الوزارة الجديدة التى سيكون عدلى رئيسا لها بكل تأكيد ؟ ان نفوسهم قد هزلت ، وهذا أشر ما يصيب الرجل ، والرجل المجروح فى كرامته وكرامة أمتـــه ولا يثور . هو رجل مسكين يستحق الرثاء والاحتقار ولا يرجى منه خـــير على الاطلاق » ٠

بلغت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وسعد يضرب على هذه النغمة ويفيض فيضا ويخطب كأنى وفد من الوفود أمامـــه يحاول كسبه واقناعه ٠

وانتهزت فترة سكوت طارئة ٠ فقلت له : يا سيدى « اما آن لك أن تستريح وقد جاوز الليل نصفه وزيادة وغدا أمامك يوم حافل بعمل كثير وزيارات واجتماعات واستعداد للسفر » ؟ ٠

فهز رأسه وقال . حافل بعمل كثيروزيارات واجتماعات واستعداد للسفر ٠ ثم قال : « أجل أجل ٠ اذهب يابنى واسترح كان الله فى عوننا ٠

وانصرفت بعد الساعة الواحدة بقليل من صبيحة يوم ١٤ اغسطس ٠

ملنر يبعث رسولا الى سعد

١٤ اغسطس .

كلفني الرئيس في الساعة العاشرة صباحا أن اطلب من دوماني أن يذهب لشراء تذاكر السفر للرئيس ولخادمه الخاص ولي ولدوماني وقبل أن يذهب دوماني لشراء التذاكر حضر عدلي وجميع أعضاء الوفد ، كما حضر الانجليزي الاعرج « مستر ولرند » وطلب مقابلة الزعيم .

فلما دخل وسلم وابتسم كعادته وهرج ووقفت أتفرج . قال للرئيس : ان لورد ملنر يريد الحضور لزيارته وتوديعه بعد أن سمع بعزمه على السفر .

فقال سعد انه مسافر غدا ، ولجنابه أن يحضر بعد ظهر اليوم او غدا قبل الساعة العاشرة صباحا اذا شاء .

فتلعثم الاعرج وثاثا وحاول ان يتكلم فقافا ، فانتشرت بين الجميع الابتسامات المكبوتة المخنوقة ، وصاحبها استرخاء داخلي في النفوس والاعصاب المتوترة . وما اشد حاجتهم الى شيء من الاسترخاء ، وشيء من الابتسام الذي أصبح نسيا منسيا هذه الايام ، ثم فتح الله على الاعرج فقال : « ان ملنر لم يحدد موعد زيارته لانه مشغول هذا اليوم كله ، وغدا صباحا عنده جلسة مجلس الوزراء ، فاذا تفضل الرئيس بقبول الساعة الرابعة بعد ظهر غد استطاع ملنر أن يحضر الى الفندق لزيارته وتوديعه » .

ثم تدخل عدلي والاعضاء ورجوا الرئيس ان يؤجل سفره يوما واحدا (فيكون السفر ١٦ بدلا من ١٥) حتى تتم هذه الزيارة التي لابد منها .

فوافق الرئيس . وفي نفسه من الامتعاض ما فيها .

ثم خرج الاعرج متهللا بتوفيقه وزايلته الثاثاة والفافاة ، وعاد الى انطلاقه الذي لا يتعثر الا حين يرتبك أو حين يريد .

وطلب الرئيس من دوماني ان يشترى تذاكر السفر يوم ١٦ اغسطس .

وظل الرئيس وعدلي والاعضاء مجتمعين ساعة كاملة .

وقال عدلى لى ان ملنر سينتهز فرصة حضوره لتوديع الرئيس ليتفق معه على « كيفية » الانصراف • وتناقش الجميع فى ذلك بعض الوقت ، ثم استقر الرأى على أن يكون الانصراف وديا أو على الاقل لا يكون مغاضبة وادبارا ، وأن يبرر هذا السفر بعذر مقبول وأحسن الاعذار ما كان حقيقيا • وهو أن الوفد يريد استشارة ذوى الرأى من الامة فى مشروع ملنر الذى لم تتم الموافقة عليه لاشتماله على ما هو خارج عن حدود التوكيل ••

واضاف عدلى انه تكلم مع ملنر فى بعض الملاحظات التى كان الوفد أبداها له فى هذا المشروع ، وظهر له أن من الممكن أن يقبل ملنر بعضها •

وهكذا فتح عدلى بدهائه باب الامل مرة أخرى •

حديث مع محمد علوبة :

وعند الانصراف زارنى صديقى محمد على علوبة فى مكتبى ومكث معى بعض الوقت وقال لى : « ان الوفد لا يصح له أن يرفض ، بل يأخذ ما قدم اليه ويعود الى الامة به لعرضه عليها ، والتاريخ كله لم يسجل أن أمة نالت كل تريده دفعة واحدة حتى فى ساعة انتصارها ، وأن مصر بما ستناله بهذا المشروع ستتطور به وستتقوى وستصبح أقدر على المطالبة بحقها الباقى يوما من الايام » •

فابتسمت وقلت : « فيها قولان » •

فقال : كيف ؟ هل تشك أو تنكر شيئا مما أقوله ؟ انه فى نظرى من البديهيات •

فقلت مرة أخرى بابتسامة « فيها قولان » •

فقال : « انت تدهشنى •• اشرح لى وجهة نظرك اذن » •

فقلت : « ياسيدى • ألم تشبع مناقشة وجدلا طوال هذه الجلسات الكثيرة المتلاحقة المحمومة ؟ ألم تسأم وتمل حتى تريد أن تعقد جلسة الآن بينى وبينك ؟ ومن أنا الذى يحاول اقناعك وقد عجز سعد مع فصاحته وقوة عارضته وحجته أن يحولك أنت وأصحابك قيد أنملة عن رأيكم هذا ؟ »

فقال ضاحكا : يظهر أن الشبان والشيوخ من رأى واحد ، والكهول الذين فاتوا الشباب ولم يدركوا الشيخوخة من رأى آخر •

فقلت مازحا · الآن انت عرفت الحقيقـــة · وانصرف قائلا في ابتسام : « لابد لنا من جلسة اخرى على غداء أو عشاء » فقلت : وهو كذلك ·

ملنر يزور سعدا في فندقه ليودعه الى لقاء

١٥ اغسطس :

في الساعة الرابعة بعد الظهـــر حضر ملنر الى فندق كارلتون وكان في صـــحبته صديقه « الاعـــرج مستر ولرند » ولتقيـا في المصعد بعدلى صدفة واتفاقا والله اعلم . وصعـــدوا جميعا لزيارة الرئيس في قاعة الاجتماع وكان سعد جالسا فيها في انتظار ملنر. ولما استقر بهم الجلوس بعد تبادل التحيـــات والكلام في الصحة والهواء ·· قال ملنر : ما الذى عزمت على اذاعته بمناسبة سفرك وانصراف الوفد من لندن ؟

سعد : لم اكون فكرى بعد فيما ساقوله وأعلنه ·

ملنر : الا تستحسنون أن تقولوا أن المفاوضات جرت للآن على طريقة مرضية ·

سعد : لقد كان الامر كذلك حتى الجلســـة الاخيرة فقد كانت المحادثات فيها غير مرضية ·

ملنر : ارجو ان تعلم أن قدرتى محدودة ، وان يدى مغلولة ومن الاشياء ما لا يمكن تحقيقه · على انى ساقدم تقريرى فى أواخر سبتمبر القادم ، وسيشـــتمل على ذلك المشروع . وعلى ما يكون منكم بعد الاستشارة التى تقومون بها فى مصر · وانى أحب أن اكون على اتصال دائم معك ومع عدلى باشا مدة هذه الفترة ·

سعد : وهو كذلك

ملنر : انى أودعك الآن وارجو أن اراك ثانية فى صحة أحسن ·

فشكره سعد وانصرف ملنر ومعـــه عدلى الذى نزل معـــه فى المصعد وخرج معه فى سيارته بينما اكتفى سعد بتوديع ملنر حتى باب حجرته ·

واصف بطرس غالى

قرار الوفد بتشكيل لجنة الاستشارة وتحديد مهمتها

كان أعضاء الوفد موجودين فى مكتبى طوال مـــدة هـــذه الزيارة ، واصف غالى سينوت حنـــا ، فلما علمـــوا بانصراف ملنر تركونى وذهبوا الى قاعة الاجتماع ، فعرض عليهم الرئيس ما جرى بينه وبين ملنر فاقروه واعجبوا به ·

واتفق الوفد على أن يسافر الرئيس وسينوت وواصف غالى ودومانى وأنا غدا ، وأن يسافر الباقون بعدنا كل فى اليـــوم الذى يريده لغاية يوم الاربعاء القادم بحيث يتكامل عددهم فى باريس يوم الخميس القادم ، وكذلك عدلى ·

وفى هذه الجلسة تبادل الاعضاء الرأى فى مسالة الذين يسافرون الى مصر لعرض المشروع ثم أصدر الوفد القرار الآتى :

١ ـ اختيار لطفى السيد ومحمـــد محمود وعلى ماهر والمكباتى للسفر الى مصر للاستشارة فى المشروع الســـالف الذكر ، وأن تتناول الاستشارة بصفة خاصة أعضاء الجمعية التشريعية ومجالس المديريات ·

٢ ـ وأن يكونوا على الحياد التام فلا يحبذوا المشروع ولايبدو شيئا من رأى الرئيس فيه ، لان المهم هو معرفة رأى الامة وممثليها فى مصر من غير أن يقع عليهم أقل ضغط او تاثير من جانب الوفد . رئيسه أو أعضائه ·

٣ ـ ويلزم بيان كل الحقائق لهم كما يعرفها الوفد ، ثم تركهم ينظرون فى الامر حسبما ترشدهم اليه عقولهم ٠

٤ ـ يضم الى الاعضاء الاربعة ويشترك معهم فى مهمتهم مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى الموجودون فى مصر الآن :

تعليق :

ما كدت اطلع على هذا القرار العجيب حتى شاعت فى نفسى دهشة وعلت وجهى ابتسامة ٠ اما الدهشة فسببها شعورى القوى بان هذه الشروط والقيود التى اشتمل عليها قرار الوفد هذا غير عملية ، ولا يمكن تنفيذها بحال من الاحوال فهى مجرد حبر على ورق ٠

اذ كيف يمكن ان يكونوا محايدين ، والا يبدو رايهم اذا سئلوا عنه ؟ والا يحبذوا المشروع ، والا يقوموا باى ضغط او تاثير فى الناس ، وان يعرضوا الحقائق مجردة ومن غير تعليق عليها ، وان يتركوا الناس ينظرون فى الامر حسبما ترشدهم اليه عقولهم ؟

أهذا ممكن والقائمون بالعرض فيما عدا على ماهر ، من أشد الاعضاء تحبيذا للمشروع ، وانتصارا له وهم يعتبرون رفضه جناية على الامة، ومضيعة لصالحها ومصالحهم ومطالبتهم بالتزام هذه الشروط وهذه الحدود مطالبة لهم بالمحال ؟ بل لو انهم حاولوا الحياد مخلصين لاعجزهم ذلك واعياهم ٠

وهل مما يستسيغه العقل ان رجالا أمثال (لطفى السيد ومحمد محمود والمكباتى) يرون هذا المشروع ، وهو أملهم الوحيد ، يتعرض للرفض والموت بالاستشارة وفى استطاعتهم انقاذه ثم يتاخرون ويترددون ويحايدون ام المعقول انهم يدافعون ويحبذون

حتى تبقى للوليد حياته وتتحقق للامة ولهم مصالحها ومصالحهم كما يعتقدون ؟

لو كان المراد حقا عرض المشروع على الامة بطريقة محايدة لكان السبيل الوحيد لذلك هو مجرد الاكتفــاء بارسال المشروع بالطائرة الى مصر ، ويتولى رجال اللجنة المركزية للوفد القيــام بعملية الاستشارة . والمشروع واضح كالشمس ومواده لا غموض فيها ولا ابهام ، وهي ظاهرة جلية لا تحتاج الى تفسير وعباراته تحمل كل معانيها ومراميها بلا لبس ولا تعقيد ·

الفصــل الخامس

الرئيس [illegible]
من لندن إلى باريس

١٦ اغسطس :

سافرنا اليوم من محطة فكتوريا ـ (لندن) : الرئيس سـعد ورافقه عضوان من الوفد هما واصف غالى وسينوت حنا ثم دومانى المترجم الفرنسى للوفد وأنا : وكان فى المحطة لتوديع الرئيس عدلى وجميع أعضاء الوفد الباقين فى لندن والانجليزى الاعرج (ولرند) ، ولم يحضر ملنر واكتفى بارسال سكرتيره الخاص نيابة عنه ٠

تحرك القطار فى الساعة ١١ صباحا وبعد دقائق معدودات كان القطار يطوى الارض طيا وسط المزارع الزهراء الجميلة والمراعى الخضراء النضرة ٠٠ استغرقنى هـذا الجمال الرائع الذى أبدعه الله وأسبغه على طبيعة هذه البقعة من العـالم ثم أفقت بعد دقائق ونظرت الى الرئيس وكنت جالسا أمامه ٠ فوجدته غارقا مستمتعا فلم اتكلم ولم أتحرك وتركته ينعم بهذا الجمال الذى ينسى الانسان حقارة المدنية وبطلان الغرور ، كما ينسيه متاعب الحياة وأفاعيل الانسان بأخيه الانسان من مشاكسات ومماحـكات ، ومن ايلام وتعذيب وتشريد وتنكيل مما يضنى النفـوس ويزهق الارواح ، وينشر الظلم والظلام فى هذه الحياة الفانية ٠ ثم افاق سعد بعد قليل ، وابتسم ابتسامة الرضا والاسترخاء وقال : « اشعر الآن بنوع فريد من السعادة ، سعادة السجين المعذب الذى انتهى عذابه وخرج من السجن طليقا يذهب الى حيث يشاء ، فاستعاد حريته ،

واوشك أن يستعيد صحته ، وأصبح يجد متاعا فى كل ما يراه من آيات الله » ٠

ثم بدأ يحدث صاحبيه (وكانا معنا في الصالون) حديثا عذبا عن ايام صباه وعن حبه الاصيل العميق للريف المصرى ، حتى وصل بنا القطار الى دوفر فى الساعه الواحدة بعد الظهر ، ثم انتقلنا جميعا من القطار الى الباخرة التى عبرت المضـــيق الى كاليه فى ساعة ونصف الساعة ٠

وكان البحر هادئا رائعا وكأنه بألوانه ينافس الحقول والمروج في جمالها وتاثيرها ، ثم انتقلنا من كاليه فى القطار السريع الى باريس التى وصلنا اليها فى الساعة ٢٠ر٧ مســـاء ٠ وصحبت الرئيس الى مسكنه فى الشانزليزيه حيث التقى بزوجته الفاضلة الكاملة ، فزال من نفسه كل ضيق وكدر ، وانشرح صدره وتنفس الصعداء ، وعاد الابتسام الى وجهه الذى لم يبتسم مرة واحدة طوال مدة المفاوضات ٠

زال عنه كل هذا الكابوس الخانق الثقيـــل الذى انجاب عنـه فجأة بقدرة قادر ، وعاد سعد الزعيم بساما كمن يستقبل الحياة بوجه جديد ٠

استشارة الشعب

١٧ اغسطس :

حضرت الى مكتبى فى الموعد المعتاد (الساعة التاسعة صباحا) وعكفت على ترجمة ما نشرته جرائد لندن ، فلما شعر الرئيس بوجودى ناداني وعلى وجهه ابتســامة عريضة تدل على السرور لها معناها ومغزاها ، ولعله أيقن الآن أنى لا أريد اجازة لنفسى ، واذا كان هو يستطيع العمل يوميا بلا راحة أو اجازة فانا على هذا النوع من العمل أقوى واقدر ٠٠ كان الله فى عونه ٠

ثم اخبرنى انه مسرور لانه استطاع ان ينام ليـــلة أمس اربع ساعات متتالية ، وهذا شىء نادر جدا بالنسبة له ، وانه لا يذكر أخر مرة تمتع فيها بمثل هذا النوم الطويل مـــدة أربع ساعات متتالية !! وقال انه استيقظ منشرح الصدر وفى نشاط بعد أن كان يصحو فى لندن كل صباح وهو متعب متخاذل الاعضـــاء شديد الانقباض ٠

مشروع نداء للشعب

ثم ادهشني انه أعد نداء الى الامة . وقد بدأ في كتابتـــه بخط يده ابتداء من الساعة السابعة صباحا وقرأه على بنفسه وهــذا نصه ·

« بني وطني الكرام :

سعى الوفد للاستقلال جهده · ووصل سعيه الى نتيجــة لم ير اخواني بدا من قبولها · وان كان حقكم واضحا ، وطلبكم عادلا . وددت أول الامر في اطلاعكم على رايي صريحا خشية أن تتبعوا قولي · فلا يكون من ورائه خير لكم فتتعرضوا للشـــقاء المقيم ، واتعرض للسخط الدائم ·

« اما الآن وقد زال هذا التردد وهذه الخشية من نفسي ، فاني اصارحكم القول بأن المشروع يتضمن حماية تحت اسم استقلال ، او هو استقلال في معنى الحماية ، وما سعيت للحماية معرضا للخطر نفسي ، وانما سعيت للحرية والاســتقلال · وما نهضت البلاد نهضتها الكبرى لتنتهي آخر المطاف باقرار ما ثارت عليـــه وحاولت التخلص منه ، لذلك ساستمر مجاهدا لتحقيق آمال الوطن معتزا بهذه الثقة الغالية التي شرفتني بها الامة ولن انفك أعمـل لرفعة الوطن وخلاصه ما حييت » ·

فلما فرغ الرئيس من تلاوة هذا النــداء ، التفت الى وقال : « اعلم ان هذا النداء مخالف للقرار الخاص بتأليف لجنة الاستشارة، وأول شرط في القرار أن يكون أعضاء اللجنة على الحياد التام فلا يحبذون المشروع ، ولا يطلعون الشعب على رايي ، ولكن هذا ما أراه وأعتقده ساضمه الى أوراقي الخاصة عسى أن نحتــاج اليه يوما ما » ·

بيان جديد للشعب

١٨ اغسطس :

أخبرني الرئيس انه شرع في اعداد بيان جديد الى الامة يتفق مع قرار الوفد الذي اتخذه في لندن ، كما أخبرني أن أعضـاء

الوفد جميعا سيصلون غدا الى باريس ، وانه يريد أن يفرغ من اعدادهذا النداء أو البيان قبل وصولهم ليوافقوا عليه قبل سفره الى فيشى ٠

وفى المساء فرغ الرئيس من اعداده . ذاكرا فى لباقة وفى عبارة غامضة أنه شخصيا غير موافق على مشروع ملنر ، ولما سالنى رأيى فى هذا النداء الجديد ، قلت : « أميل الى الاعتقاد بأن أعضاء الوفد سيوافقون عليه بالاجماع » فاغتبط وانفرجت أساريره ٠

وفيما يلى نص هذا البيان :٠

« اخواننا الكرام :

« نهضت الامة المصرية للمطالبة باستقلالها فى ظروف علت فيها الاصوات بالحق والعدل وحرية الامم واجتمع أقطاب السياسة لتقرير قواعد السلام ومصير الاقوام ، على حسب ما تتعلق به ارادتهم ويقتضيه اختيارهم ٠ وندبت من بين ابنائها أعضاء الوفد المصرى ليعبروا عن رأيها ويسعوا بكل الطرق المشروعة للحصول على مطلوبها حيثما وجدوا للسعى سبيلا ، فتحملوا هذه الامانة الكبرى وخصصوا جميع أوقاتهم وأعمالهم للوفاء بها ، وبذلوا فى سبيلها من المجهودات ما تعلمون وما لا تعلمون وصادفوا من الصعوبات ما شعرت به الامة ٠ ولقد امدهم أبناؤها على اختلاف اديانهم وتباين أهوائهم فى جميع المواقف بمظاهر اتحادهم وتضامنهم ، وضحوا فى سبيل نصرتهم بكل مرتخص وغال ٠ وكان أول ما وجه الوفد اليه اهتمامه أن يعرض القضية المصرية على مؤتمر السلام مدعمة بالادلة القاطعة والبراهين الساطعة ، ولكنه لم يجد من رجال المؤتمر سوى الاعراض عنه اذ أوصدوا أبوابهم دونه ، ولم يريدوا أن يعرفوا صفته ولا وجوده ، وبعد قليل قرروا الاعتراف بحماية انجلترا على مصر ٠ فلم يكن منه الا أن بذل كل جهده فى نشر القضية المصرية فى العالم القديم والحديث على طريقة حقيقتها لكثير من الافهام ، وعرفها لكثير من الشعوب التى لم يكن لها معرفة بها من قبل ، حتى استقر بيانها لكثير من الاحرار فى البلاد المتمدينة الى الانتصار لها ، والدعوة لاجراء العدل فيها ، فرأت الحكومة الانجليزية أن تعين لجنة لتحقيق أمرها ، والوقوف على أسباب الاضطرابات التى عمت بسببها ، فاتفقت كلمة الامة على مقاطعتها لعلمها أن الغرض منها لم يكن سوى تأييد الحماية

ووضع نظام البلاد في دائرتها ، ورأيت أن تقف منها موقف المسئول من السائل ، وأحالت أمر المفاوضات الى عهدة وفدها ، فالتزمت اللجنة أن تعود الى حيث أتت · ثم دعته للمناقشة بقصد الوصول الى وضع قواعد اتفاقية توفق بين استقلال مصر ومصالح انجلترا فيها ، فأبى أن يجيب الدعوة حتى يتأكد من حسن استعداد الحكومة البريطانية بالنسبة لاستقلال البلاد ، وأرسل لهذه الغاية كما تعلمون ثلاثة من أعضائه الى لوندرة فتأكدوا من حسن هذا الاستعداد حيث صرح لهم انه ليس في مصالح انجلترا بمصر ما يعارض استقلالها · ولهذا لم نجد بدا من الذهاب الى لوندرة للدخول في المفاوضة ·

« ولقد باشرناها منذ وصولنا اليها ، ومكثنا نزاولها الى ١٦ أغسطس ، وانتهت المناقشة بوضع ثلاثة مشروعات : أولها من لجنة ملنر ورفضه بتاتا · والثاني منا ، ورفضته هذه اللجنة كذلك · والثالث منها وهو الاخير ، وقد صرح رئيسها لنا عند البحث فيه أنه غير قابل للمناقشة في الاساسات التي بني عليها ، وأنه يلزم

اما أخذه كله أو تركه لانه تضمن في اعتباره أقصى ما يمكن لانجلترا الاتفاق عليه مع مصر ، بل زاد أن هناك شكا في صواب التساهل في بعض ما اشتمل عليه · ولكننا وجدناه مع ذلك معلقا تنفيذه على غير ارادتنا ، وغير واف بمطالبنا ، فلم يسعنا قبوله لخروجه عن حدود توكيلنا وأظهر للجنة ملنر عدم رضانا به ·

« غير أنه نظرا لاشتماله على مزايا قد لا يستهان بها ، وتغير الظروف التي حصل التوكيل فيها ، وعدم العلم بما يكون من الامة بعد معرفتها بمشتملاته ، وقياس المسافة التي بينه وبين أمانيها ، رأى اخواننا : خروجا من كل عهدة وحرصا على كل فائدة ، واستبقاء لكل فرصة ، الا يبتوا فيه رسميا بما يقتضيه توكيلهم ، قبل عرضه عليكم أنتم نواب الامة المسئولون واصحاب الرأى فيها· وبناء عليه اتفقنا مع لورد ملنر على تأجيل القرار النهائي الى ما بعد الاستشارة ، وتعين كل من حضرات محمد باشا محمود ، وعبد اللطيف بك المكباتي ، ولطفي بك السيد ، وعلي بك ماهر ، وويصا بك واصف ، وحافظ بك عفيفي ، ومصطفى بك النحاس ، لهذه الغاية ، وليشرحوا لكم بالنزاهة المعلومة فيهم،والدقة المعروفة عنهم ، الحقائق والوقائع التي ترون الوقوف عليها لازما لتكوين

اعتقادكم حتى تبدوا بعد استشارة ضمائركم والتأمل فى حاضركم وقابلكم رأيكم فيه بالرفض أو القبول ، فاذا رفضتم أعلن الوفد رسميا رفضه ، واذا قبلتم دخلت المسألة فى دورها النهائى ، ووضعت معاهدة على القواعد التى تضمنها ، وعرضت على الهيئة النيابية للتصديق عليها ، ووضع نظام دستورى للبلاد . وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمكم الصواب فى ترويكم وأن يكلل بالنجاح مساعيكم امين » .

سعد زغلول

عودة أعضاء الوفد ومعهم عدلى من لندن الى باريس

١٨ اغسطس :

عاد اليوم من لندن جميع أعضاء الوفد ومعهم عدلى . ولم يتخلف عن الحضور سوى محمد على علوبة لمرض طارىء اعتراه فى اليومين الاخيرين (انفلونزا) ، وفى المساء حضروا جميعا الى شقة الرئيس (٣٩ شارع الشانزليزيه) وظلوا معه ساعة كاملة ثم انصرفوا على أن تعقد جلسة للوفد غدا صباحا للاطلاع على بيان الرئيس .

جلسة الوفد : موافقة على بيان الرئيس الى الامة

١٩ اغسطس :

فى الساعة العاشرة صباحا عقدت جلسة الوفد بمسكن الرئيس لا فى مقر الوفد ، وحضر الاعضاء جميعا ومعهم عدلى ، فتلا عليهم الرئيس البيان الذى أعده أمس فاقروه بالاجماع .

وكان جو الجلسة يميل الى المسالمة والمرح ، وخلا من كل مناقشة أو جدل ، واقترح المكباتى أن يعطى لكل عضو فى الوفد من المقيمين فى باريس مكافأة شهرية قدرها ستة آلاف فرنك فاستكثرها الرئيس، وتقرر جعلها أربعة الاف فقط أى حوالى مائة جنيه مصرى شهريا .

وبعد مناقشة قصيرة خفيفة تقرر أن يسافر المندوبون الاربعة (محمد محمود ولطفى السيد وعلى ماهر والمكباتى) الى

مارسيليا يوم ٣١ اغسطس على الباخرة لوتس التى تصل الى الاسكندرية فى فجر يوم ٧ سبتمبر ، على ان يبقوا فى مصر شهرا واحدا اى حتى ٧ اكتوبر يعودون بعدها الى باريس ومعهم اعضاء الوفد الثلاثة (مصطفى النحاس والدكتور حافظ عفيفى وويصا واصف) .

السفر الى فيشى وخطاب من على ماهر

٢٠ اغسطس ١٩٢٠ :

سافر الرئيس بقطار الظهر من باريس الى فيشى للاستشفاء بمياهها المعدنية . وكانت فى صحبته السيدة الفاضلة قرينته أم المصريين ، وطاهر اللوزى وزوجته وجورج دوماني وأنا .

وظل الاعضاء الاربعة فى باريس عشرة أيام كاملة بعد سفر الرئيس الى فيشى قبل ابحارهم الى مصر للقيام بمهمتهم الرسمية وهي استشارة ما سموه« بممثلى الامة » وفى بحر هذه الايام العشرة ورد خطاب هام الى الرئيس من الاستاذ على ماهر وقد جاء فيه

ان المندوبين يجب ان يظهروا متحدين وفى مظهر واحد . وأنه من غير المستطاع عمليا وهم قادة أن يقفوا على الحياد عند عرض مشروع ملنر ، بل يكاد يكون من المستحيل أن يمتنعوا عن ابداء رايهم اذا سئلوا عنه ومن السهل أن يعرض الانسان موضوعا او مشروعا بطريقة تغرى بالموافقة عليه أو عرضه بشكل يؤدى الى رفضه واستنكاره » ..

وعلى هذا الاساس يقترح الاستاذ على ماهر فى خطابه أن يكون العرض على الطريقة الاولى التى تغرى الناس بقبول المشروع مع الحرص أن تكون طريقتهم غير صريحة ولا ظاهرة الاهداف .

وكان أسلوب الخطاب هادئا مهذبا لبقا ، ومع ذلك فان الرئيس غضب منه وسخط عليه غضبا شديدا وسخطا مريرا . وقال فى حسرة وكمد : انه هو شخصيا الذى اختار على ماهر لمراقبة لطفى السيد ومحمد محمود والمكباتى عند عرض المشروع ، وكبح جماحهم اذا حاولوا الخروج من دائرة الحياد المطلق فى عرض المشروع

عرضا موضوعيا صرفا تستبين منه معـــالمه : مزأياه ، والاضرار والاخطار التى ينطوى عليها مما لا يتفق مع الاستقلال المنشود ٠

ورد الرئيس على هذا الخطاب في شيء غـــير قليل من الحدة وختمه بان هدد وتوعد أن يطلع الامة برايه مبـــاشرة اذا لم ينفق بيانه تنفيذا دقيقا ، واذا لم يقفوا جميعا على الحياد ، ويقتصروا على بيان ما فى المشروع من مزايا وعيوب ونقائص ٠

خطاب الرئيس الى مصطفى النحاس

فيشى ٢٣ اغسطس ١٩٢٠ :

املى على الرئيس هذا الصباح الخطاب التـــالى الى الاعضاء الثلاثة بمصر وعنوان المظروف مصطفى النحاس وفيـه يصارحهم برايه فى المشروع وهو انه حماية لا استقلال ، وهذا هو نص الخطاب :

« اهديكم اطيب تحية وبعد ،

« فانكم تجدون طى هذا بيانا لمثلى وارباب الراى فيما تعلمون مضمونه من تلاوته واظنكم تستشفون منـــه انى لست من راى المشروع الذى ستعرضونه على الامة انتم والقـــادمون اليكم من اخوانكم وهذا موافق للحقيقـــة لأنه (وأريد أن يكون الامر بينى وبينكم) مشروع ظاهره الاستقلال والاعتراف به ، وباطنه الحماية وتقريرها ٠

فقيه من خصائص الحماية ومميزاتها الشيء الكثير ٠

ـ كوجود القوة العسكرية ٠

ـ والتدخل في التشريع للاجانب وفى القضاء المختص بهم ٠

ـ والتدخل فى الشئون المالية واعمـــال وزارة المالية والتدخل فى شئون وزارة الحقانية بواسطه موظفين بريطانيين ٠٠

ـ وجعل المعتمد البريطاني ذا مقام خاص وله التقـــدم على غيره من وكلاء الدول الاجنبية الاخرى ٠

ـ ثم تقييد حرية مصر فى عقد المعاهدات وفي اختيار وكلائهـا السياسيين وفي التجاء هؤلاء الى ممثلى بريطانيا ٠

ـ وتولى بريطانيا دون مصر عقد المعاهدات المتعلقة بالغـــاء الامتيازات الاجنبية مع الدول الاخرى ٠

ـ وفضلا عن ذلك فان ما اشترطه من تعليق تنفيذه على قبول الدول لالغاء المحاكم القنصلية ، وصدور الدكريتـات باعدة تنظيم المحاكم المختلطة ، تجعل الفوائد التى تعود منـــه على المصريين وهمية اذ قد ينقضى الدهر ولا تقبل الدول هذا الالغاء ولا تصدر الدكريتات بذلك التنظيم ٠

« ولكن اخوانى لا يرون فيه رايى ، ولم ارد ان اظهـر الخلاف بينى وبينهم حرصا على الوحدة التى هى قوتنـــا ولكيلا يشمت الاعداء بنا ، ولو ان اخوانى اصـــغوا الى قولى ، او لو لم اكن اخشى على هذه الوحدة من الانقسام لفارقت لندن فى يوم ٢٢ يونيو الماضى ، وهو اليوم الذى وردنا فيه خطاب من لورد ملنر عن مشروع سابق وضعته لجنته ورفضناه لكونه كان يرمى الى ما يخـــالف ميداننا وتوكيلنا ، وكان رفضنا له بالاجمـــاع ٠ ومن الغريب ان المشروع الثانى جاء ابلغ فى باب الحماية لاشتماله على كثير من مميزاتها ٠ ومع ذلك راى اخوانى صلاحية عرضه على نواب الامة ولا اريد ان اشكو منه اليكم لانهم انمـــا راوا ذلك لاسباب قامت عندهم واقنعتهم بصحة آرائهم ، واهمها تغير ظروف الحال وعدم وجود السند والنصير لنا فى الخارج ، وانفراد الدولة البريطانية بالعزة والسلطان، وعدم قدرة الامة على متابعة المعارضة والمقاومة٠ وانى اعترف باهمية هذه الاسباب ، ولكنها لا يمكن ان تقلب حقيقة المشروع من حماية الى استقلال ، ولا ان تجعلنا نرضى بما نهضنا

لمقاومته وقمنا للمطالبة ببطلانه ، وما ضحت الامة فى سبيل النفور منه ، والقضاء عليه بدماء الكثيرين من ابنائهـــا ، وحريه العدد العديد من شيوخها وفتيانها ، ولا يحملنـــا نحن دعاة الاستقلال وحملة الويته والصائحين به فى كل صقع وناد على ان نتحول الى تأييد ما هو بعيد عنه فى الواقع ، وان كان قريبا منه فى الظاهر ·

« أما اذا قبله غيرنا وكان الانجليز معهم ، فذلك شىء آخر لاتقع تبعته علينا · لهذا رايت ان اكتب اليكم بفكـرى حتى تكونوا فى مستوى واحــــد مع اخوانكم الذين ستشتركون معهـم فى عرض المشروع ، وان يكون مركزكم اذا استحسنتم من الذين تستشيرونهم مركز الشارح للحقائق او العارض للوقائع من غير تاويل ولاتفسير لكيلا يجـــد خصومكم سبيلا للطعن عليكم ، ولاحسادكم حجـــة يقيمونها ضدكم · وسوف تطلعون على جميع المكاتبات التى دارت بيننا وبين لجنة ملنر ، وعلى المشروعات الثلاثة التى ورد فى البلاغ ذكرها ، وتقفون من الاخوان على جميـع المعلومات التى يهمكم الوقوف عليها فى هذا الشأن · وانى على ثقة تامة بانكم ستكونون فى عرض هذا المشروع مثال الدقة والنزاهة والبعد عن منالق القدم ·

« وانى مستعد لان أرسل اليكم كل ما تشاءون من الاوراق ، ولان اجيبكم عن كل ما تشاءون من الوقوف عليـــه من المسائل ، والله يكون فى عونكم ، ويقيكم شر خائنة الاعين ، وما تخفى الصدور ·

الواقع انى لم أدهش من مسلك الرئيس سعد هذه المرة لمخالفة شرط الحياد ، وذلك للاسباب الآتية :

١ ــ لانه اعتقد اعتقادا جازما وبحق بأن الاعضـــاء الاربعة سيخرجون على هذا الشرط وانهــم سيعرضون المشروع بتحيز ، فيحبذونه على استحياء أو قد يحبذه بعضهم جهارا نهارا ، فأراد أن يفوت عليهم أغراضهم ، ويحبط أعمالهم ويخيب آمالهم ·

٢ ــ انه أيقن أن أى تهديد أو وعيد منه اليهم لا يجدى ولايغنى فتيلا بعد وصولهم الى مصر واختلاطهم بالناس فى السر والعلن ·

٣ ـ انه أراد حقا وعدلا أن يرفض المصريون هـــذا المشروع تمسكا منهم بالاستقلال واستئنافا للجهاد فى سبيله ، وذلك لان الامم لا تنال حريتها واستقلالها من اول هزة ولم يقبل على ضميره ان يقول التاريخ عنه «وكلته أمته فى طلب الاستقلال فجاء لها بالحماية مقنعة مبرقعة بعد أن خدعها باستشـــارات مضللة واستفتاءات مزيفة » ٠

٤ ـ انه رغم شيخوخته وأمراضه المتعددة كان بغير شك ولا نزاع أصلب أعضاء الوفد عودا وأقدرهم على احتمال المكاره فى سبيل قضية بلاده وأصدقهم عزما وأبعدهم نظرا وأكثرهم جراة وأفصحهم لسانا وأثبتهم جنانا وذلك لو سلمنا جدلا أنهم جميعا فى الوطنية سواء ٠

أرسل سعد مدة اقامته فى فيشى أكثر من عشرين خطابا ، أربعة منها الى سعيد زغلول ابن اخته المقيم فى بيته فى مصر ، والباقية الى بعض أعضاء الجمعية التشريعية البارزين الذين يتوسم فيهم النجابة والحرص على مصالح البلاد ٠ وكان سعد فيهـــا صريحا غاية الصراحة فى استنكار المشروع وكشف دقائق صوره وهكذا قاد سعد معركة هائلة ضد المشروع وهو مقيم فى فيشى بينما كان الاعضاء الاربعة يقومون بعرض المشروع على طريقة تغـــرس فى الناس قبوله كما قال على ماهر فى خطابه الى سعد ٠

حديث مع صاحب الاهرام

٭ حضر صاحب الاهرام يوم ٨ سبتمبر لمحادثة الرئيس فاكتفى الرئيس بأن أدلى اليه بجملة قصيرة صغيرة جمة المعـانى وطلب اليه نشرها ، ونصها :

« ان المشروع ليس متفقا مع توكيلنا ولهذا لم يسعنا الموافقة عليه وفضل اخواننا قبل رفضه رسميا استشارة ممثلى الامة فيه » ٠

قابلنى صاحب الاهرام بعد خروجه ، وقال لى فى شبه ذهول :

« كيف أستطيع أن أبعث الى مصر ببرقية تحمل هذا التصريح الخطير انه قنبلة هائلة تنسف المشروع وتنسف الاعضاء الاربعـة الذين يحبذون المشروع ، انه قنبلة ، ان المعلومات التى عنـــدى تدل على فرح المصريين بالمشروع ، وتغازلهم به فماذا يكون الحال اذا أرسلت هذه البرقية ؟ »

سألته متى يعود الى مصر فقال انه حضر منذ أيام للعلاج والاستشفاء والراحة من عناء الاعمال وانه سيعود الى مصر فى شهر نوفمبر ٠

ثم افترقنا بسلام ، وتفاديت معه اطالة الكلام ولكنى سألت نفسى بعد انصرافه : هل الرئيس صريح اكثر مما ينبغى فى هذه الظروف الدقيقة التى نعيش فيها ؟ انه لا شك يؤمن بأن مشروع ملنر نكبة على مصر لانه يجعل مركز بريطانيا من احتلال ونفوذ وتدخل شرعيا فى البلاد بعد أن كان اغتصابا حتى الآن ، ويؤمن بأن المشروع حماية لا شك فيها ، وليس استقلالا ٠ ولكن هناك الاغلبية الساحقة فى الوفد ضده فماذا يعمل ؟ انه يسلك الآن الطريق الوحيد المفتوح امامه ٠

فيصرح لصاحب الاهرام بما صرح به ٠

وبالخطابات العديدة يرسلها الى من يثق بهم فى مصر ٠

فالمسألة عقيدة وطنية ومسئولية وشرف وضمير ومستقبل امة ٠

فى هذا الوقت بالذات الذى كان سعد يحارب فيه المشروع بلسانه وقلمه ، فى سر أشبه بالعلن ويكافح فى سبيل عقيدته ، وفى سبيل الحرص على توكيله لتحقيق الاستقلال ويتحمس وينفعل لذلك اشد تحمس وانفعال ٠

فى هذا الوقت الذى كانت الاستشارة تجرى فى مصر ، واعضاء الوفد يشرحون مزايا المشروع ويشيدون بها ٠ ويفسرون ما فيه من قيود ويهونون من شأنها ، ويستخفون بآثارها ويدافعون عن المشروع ويحبذونه جملة وتفصيلا ، تلميحا مرة وتصريحا مرات ومرات ٠

وفى الوقت الذى كانت الجرائد المصرية كلها تنشر كلامهم وتفسيراتهم بالعناوين الضخمة وتعلق عليها بما يؤيدها ويزيدها وضوحا ورسوخا وذيوعا ٠

فى هذا الوقت بالذات ، ماذا كان مسلك لندن وباريس ؟

ماذا كان مسلك الحكومة الانجليزية والجرائد الانجليزية والكتاب الانجليز ؟

وماذا كان مسلك الجرائد الفرنسية فى باريس ؟ دعاية بريطانية وفرنسية على أوسع نطاق للترويج لمشروع ملنر والتأثير فى المصريين ٠

وفى الحق ان هذه الدعاية بدأت من أول يوم سافر فيه الرئيس سعد من لندن يوم ٦ أغسطس · وزادت واستشرت وتفاقمت قبيل وصول الاعضاء الاربعة الى مصر لاجراء الاستشارة · ثم بلغت الذروة طوال المدة التى قاموها فى مصر وعرضوا فيها مشروع ملنر· فقد ظلت جرائد لندن وجرائد باريس تنشر العناوين الضخمة التى ترضى كبرياء مصر والمصريين مثل :

« استقلال مصر » · « مستقبل مصر الباهر » · « نجاح الوفد فى مهمته » · « مصر تحقق أمانيها الوطنية » ·

واستمرت هذه الجرائد تنشر من المشروع ما هو فى صالح مصر ، ولا تشير بكلمة واحدة الى ما فى المشروع من شروط وقيود واغلال لصالح بريطانيا ·

وفيما يلى مقررات (كعينات) مما نشرته جرائد لندن وباريس :

جريدة التيمس (جريدة مستقلة وهى أوسع الجرائد الانجليزية نفوذا) :

« ان المحادثات التى دارت بين لورد ملنر وزغلول باشا أكثر من شهرين قد أسفرت عن وضع مشروع كامل شامل يحقق لمصر استقلالها ويضمن لبريطانيا مصالحها الحيوية فى أضيق الحدود المعقولة ، وهذه أول مرة فى التاريخ ستتمتع فيها مصر «بالاستقلال» بعد أن فقدته منذ أكثر من ألفين من السنين حكمتها خلالها دول مختلفة نخص بالذكر منها الفرس واليونان والرومان والعرب والاتراك والمماليك والفرنسيين والانجليز ، ولهذا يحق للحركة الوطنية المصرية أن تغتبط اشد الاغتباط بتكليل نشاطها بالنجاح وتحقيق امانيها فى الحركة والاستقلال · ولقد يبدو عجيبا فى نظر كثيرين ان بريطانيا العظمى تعطى مصر هذا الاستقلال بمثل هذه السهولة واليسر، اى بعد مجهود بسيط وكفاح قصير منجانبمصر، وبعد خروج بريطانيا العظمى منتصرة من اكبر حرب دخلتها ، وأصبحت بانتصارها هذا اكبر دولة فى العالم · لقد رأت بريطانيا منح مصر هذا الاستقلال مكافأة لها على ما أظهرت من ولاء فى زمن الحرب ، ورغبة منها فى كسب صداقة المصريين بصفة دائمة ، ولا يخالجنا شك فى أن عقلاء المصريين سيعترفون بهذا الجميل لبريطانيا ، وسيرحبون بهذه الفرصة المتاحة لهم فيوافقون على المشروع شاكرين ، كما لا يخالجنا شك فى أن فريقا كبيرا من رجال

حزب المحافظين سيسخطون اشد السخط على لورد ملنر ولجنته وسياسة الحكومة البريطانية الحاضرة بحجة أن هذا التصرف من جانب بريطانيا ان هو الا ايذان ببدء انهيار الامبراطورية البريطانيه وبحجة ان فيه تشجيعا للمستعمرات والممتلكات البريطانية ان تحذو حذو مصر طمعا في نيل ما نالته مصر . ولكن الجواب بسيط وهو ان مصر لم تكن في يوم من الايام من المستعمرات أو الممتلكات البريطانية . وما تعمله الحكومة الان ما هو الا تنفيذ لوعود سابقة وتحقيق لوعود لمبادىء الديمقراطيه . وهذا وذاك لا يعتبر دليل ضعف وانهيار من جانب بريطانيا العظمى لاننا نعطى ونحن في أوج قوتنا فلا مظنة هناك لضعف أو انهيار .

مورننج بوست (جريدة المحافظين) :

« اننا لم نصدق عيوننا حين اطلعنا على المشروع الذى وضعته لجنة ملنر مع زغلول باشا . فقد اصابتنا دهشه وذهول وحيرة وتساءلنا كيف يمكن ان تتخلى بريطانيا العظمى عن مصر بمثل هذه السرعة وهذه الخفة التي لا تدل على الشعور بالمسئولية ؟! ان المصريين بداهة لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم لان الجهل والفقر والتأخر والانحطاط في كل ناحيــة من نواحى الحياه هما المظهران البارزان اللذان يراهما كل من زار أو يزور مصر (في الماضى والحاضر والى زمن بعيد في المستقبل) . وان أغلبيــة الشعب المصرى من الفلاحين وهم ٩٠٪ السكان لن ينسوا حكم الباشوات والحكام الطغاة المرتشين الذين نكبوهم اجيالا وقرونا عديدة ، ولم ينقذهم الا حكم الانجليز في عطف ونزاهة وعدل . وهذه الاغلبية العظمى من المصريين ستعتبر هذا الاستقلال الذى منحته لمصر بهذه الخفة المذهلة خيانة منا لهم ونكبة عليهم ودليلا على أننــا بدانا نتخلى عنهم . ولا شك أن المخاوف ستساورهم من الان عن المستقبل المظلم الذى ينتظرهم وقرب عودة حكم الباشوات الذين سحقوهم فيما مضى ، وصبوا عليهم الوانا من التعذيب لم ينسوه ، ومازالت آثاره في ذاكرة الكثيرين من الاحياء منهم . ان المصريين سيقبلون هذا المشروع من غير تردد ، ولكن البرلمــان البريطانى لا يمكن أن يوافق عليه الا اذا أدخلت عليــه تعديلات كثيرة تزيد من ضمان المصالح الانجليزية والاجنبية في مصر وحمايتها من كل عبث في المستقبل بعد أن تصبح مصر دولة مستقلة ولها برلمان يعمل في حرية ووزارة مسئولة أمام هذا البرلمان » .

وستمنستر جازيت (جريدة حزب الاحرار) :

« ان مشروع ملنر ـ زغلول ينطوى على اقتراحات سخية (أو لعلها مسرفة في السخاء) لانها ذهبت بعيدا فى تحقيق الامانى الوطنية المصرية بالنسبة للاستقلال الذى أصبح الآن على السنة المصريين جميعا بلا استثناء ، ومع ذلك نرى ان لورد ملنر وزغلول باشا يستحقان التهنئة : لان زغلول حقق الاستقلال لبلاده ولان لورد ملنر قد اكتفى بأقل مقدار ممكن من الضمانات للمحافظة على المصالح الحيوية البريطانية والاجنبية فى مصر » ·

ديلى هيرالد (جريدة حزب العمال) :

قالت ـ واخيرا نجحت الحركة الوطنيـــة المصرية فى تحقيق الاستقلال المنشود ، وان هذا النصر المصرى سيحدث شيئا غـير قليل من الكمد والمرارة والغيرة والتعاسة لدى عدد كبير جدا من المحافظين الانجليز وبناة الامبراطورية · ومما يزيد فى حـــدة هذا التوتر الشعور ان هذا التوفيق المصرى قد تم على يد احد بناة الامبراطورية البريطانية ـ لورد ملنر نفسه · ولكن ملنر فى نظرنا قد اظهر حصافة وبعد نظر وبراعة وكياسة حين أدرك أن مصر عريقة فى المدنية وأن شعبها جدير بالاستقلال لاسباب عدة أولهـا ان مصر زعيمة البلاد الاسلامية فى العالم وثانيهـــا أن الروح الوطنية اعمق جذورا وابعد مدى فى مصر عنها فى اى بلد آخر واقع تحت النفوذ الاجنبى . وثالثها اننا قطعنا عهودا كثيرة باحترام استقلال مصر ، وها نحن أولا نبر بوعـــودنا وعهودنا واذا كان عدد كبير من المحافظين البريطانيين سيشعرون بالحزن والتعاسة فهم معذورون ولكن لا حيلة لنا فى ذلك ويجب أن يدركوا اننا نعيش الآن فى القرن العشرين لا فى القرن الثامن عشر او القرن التاسع عشر ·

وان حزب العمال البريطانى ليشعر بالغبطة بأن مصر ستكون بعد اقرار هذا المشروع دولة مستقلة لها برلمان · ووزارة مسئولة امام هذا البرلمان · ولها ســـفراء فى الدول الاجنبيـــة · وللدول الاجنبية سفراء فى مصر · وهذه كلها عناصر الاستقلال الصحيح وهى مكاسب ما كان احد ليحلم بها بالنســـبة لمصر · ومما يزيدنا تفاؤلا بالمســتقبل ان اعضاء الوفد الذين ســـافروا الى مصر قد

استقبلوا استقبالا مدهشا من الحفاوات الشعبية البـــالغة ، وأن الرأى العام المصرى مسرور ومقتنع بفائدة المشروع بعـــد العرض والشرح والبيان الذى قام به ممثلو الوفد فى مصر ونحن نرى أن لهذا المشروع ميزتين :

الاولى : ان مصر ستخطو به خطوات واسعة فى سبيل الرقى المادى والادبى .

والثانية : العلاقات البريطانيـــة المصرية على أساس صحيح ومتين ودائم » .

الديلي تلغراف (جريدة المحافظين الثانية) :

« ان هذا المشروع المعـــروض الآن في مصر مكسب هائل لمصر ومكسب متواضع جدا أو مشكوك فيه بالنسبة لبريطانيا العظمى . ذلك لان مصر بعد أن يتحقق استقلالها ويقوم برلمانها ووزارتهـــا المسئولة امامه ، تستطيع أن تتحدى بريطانيا التى اكتفت بأقل ما يمكن من الضمانات للمحافظة على مصالحها والمصالح الاجنبية، ولذلك نشعر مع الاسف الشديد أن نفوذ بريطانيا العظمى فى مصر خاصة والشرق الاوسط عامة سيبدأ فى الضعف والتقلص ، ومن عجب أن يحدث هذا فى أعقابِ حرب خرجت منها بريطانيا العظمى منتصرة بل خرجت أقوى وأكبر وأغنى دولة فى العالمْ . وهـــذا ما يدعو الى الدهشة والذهول » .

الديلى ميل (جريدة محافظة متطرفة) :

ان هذا المشروع اكبر غلطة ارتكبتها بريطانيا فى الخمسين سنة الاخيرة اذ كيف نسلم باعطاء مصر استقلالها وقد خلقتها الطبيعة حلقة فى سلسلة المواصلات الامبراطورية ولا غنى لنا عنها مطلقا . اننا فى حيرة وذهول أن يتم هذا على يد رجل مسئول مثل لورد ملنر الذى خيب كل الآمال التى علقت عليه ، وضيع الثقة فى كفايته كدعامة من دعائم الامبراطورية .

الديلى اكسبريس (جريدة محافظة متطرفة) :

ان زغلول قد خدع لورد ملنر ، وهذا المشروع هو الدليل الحى على ذلك . « مصر مستقلة » !! ولها برلمان !! ووزارة مسئولة أمامه وسفراء فى الخارج .. وللدول سفراء فى مصر !!

ما هذا الكلام ؟ أممكن هذا ؟ أيعقـــل هذا ؟ ان لورد ملنر قد خرج على توكيله وهو العمل على تنظيم الحماية أو بعبارة أدق خالف نص التفويض الذي أعطى له ونصه : « تحقيق أســـباب الاضطرابات التي حدثت أخيرا فى مصر ، وتقديم تقرير عن الحالة الحاضرة فى تلك البلاد ، وعن شكل القانون النظامى الـــذى يعد تحت الحماية خير دستور لترقية أسباب السلام واليسر والرخاء فيها ، ولتوسيع نطاق الحكم الذاتي فيها توسيعا دائم التقدم والترقي ولحماية المصالح الاجنبية » ٠

أى فرق هائل بين نص هذا التفويض الظاهـــر الصريح وتلك المنح السخية المدهشة المذهلة التى أعطيت لمصر مثـــل الاعتراف بحقها فى الاستقلال والبرلمان والتمثيل الخـــارجى ؟ ماذا بقى لبريطانيا بعد ذلك ؟ لقد خسرنا مصر بدون أى مبرر على الاطلاق ان مصر ستقبل هذا المشروع حتما ٠ ولكن الرأى العام البريطانى سيرفضه ويثور عليه عند عرضه عليه ، وسيتجلى ذلك عند مناقشة الموضوع فى مجلس العموم ٠ لقد عشنا ورأينا خـروج مصر من حظيرتنا ، ولا نعرف جنونا أشد من هذا الجنون الذى أصاب رجال الحكم فى بلادنا » ٠

٭٭٭

حسبنا هذا القدر من الدعاية فى صحافة بريطانيا لبيان مـدى المحاولة الانجليزية للتاثير فى المصريين اثناء عرض المشروع عليهم وافهامهم انهم الكاسبون حقا وان الانجليز هم الخاسرون ٠

وعلى هذا المنوال نسجت صحف فرنسا حليفة بريطانيا ، وضربت على نفس هذه الانغام الشجية حتى ليخيل للانســـان ان جرائد بريطانيا وفرنسا معا تلقت الوحي من شخص واحـــد رسم خطة الدعاية ، وبين بالدقة ما يقال وما لا يقال ، ما ينشر وما لا ينشر، ثم ما يؤكد ويبالغ فيه من مزايا المشروع دون سواها وذلك حتى يشعر الرأى العام المصرى أن باب المستقبل السعيد لمصر قد فتح على مصراعيه بفضل هذا المشروع الذى وضـــعه ملنر وأعضـــاء لجنته ، وحتى يتأكد الشعب المصرى أن رفض مشروع كهذا خطأ وخبال ، لان مزاياه لم تكن تخطر ببال أو خيال ٠

نظرة عامة : من المؤيدين ومن المعارضين للمشروع :

والآن فلنقف لحظة ، وننظر نظـرة عامة ، لنعرف عـــدد من يؤيدون المشروع ومن يحاربونه لنوازن بين قوى الفريقين :

أما المؤيدون المجندون الداعون لقبوله فهم :

١ ـ محمد محمود ولطفى السيد والمكباتى الذين ســـافروا لاجراء عملية الاستشارة فى مصر .

٢ ـ عدلى وأعضاء الوفد من الاغلبية الباقون فى باريس .

٣ ـ صحافة لندن وصحافة باريس .

٤ ـ صحافة الاسكندرية والقاهرة .

٥ ـ عدد كبير من البارزين من أعضاء الجمعية التشريعية .

٦ ـ بعض كبار الكتاب فى مصرمن أمثال محمود عزمى وتوفيق دياب .

٧ ـ بعض كبار المحامين المصريين .

أما المعارضون للمشروع والمطالبون بتعديله فهم .

١ ـ الرئيس سعد زغلول ومعه واصف غالى وسينوت حنا وعلى ماهر ومصطفى النحاس .

٢ ـ الحزب الوطنى وافراد قلائل من البارزين من الشعب .

قوتان غير متكافئتين ، لهذا كان ســـعد فى اشد حالات الكرب والحزن واليأس وكان ما تنشره الجـــرائد الانجليزية والجرائد الفرنسية يوميا يقع من نفـــه أسوأ وقع بل كان يكويه كيا ويشويه شيا لانه كان يدرك مدى ما فيه من خبث ودهاء ونفاق وتاثير فى السانجين وغير المطلعين من المصرين ، فلما اطلع سعد بعد ذلك على ما نشرته الجرائد المصرية فى مقالاتها الافتتاحية وما نشرته من تفسيرات الاعضاء الاربعـــة لمواد المشروع بلغ الكمد والغيظ والانقباض من نفسه أقصى مدى يخطر عنى بال .

فماذا يعمل ؟ كيف يعمل ؟ كيف يقاوم هذا التيار الجارف ، وهذا البلاء الزاحف ؟.

هداه تفكيره أن يبعث الى مصطفى النحاس بخطاب طويل طالبه فيه أن يبذل أقصى جهده لمنع الناس من الموافقة على مشروع ملنر

بغير شرط أو قيد ، وحثه على حملهم على وضع رغبات وتحفظات على المشروع حتى يمكن النظر فى قبوله على أساسها • وبغير هذه الرغبات والتحفظات لا يمكن قبول هـذا المشروع بحال من الاحوال •

سعد يحدد التحفظات

وقد حدد سعد بنفسه هذه التحفظات وهى

١ ـ الغاء الحماية بنص صريح فى المشروع •

٢ ـ تنفيذ المعاهدة عقب التصديق عليها فورا بدون انتظار قبول الدول الغاء المحاكم القنصلية وتعديل اختصاص المحـاكم المختلطة وحلول بريطانيا محلها •

٣ ـ تعيين المعاهـدات السياسية التى ترى بريطانيـا انها تضر بمصالحها •

٤ ـ تعيين نوع المساعدات التى تقدمها مصر لبريطانيا بسبب هذه المعاهدة •

٥ ـ ضمان اعطاء مصر الماء الكافى من النيل •

٦ ـ الغاء النص القاضى بحق الحـكومة المصرية فى أن تستشير المستشار المالى والموظف الانجليزى بوزارة الحقانية •

٧ ـ تسوية مسألة السودان •

وقد بذل مصطفى النحاس جهـودا مشكورة فى محاولة حمل أعضاء الجمعية التشريعية وأعضاء مجالس المديريات على قبول هذه التحفظات ، ولكن أعضاء الوفد الاربعـة بذلوا جهودا من ناحيتهم كذلك على أن تكون هذه التحفظات مجـرد رغبات يحقق الوفد منها بالمفاوضة ما يستطيع تحقيقه ، وما لا يستطاع تحقيقه يؤجل مؤقتا •

ولما وصلت الجرائد المصرية الى فيشى وقد نشرت هذه التحفظات على انها رغبات غضب سعد وهاج ، وقال لى انه سيعتبرها تحفظات حيوية وانه سيطالب ملنر بالتسـليم بها مقدما قبل استئناف المفاوضات •

راى الرئيس فى طريقة عرض المندوبين للمشروع فى مصر

١٥ سبتمبر :

اخبرنى الرئيس اليوم اثناء تناول الشـــاى معه انه اطلع على اللطائف المصورة الاخيرة فوجد فيها صورة المندوبين عنـــد وصول الباخرة بهم الى الاسكندرية ، ثم قال .

« رايت فيها ما يجرح النظر اذ كان محمـــد محمود والمكبانى يطلان من الباخرة وفى فم كل منهما سيجارة تتدلى على طريقـة الادلال والتيـــه التى يسلكها عادة الشـــبان الناشئون المعجبون بانفسهم » .

كما قال لى فى حسرة وكمد : « ان الاعضـاء الاربعة عرضوا مشروع الاتفاق بطريقة التحيز لا بالنزاهـة ولا بالدقة التى كنت انتظرها منهم ، وظهر لى ان الامة لم تصدق كل ما سمعته منهم لانه غير معقول ولا مقبول ، ويدل على ذلك انهـــا بعـد ان سمعت الشروح التى لا توافق المعقول ولا تنطبق على الحقيقة تشبث بعضهم بأن تشتمل الاتفاقية على نصوص لا تترك مجالا للتاويل ولا مجالا للتفسير . ولهذا يجمل بى الا اؤيد هذا المشروع الا قبلت هـذه التحفظات .

العودة الى باريس من فيشى

١٦ سبتمبر ١٩٢٠ :

عدنا جميعا من فيشى فى قطار الصباح الذى وصل الى باريس فى الساعة الثالثة بعد الظهر بعد ان اتم الرئيس علاجه فى هـــذه المدينة الاولى للمياه المعدنية التى تعالج امراض الكبـد والبدانة والسكر .

ولكن ماذا اقول ؟ اتم الرئيس علاجه !! الصواب ان اقول :

« اتم الرئيس المدة المقررة للعلاج » اما العلاج نفسه فشىء آخر لم يتم ولا اظنه قد بدىء فيه . وكيف يبدأ علاج ، والمريض منهمك فى اعماله العقلية ، محترق بانفعالاته النفســـية مسحوق باثقال هومه السياسية ثم غيظه وغضبه المستمر المـكبوت المكتوم يوما بعد يوم : يزعجه على الدوام فى اليقظة ويؤرقه على الـــدوام فى الليل ؟

عدلى يزور سعدا فى مسكنه

١١ سبتمبر .

حضر عدلى لزيارة الرئيس وقد أتم هو الآخر علاجـه فى مدينة (فيشى) الشهيرة بمياهها المعدنية ، وفى الحديث الذى دار بينهما تبين للرئيس انه كان على اتصال مستمر بالمندوبين الذين ذهبوا الى مصر للاستشارة كما كان على اتصال تام بملنر بواسطة (ولرند) الانجليزى الاعرج .

وفى أثناء الحديث قال عدلى لسعد . هل تستحسن أن المفاوضة القادمه تكون فى مصر أو فى لندن ؟

سعد أفضل أن تكون فى مصر .

عدلى : اذن يجب أن يكون فى لندن مصرى قدير يؤيد وجهة نظر المفاوض المصرى أثناء المفاوضات .

سعد . هل فكرت فى واحد يليق أن يشغل هذا المركـز فى هذه الفترة المهمة ؟.

عدلى محمد محمود .

سعد . لا أظن أنه يفى بالغرض .

عدلي . أعرف ذلك (وابتسم) .

سعد : وما رأيك فى اسماعيل صدقى .

عدلى . ليس محبوبا فى انجلترا ، ومع ذلك سأفكر فى الموضوع معك .

المندوبون يكتبون الى عدلى

وفى أثنـــاء تناول الشـــاى أظهر الرئيس دهشــته من امتناع المندوبين الاربعة عن الكتابة اليه طوال مـدة عرض المشروع على الامة . مع أن بعضهم كتب الى عدلى مرارا وقد قرأ له عدلى خطابا واردا اليه من محمد محمود باشا يظهر فيه تفاؤلا كبيرا ، كمـــا تسلم عدلى خطابات من اسماعيل صـــدقى ولطفى السيد وعلى المنزلاوى بينما الرئيس سعد لم يتسلم الا خطابين من مصـــطفى النحاس .

ويصا واصف ينتقد خطة الحياد

اخبرنى الرئيس كذلك ان واصف غالى اطلعه على خطاب وارد اليه من ويصا واصف يستحسن فيه المشروع ، وينتقد خطة الحياد التى طلب من المندوبين اتباعها .

ثم قال : « لقد دهشت وتعجبت من هذا المحامى الذى لم يتأمل تماما فى المشروع ولميدرسه دراسة كافية لكىيدرك مقدار ماينطوى عليه من الاخطار اذا لم يتناوله تعديل اساسى كما بينت ذلك فى خطابى الى مصطفى النحاس عن المسائل التى يجب ابداء رغبات وتحفظات بشأنها » .

مشروع هرست

١٨ سبتمبر :

اخبرنى الرئيس أن عبد العزيز فهمى زاره صباح اليوم وأبدى له تألما من رخاوة عدلى بالنسبة لمشروع هرست عن تعديل الامتيازات الاجنبية لانه يعتبره اشد ضربة تصيب مصر فى مقتلها . وقد ألح على سعد أن يزيد من اتصاله بعدلى لانه يقطع بانه يكون نافعا جدا أو ضارا جدا اذا تولى المفاوضات القادمة .

فرد عليه سعد بانه لا يثق بعدلى . ولا يقبل المفاوضة الا اذا كان هو رئيسها وان ينتخب من يكونوا معه .

فقال عبد العزيز فهمى انه سيتكلم مع عدلى فى ذلك ليجس النبض .

فقال الرئيس : هذا حقك .

كما أخبرنى الرئيس إنه يشعر شعورا قويا بانه اذا لم يكن متوليا أمر المفاوضات فى المستقبل ضاع الامر على مصر .

ملخص مشروع هرست

اختصاص المحاكم المختلطة (كما وضعه هرست المستشار القضائى لوزارة الخارجية البريطانية) :

توسيع اختصاصاتها على الاسس الآتية :

١ ــ كل أجنبى مقيم فى مصر .

٢ ـ كل ما فيه مصلحة أو فائدة أو ضرر للاجانب بحسب ماتقرره المحاكم المختلطة بنفسها ٠

٣ ـ المحاكم المختلطة هى التى تحدد اختصاصاتها ٠

تشكيل المحاكم المختلطة

يقضى المشروع بأن يكون رئيس محكمة الاستئناف ورؤساء المحاكم الابتدائية والنائب العمومى ، وعدد معين من القضاة الاجانب بحيث تكون لهم الاغلبية فى الجمعية العمومية ٠ ويكون تعيين القضاة وتزكيتهم بواسطة ممثل بريطانيا السياسى فى مصر ، وتكون محاكم الجنايات مختصة بالجرائم المعتبرة جناية قانونا ، وبالجنح التى يمكن الحكم فيها أزيد من سنتين ٠

فلما اطلع الرئيس على هذا المشروع رفضه من اساسه ٠

صيغة الرئيس لالغاء الحماية

٢٠ سبتمبر :

اخبرنى الرئيس انه فكر فى صيغة « لالغاء الحماية » من غير تصريح واضح بهاتين الكلمتين وذلك ليوفق بين الطرفين وهى :

« كل اعلان أو اتفاق يختص بحالة مصر الدولية غير هذا الاتفاق يعتبر لاغيا » ٠

ثم قال : « لا أظن أن هذه الصيغة يقبلها من لا يرغب فى الغاء الحماية ، أما اذا كانوا لا يرون مانعا من الغائها وانما تمنعهم كرامة بريطانيا وتصريحاتها السابقة من ذلك ، فانهم يقبلونها » ٠

وفى هذه اللحظة حضر عبد العزيز فهمى وأطلعه الرئيس على هذه الصيغة فقال له : « يا باشا ان المشروع حماية ، ولا ينفى هذا المعنى اى تصريح بالغائها ، وهذه الصياغة جميلة اذا سلمت الحكومة البريطانية بقبول التحفظات التى ترى ادخالها على المشروع ، وقبول تعديل مشروع هرست الذى يتضمن من المبادىء ما هو شر من الحماية ٠

الرئيس : اذا كنت ترى أن المشروع حماية فلماذا تقبله وتؤيده انت وزملاؤك ؟ ٠

عبد العزيز فهمى : اننا نختار أهون الشرين ٠ والمضطر يركب الصعب فى الامور وهو عالم بركوبه ٠

سعد . ان سير رنل رود قال مرة في حديث خاص أن الصعوبة في مسألة الغاء الحماية صراحة انما ترجع الى كرامة بريطانيا لا اكثر .

عبد العزيز فهمي هذا كلام يقال ، وما كل ما يقال يصدق

الاعتراف الثالث عشر

٢١ سبتمبر :

قال لي الرئيس في أثناء تناولي الشاى معه .

« ان اخوف ما اخافه الآن الانقسام في الوفد . فان المندوبين الذين بعثنا بهم الى مصر يميلون كل الميل الى قبول مشروع ملنر ، ان لم يكن لاعتقادهم بفائدته فلارتباطهم الآن بما أبدوه للامة من تفسيرات وتحبيذات . وليس فيهم من اصالة الفكر وقوة العزيمة ما يخرجهم من هذه الحالة . ولكن كل هذا لا يضعف همتي . وما وثقت بي الامه لأغرر بها . بل لكي أسلك بها سواء السبيل . ولقد نفرتها من الحمايه فنفرت ورغبتها في الاستقلال فرغبت وحملتها على كثير من الضحايا فضحت . وانه لمن أكبر الجرائم ان أصور لها بعد ذلك كله الحماية في صورة الاستقلال ولكي أحملها على ما تكره » .

مرض الرئيس بالانفلونزا

من ٢٢ سبتمبر الى ٣٠ سبتمبر :

في هذا الاسبوع الاخير من سبتمبر اعتكف الرئيس لاصابته بالانفلونزا التي بدأت بردا خفيفا وزكاما ثم ارتفعت الحرارة درجتين ، ونصحه الطبيب بالراحة التامة . فلم اقابله في هذه الفترة الا تسع مرات : مرة واحدة في الصباح من كل يوم لاطلعه بايجاز على ما تنشره الجرائد الانجليزية من أخبار عن مصر .

ورأى أن هذا المرض نعمة في ثوب نقمة لانه يضطره الى الراحة اضطرارا وهو اشد الناس حاجة الى الراحة البدنية والراحة من الانفعالات النفسية التي أصبح يعيش عليها ، وكأنه لا غنى به عنها .

وقد وردت اليه تلغرافات عديدة بالسؤال عن صحته وقد رددت عليها جميعا . ولاحظت انها وقعت من نفسه أجمل وقع .

ووصل الى باريس عدد كثير من الاعضاء الذين كانوا فى مدن فرنسا يستشفون ويستجمون . وسيصل فى بحر الاسبوع القادم أو فى اخره أعضاء الوفد من مصر بعد أن قاموا باتمام الاستشارة .

الاعتراف الرابع عشر

اول اكتوبر :

قال لى الرئيس اليوم اثناء تناولى الشاى معه .

« انى أعتقد أن الله لا يريد بى الا كل خير ، فهو يوفقنى دائما الى ما فيه المصلحة العامة رغم كل المغريات حولى وكل المؤثرات ، ولكنى أعجب لامرى : فانى لا اذوق لذة خالصة من كدر ، ولاأشعر بسرور خال من هم ، ولا تزدهينى نعمـــة اذا أصبتها ولا يأخذنى الارتياح للحاضر عن التفكير فى القابل ، ولا تطمئن نفسى الى أذى الغير . وان الغير اعتدى ، ولا ترضى عن نفســـها حتى تعدل عن غيها ، ولا يروق لها الا جمال الفضيلة ، ولا تشعر بقوة أعلى من قوة الحق ، ولا بلذة اكبر من لذة الجهر به والدعوة اليه .

« انى اصبحت لا ابتغى منزلة أعلى مما نزلتــه من قلوب امتى وحسبى الاحتفاظ بها ، ومادام هذا قصدى فليكن كل ما بيننا من تنافر وتزاحم بعيدا عنى ، وليكن عملى متفقا مع القصد . اللهم انى اخلصت وجهى لله . فوفقنى دائما لما ترضـاه انك أنت علام الغيوب » .

فتأثرت غاية التــاثر ، وأحنيت رأسى مطرقا وســـكت وأطلت السكوت فلاحظ الرئيس حالى وما انا فيه من شعور غامر ، وهنا حضر واصف غالى وسينوت حنا فانتهزت الفرصة للخــروج من حضرته لأدون كلمات الرئيس حرفا بحرف .

٢ أكتوبر ١٩٢٠ :

لقد حرصت منذ سفرى فى مصر أن اكتب الى صديقى الاستاذ احمد امين خطابات سياسية اطلعه فيها بقدر الامكان على ماعندنا من أخبار ، واجيبه عما يسأل عنه من بيانات . وكان هو الآخر يكتب الى بنظام واطراد .

وقد وصلني منه خطابان مهمان احدهما بتاريخ ١١ سبتمبر والثاني بتاريخ ٢٦ سبتمبر ، وهذا نصهما :



احمد أمين

اخي كامل

سلام عليك ـ كم انا سعيد بك ، مغتبط بصحبتك ـ شاكر لك توالي كتبك علي وايضاح ما غمض على الناس ·

انست بلقاء اخيك وودت أن القاك قريبا كما لقيته وقد زرته امس في بيته وحظيت بلقياه ولغيا والدك ، وسرنا جميعا الى كافيه ريش فجلسنا هناك جلسة جميلة حدثني فيها باحاديث كثيرة اسرها الى نفسي ما كان عنك ووجدتك اثرت فيه اثرا غريبا اذ جعلته يعتقد في ما لست له باهل ، ويميل الى مصاحبتي ويلح على في كثرة لقياه ـ شكرا لك ـ كان استقبال اعضاء الوفد هنا استقبالا لا استطيع وصفه وكان الناس يتساءلون « فماذا يصنع الناس عند قدوم سعد باشا ؟ » وكنت انتظر على المحطة فيمن انتظر ، وتذكرت عندئذ يوم أخذ محمد باشا محمود هو وأصحابه واعتقلوا وسافروا ولم يدر بهم أحد ، وقابلت بين ذلك وبين قدومه أمس والحكمدار يقدم له أوتومبيله لان أوتومبيل الباشا كسر من كثرة زحام الناس فعلمت عندئذ قوة الامة وقدرت نتائج ثباتها ·

« ومما زاد دهشي اليوم أني قرأت في المقطم مقالا يغير فيها سياسته تغييرا تاما، ويتقرب الى الامة ويبتعد عن الانجليز بالتدرج ويعلن أنه سينتقد المشروع بصراحة وانه يخدم مصر والمصريين ، وانه لولا الوفد ما وصل المصريون الى ما وصلوا اليه . فتوقعت

بعد ذلك ما يفعله المارقون ، ورأيت مظاهر اناس كانوا يرموننـــا بالطيش والحمق والجنون وهم يريدون اليوم أن ياكلوا أول ثمرة تثمرها مجهوداتنا . فهنيئا لهم ذلك وليتمتعوا كما نتمتع ولسوف نصفح عن كل مسيء ونستخدم كل ذى كفـاءة . ولو أن الانجليز كانت تستخدم كفاءته ٠

« الرأى فى مصر ياكامل أميل الى قبول مشروع الاتفاق بتحفظات ولاسيما الشرط التعليقى ٠

« ويظهر أن السبب فى قبولهم ما يحسون به من ضيق الخناق فى موقفهم الحالى وموقف انجلترا العام أمام الدول ، وان كان هناك طائفة لا ترضى عن الاتفاق بحال من الاحـــوال وقد غاظهم ســلوك الوفد الاخير فى الاستنارة برأى الامة لانهم لم يجــدوا فى هذه الطريقة مطعنا ما يطعنون به على سلوك الوفد ، ويسرنى أن تكون بين النغمات المختلفة نغمة تقول برفض مشروع الاتفاق فذلك مما يقوى — على ما أعتقد — مركز الوفد ويجعله يشتد فى المطالبة ٠ لم ينشر المشروع الا أمس وابتدأت الجرائد تعلق عليه وتنتقده ، وابتدأت الجماعات المختلفة تجتمع لتبدى رأيها وسأخبرك بما يتم ٠
والسلام عليك من مشتاق لك . معجب بك ٠

(أحمد أمين)

اما الخطاب الثانى بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٢٠ فنصه كما يلى ٠

اخى كامل

سلام عليك ✽ تمت حركة الاستئناس برأى الامة أو كادت على خير ما كنا نرجوه فقد اشــترك فى ابداء الرأى كل ذى رأى وكل عظيم وكل صغير وتجلى للاجانب ثانية قيمة تعلق النــاس بسعد وبالوفد ورجاله ، والاغلبية العظمى كما قلت لك كانت ميالة الى قبول المشروع بتحفظات ، وكان مما ينتقد علينا أن الحزب المعارض أضعف ممـــا كان ينبغى ٠ وسبب ذلك على ما يظهر أن الامراء تسرعوا فى ابداء رأيهم وقد يكون ذلك بتحريض غير مخلص فخشى المعتدلون أن يتبعهم الرأى العـــام فصدموا الامراء صدمة قوية ورموهم بالتسرع بل والانقيـاد الاعمى ، فخشى بعـــد ذلك بعض المعارضين أن يجهروا برأيهم خوفا من أن يصدموا كما صدم الامراء ، فخضعوا لقوة التيار . ولو تأخر الامراء الى الاخر كما فعلوا فى حركتهم الاولى لكان حزب المعـــارضة اقوى كما يظهـــر لى ،

وخلاصة الرأى العام ان المشروع يصح أن يكون أساسا مع تحفظات عديدة لابد أن تكون قد اطلعت عليها ٠

« يسرنى يا كامل حصول ما كنا نأمـــله ـ أتذكر أنا كنا نمشى قريبا من قصر النيل يوما وكنا نتمنى أن يكون المصريون حزما وأن تكون هناك حزمة الحزم ، ذلك ما كان فقد انتشرت النقابات وتألفت جماعات كثيرة أعانت رجال الوفد على الوقوف على رأى الامة ٠

« لا اكتم عنك أن بعضـــا من المصريين دهش من هذا المشروع وتمنى أن لو تم ، وما كان يتوقع أن انجلترا تسمح بما سمحت به ، ومازال مستغربا الى اليوم ـ يعرف هؤلاء . همة سعد ورجال الوفد وما بذلوه من جهد ، ولكن ما كانوا يتصورون أن انجلترا العنيدة تسمح بذلك ٠ انصرف كثير من العقلاء بعد هذا الى التفكير فيما ستكون عليه حالة الامة بعد ، والخوف من المستقبل ٠

« يتصور الناس للاستقلال صورا براقة فالفقير يتصور أن معنى الاستقلال رخاء العيش ، والتلميذ يتصور فيه الحرية الى غير حد ، ومن لم يوظف يتصـــور أن الاســتقلال سينيله وظيفة ، والموظف يطمع فى وظيفة أكبر من وظيفته ، وقل من يتصـور أن الاستقلال مسئولية كبرى وعبء ثقيل ومجهود عظيم وانا اذا ندناه فقد رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ، وكل هؤلاء يوم لايجدون ما يأملون يكونون من الساخطين الشاكين ـ ما أحوجنا الى رجال كثيرين أشداء أقوياء أمناء، يشعرونبالمسئولية ويحسون بالواجب، وعبء الاســتقلال أكثر مما عنـــدنا من رجال لاسيما أن أوربا ستحاسبنا من يوم أن نتسلم زمام امورنا ولا تعلم أن رجال اليوم هم ثمرة الاحتلال المرة ونتيجة التربية الناقصة ، أوربا هى التى زرعت الزرع وأنتجت ثمرة مرة وتطالبنا يوم أن نتسلم الثمرة أن نقبلها ثمرة حلوة فى الحال ، ولكن لعل شعورنا بالمسئولية يزيد مجهودنا ويكوننا سريعا فقد أبدت الامـــة فى مواقف كثيرة ما قد يستغربه السيكولوجى الدقيق ٠

« نفعنى كتاباك وفهمت منهما ما لم اكن افهم وعملت بما فيهما قدر جهدى ٠

« لعلك فىخلوة من خلواتك ياكامل وفى وقت من أوقات «التجلى» تحدثنى بشىء عن نفسك فقد شغلتنا السياسة كثيرا واشتقت الى

احاديثك السيكولوجية ـ ارجو ان يحقق الله امالنا ويسدد خطانا جميعا ٠

(أحمد أمين)

٣ اكتوبر :

رايت أن أطلع الزعيم سعد على هذين الخطابين الواردين الى من الاستاذ أحمد امين لانى وجدتهما يلقيان بعض الضوء على كثير مما لا نعرفه هنا ونحن فى باريس ٠

ولكن قبل ان اعرض الخطابين على الرئيس ، فكرت فرايت أن من الحكمة أن اثير فى نفسه شيئا من الاهتمام بهما وذلك عن طريق تعريفه اولا بكاتبهما ٠ فاذا عرف قدر الكاتب وثقافتــه ومركزه زاد اقبالا على الاستماع وزاد تقديرا لما فيهما من حقائق وملاحظات ومن تحليلات وتعديلات ٠ فلما دخلت عليـه صباح اليوم سألنى كعادته عما لدى من انباء ما نشر أمس فى الجرائد الانجليزية ، فقلت لا شيء ولكن معى اليوم ما لا يقل أهمية عنها ، فقد تسلمت خطابين من مصر يلقيان على الحالة فيها بعض الضوء ، وكاتبهما استاذ اديب عالم فاضل هو الاستاذ الشيخ احمد امين ٠

فقال . ومن الاستاذ الشيخ احمد امين ؟

فقلت : هو استاذ فى مدرسة القضاء الشرعى ٠ كان الاول فى ترتيب الخريجين من اول دفعة لهذه المدرسة ٠ وكان أحب الطلبة الى عاطف بك بركات* ناظر المدرسة الذى أظهر اعجابه به ، وتقديره له بان عينه استاذا مساعدا له ٠ والاستاذ احمــد امين فى مطلع الثلاثين من عمره واسع العلم متين الاخلاق صادق الوطنية ٠

ما كدت انطق بهذه العبارة الموجــزة بل ما كدت اذكر اسم « عاطف بركات » ومدرسة القضــاء الشرعى واختيـار احمد امين للتدريس فيها ، حتى تلالأ وجه سعد وتهلل غبطة وثقة بما سيستمع واقبالا عليه ، فقال مسرعا : « اقرأ على هــذين الخطابين فانا فى اشد الحاجة الى معرفة اخبار صادقة عن حقيقة الحال فى مصر لاسيما من مصدر موثوق به كصاحبك الاستاذ أحمد أمين » ٠

★ الرئيس سعد هو الذى انشأ مدرسة القضاء الشرعى أيام كان وزيرا للمعارف ، وهو خال عاطف بركات ٠

حينذاك تلوث الخطاب الاول ، ثم الخطاب الثـــانى فى هدوء وتؤدة فرسبت معانيهما فى ذاكرة الزعـــيم لان سعدا اقوى من عرفت ذاكرة ٠

واعجب سعد برصانة احمـــد أمين وبطريقة عرضــه للوقائع والحوادث بالتحليل والتعليل ٠

ولكن المعنى الوحيد الذى برز امام عينيه كان قوله

« خلاصة الرأى العام أن المشروع يصـح أن يكون أساسا مع تحفظات عديدة » هذا بيت القصـــيد كما يقولون ، واغتبط سعد بذلك اشد الاغتباط وعقد العزم على التمسك بهذه الخلاصة الوافية البديعة التى اتفقت مع رأيه ٠

وفى المساء بعد العشاء قابلت صـــديقى الاستاذ محمد على علوبة « فى قهوة فوكيه » فى الشانزليزيه ٠ وكانت المقابلة صدفة فاطلعته على الخطابين قرأهما بامعـــان ثم طواهما وردهما الى ثم قال :

« الم اقل لك ان رفض مشروع ملنر كما يرى سعد ، جريمـــة لا تغتفــر ؟ ٠٠ أنظر الى الاستاذ احمد أمين يقول ان المصريين فى دهشة من هذا المشروع ٠٠ وانهم ما كانوا يتوقعـــون أن تسمح انجلترا بما سمحت به » ٠

هذا هو المعنى الوحيد الذى برز امام عينى صـــاحبى ، وكان بالنسبة له بيت القصيد واغتبط بذلك اشد الاغتباط لانى التقى مع رأيه واتفق مع هواه ٠

ولم اشأ أن ادخل فى مناقشة معه فى الساعة التاسعة ليلا وليس أمامنا غير ساعة واحدة ننصرف بعدها الى فراش النوم هادئين ٠

خطاب من جورج خياط بك ومدكور باشا الى الرئيس

٤ ـ اكتوبر ١٩٢٠ :

تلقى الرئيس سعد صباح اليوم خطابا من مصر أمضاه كل من جورج بك خياط وعبد الخالق مدكور باشا العضوان فى الوفـــد وهما يشكوان حرمانهما من الاشتراك فى عرض مشروع ملنر على الامة أسوة بزملائهما الثلاثة ، مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى ٠


ويصا واصف — حافظ عفيفى

فكتب الرئيس اليهما قائـــلا انه لم يراع فى ذلك الا المصلحة العامة ، وانه اختار الثلاثة لانهـــم تابعوا المفاوضات فى جميع مراحلها متابعة دقيقة وكانوا على اتصال دائم معه شخصيا أو مع بعض أعضاء الوفد ، هذا فضلا عن أن هؤلاء الثلاثة كانوا ومازالوا عاملين بنشاط فى لجنة الوفد المركزية وفيهم كل الشروط والمؤهلات التى تساعدهم على الاشتراك فى عملية الاستشارة والاستفتاء ، بينما غيرهم من الاعضـــاء (يعنى الكاتبين لهذا الخطاب) لا حق لهم فى ذلك ، بل الواجب عليهم أن يرفضوا لو كان اقترح عليهم أن يشتركوا فى هذه المهمة ٠

وصول المندوبين الاربعة الى باريس عائدين من مصر

وصل اليوم الى باريس المندوبون الاربعة عائدين من مصرومعهم الاستاذ مصطفى النحاس بك والاستاذ ويصـــا واصف والدكتور حافـــظ عفيفى ، وقد استقبلهم فى المحطة جميـــع أعضاء الوفد

الموجودين فى باريس باستثناء عدلى . وقد ذهبت وقدمت لهم تحية الرئيس بمناسبة مقدمهم واعتذاره من عدم الحضور بسبب حالته الصحية ، وهو الآن فى دور النقاهة بعد مرض الانفلونزا . شسروا جميعا وحملونى تحياتهم واحترامهم وشكرهم له ، فنقلت ذلك الى الرئيس فاغتبط وابتسم ..

جلسات متوترة للوفد

اجتماعات الوفد مستمرة صباحا . والمناقشات مستمرة تجرى فى شىء من الحرارة والتوتر ، والانجليزى الاعـــرج موجود فى حجرة السكرتيرية يســـمع ويشهد ويخـــرج مع عدلى عقب كل اجتماع .

قرأ مصطفى النحاس ما ســـجله كتابة من شروح المنـــدوبين لمشروع ملنر عند عرضه على الامه ، ولم يوافق الرئيس سعد على الكثير منها وغضب لذلك غضبا شـــديدا واتهمهم صراحة بأنهم قالوا ما لا يتفق مع الحقيقة .

وأخذ عليهم ما يأتى :

١ ـ انهم لم يبينوا عيوب المشروع مطلقا ، بل لم يذكروا عيبا واحدا فيه .

٢ ـ قولهم خطأ بأن النص على الغاء الحماية مسألة ســـهلة وممكنة ، وهم يعلمون علم اليقين أن لجنة ملنر معارضة ورافضة لذلك كل المعارضة والرفض .

٣ ـ قولهم خطأ بانه بعد الغاء العنصر الدولى فى مجلس صحة الاسكندرية يكون اعضاؤه من المصريين .

٤ ـ قولهم خطأ بأن لقب المندوب السامى يمكن تغييره بأى اسم اخر كما هو الحال بين دولة مستقلة واخرى مثلها .

٥ ـ زعمهم بأن القوة البريطانية ستكون فى منطقة القنال فقط هو زعم لا يستند الى أى دليل .

٦ ـ زعمهم الباطل بأن القوة البريطانية هذه يتراوح عـــددها بين ٢٠٠٠ ، ٣٠٠٠ .

هذا وقد اتهمهم الرئيس صراحة بانهم اثاروا فى نفوس المصريين امالا ليس الى تحقيقها من سبيل ، وأن الواجب عليهم كان يقضى بأن يلتزموا جادة الحق والواقع ، وأن يحرصوا على الصـــدق والامانة والدقة المتناهية حتى يرى الناس مخازى المشروع واضراره .

وحتى يزنوا بميزان العلم الصحيح ما هو معروض امامهم فيقبلوا المشروع او يرفضوه او يقطعوا فيه برأى واضح صريح بالرغبات والتحفظات ·

وهنا أعرب الرئيس انه يعتبر هـذا الذى سماه المندوبون « برغبات » هى تحفظات لا مندوحة عنها ، لقد كان الرئيس قاسيا غاية القسوة فى صراحته الصاعقة المتلاحقة ، بل شاء ان يتجاوز فى كلامه حدود الاقناع ويصل بحجته الى حدود الافحام ·

ولكن هكذا سعد · ولو فعل غير ذلك لما كان سعد زغلول ·

وكان دفاع المندوبين عن انفسهم أن هذا الذى قالوه وشرحوه وفسروه هو ما أعتقدوه ، وما سيطالبون به ملنر ولجنته · وأن هذا كله ما فهموه من عدلى وما ادركوه من سير المفاوضات ، فلا داعى للغضب والاتهام الجزاف الظالم ما داموا هم أنفسهم متمسكين بالمطالبة به ، وما داموا مقتنعين بانه من الميسور تحقيقه وانه لا داعى للقنوط واليأس والتشاؤم ·

١١ اكتوبر ١٩٢٠ :

عدلى باشا وواصف غالى باشا سيسافران غدا (١٢ اكتوبر الى لندن ومعهم الانجليزى الاعرج (مستر ولرند) ·

وفى ١٣ اكتوبر يسافر الوفد بكامل هيئته الى لندن لاستئناف المفاوضات مع ملنر ·

فى الوفد اليوم حركة نشيطة بين الاعضاء فيها من مظاهر الشباب خفته وحماسته ·

⊙❖⊙

١٢ اكتوبر :

بعد سفر عدلى وصاحبه الى لندن صباح اليوم ·· وحوالى الظهر ، ورد خطاب من السفير البريطانى فى باريس الى الرئيس سعد يبلغه فيه ان لورد ملنر يأسف أشد الاسف لانه لا يستطيع مقابلته طوال الاسبوع القادم لكثرة ما عنده من الاعمال العاجلة ، وانه يرجو ارجاء السفر الى لندن حتى يتفق على موعد ملائم للطرفين اى أن سفرنا جميعا قد تأجل الى أجل غير مسمى ·

وذهبت الظنون فى تأويل هذا المسلك ترعى فى حقل الاوهام

جلسات هادئة لتحديد الاهداف

١٣ اكتوبر الى ١٥ اكتوبر :

الاجتماعات فى مقر الوفد مستمرة كل صباح ، وفى الشقة التى

يسكنها الرئيس كل مساء · ومدار البحث في كل هذه الجلسات تحديد المسائل التي سيثيرونها اثناء المفاوضات المقبلة مع ملنر ، وتحديد مدى المطالبة بتحقيق رغبات الامة وتحفظاتهـــا وكذلك الشروح والتفسيرات التي اعطاها المندوبون لبعض المواد لمشروع المشروع كأساس صالح لمفاوضات مقبلة تنتهي بمعاهدة تحـــالف بين مصر وبريطانيا · ومما يدعو للغبطة ان المناقشات اصبحت هادئة خالية من الانفعالات النفسـية ، وجو المســالمة من جميع الاطراف ظاهر للعيان ·

جلسات صاخبة لتحديد نظام المفاوضات

١٦ أكتوبر الى ١٩ اكتوبر ١٩٢٠ :

وصلت دعوة رسمية من ملنر لسفر سعد والوفد الى لندن يوم ٢٠ أكتوبر ، ولكن جو الجلسات تكهرب عندما قال الرئيس انه لا يرى ولا يوافق على سفر الوفد كله الى لندن هذه المرة ، وانه لا داعي لوجود جميع الاعضاء في لندن أثناء هذه المرحلة الاخيرة من المفاوضات وذلك خشية أن يختلفوا اختلافا مزعجا كما كان الحال في المرة الاولى فاحرج الوفد بذلك اشد احراج ووجد في اقتراح «استشارة الامة» مخرجا سليما معقولا دون قطع المفاوضات وهو الشيء الوحيد الذي لا يريده أغلب الاعضاء لانهم يرون في هذه المفاوضات وحدها الباب الوحيد المفتوح امام حل القضية المصرية واستطرد الرئيس قائلا : « ان منظر انقسام الوفد على نفســه ووصول أخبار هذا الانقسام الى ملنر ، يزيد ملنر تشــبثا برأيه ويجعله لا يخطو أقل خطوة في سبيل ارضاء مطالب الامة واجابتها فيعود الحرج الشديد الذي لا مخرج منه هذه المرة · أما اذا سافر فريق من الوفد الى لندن وتأزمت المفاوضات لأى سبب من الاسباب أمكن تأجيلها لاستشارة الفريق الموجود هنـــا في باريس ، ويكون هذا مخرجا سليما معقولا ، ولنا في ملنر نفسه أسوة ، فانه عندما يحرج في المفاوضات يؤجل المناقشة لاستشارة الحكومة أو بعض ذوى الرأى ممن يقيم لرأيهم وزنا » ·

الاعضاء لا يوافقون على اقتراح الرئيس وفي طليعتهم عبـــد اللطيف المكباتي ، والرئيس من جانبه يتشبث برأيه ، ولكن بعـــد مناقشـــات ومجادلات ومصادمات ومساعى ورجاءات من هنـــا وتوسلات من هناك استمرت اربعة أيام كاملة وافق الرئيس على انتقال الوفد كله الى لندن ·

الفصل السادس

السفر إلى لندن

٢٠ اكتوبر ١٩٢٠ :

سافرنا صباح اليوم بقطار الساعة ٤٥ر٩ من « الجار دى نور » (الرئيس وعبد العزيز فهمى ومصطفى النحاس وعلى ماهر وأنا ودومانى وأحمد نجيب مراسل الاخبار) · وقد حضر بقية الاعضاء الى المحطة للتوديع بعد أن تأجل سفرهم الى لندن بضــعة أيام للاستعداد · والجو بارد والضباب كثيف · وكانت السفرة هذه المرة من طريق المرة الاولى : بولونى ــ فالكستون · ووصلنا الى لندن فى الساعة ٦ مساء وكان قد صدرت التعليمات من الحكومة الفرنسية والحكومة البريطانية بتسهيل كل حركاتنا وعــدم تفتيش ما معنا من حقائب ·

وكان فى استقبال الرئيس وصحبه فى محطة لندن : سكرتير ملنر والانجليزى الاعرج ولم يحضر ملنر ولا عدلى ·

وذهب الجميع بسيارات الحكومة الى الفنادق المعدة لهم ·

المرحلة الثانية للمفاوضات

٢١ اكتور ١٩٢٠ .

حضر عدلى صبيحة اليوم الى فندق ســافوى وصحب الرئيس لمقابلة ملنر فى منزله

وبعد أن دار الحديث فى مطلعه كالعادة عن الجـو والضباب والصحة ومتاعب السفر وما الى ذلك . انتقل ملنر الى الكلام فى السياسة فقال : انه مسرور مما بلغه وما قرأه فى الجرائد من أن الرأى العام فى مصر موافق على المشروع وراض عنه ·

فاعترضه الرئيس قائلا : ولكن بتحفظات لا يحيد عنها ·

فقال ملنر : انه لا يقبل اية زيادة فى المشروع تمس دعائمه او تغير أسسه · فرد سعد قائلا : « انها ليست زيادات بل هى تحديد للمبهم · وتفسير للغامض وابراز للمفهوم ، كالنص على الغاء الحماية مثلا · و··

فقاطعه ملنر : أبدا · ابدا · أبدا · هذا لا يمكن مطلقا · مامعنى التشبث بهذه الكلمة ؟ لماذا لا يكتفى بالنص على الاستقلال ·

سعد : اذا كانت « الحماية » مجرد كلمة فى نظركم ، فلماذا تتمسكون بها بعد النص على الاستقلال ؟ لماذا تتحاشون عدم ذكرها؟ انها لاتكلفكم شيئا بينما النص على الغائها يرضى مصر تمام الرضى·

ملنر : أبدا ·أبدا · ثم قال ، انه يريد أن يسمع المندوبين الاربعة وأن يوجه اليهم بعض الاسئلة على سبيل الاستفهام والاستفسار ·

سعد احتد وانفعل وقال : ان المندوبين الاربعة مسئولون أمامه ، وانه انتدبهم ليؤدوا له الحساب ، وانه وحـده هو المتكلم باسم الوفد · ثم استطرد الرئيس فقال لملنر :

« انك اذا كلفت أحد أعضاء لجنتك باداء عمل ما فانى لا أجرؤ ولا أسمح لنفسى أن أطلب منك أن أسمع كلامه بنفسى ، وأن يجيبنى على أسئلتى ، ذلك لان أمثال هذه المسائل داخلية بطبيعتهـا · أليس كذلك ؟ »

ولم يعارض ملنر ولم ينبس ببنت شفة دقيقـة أو دقيقتين ثم ابتسم وغير موضوع الحديث ، وقال للرئيس فى مداعبة ظاهرة : لعلك اتخذت الاستعدادات الكافية للمحافظة على صحتك من جو لندن البارد الشديد البرودة والمتقلب كل التقلب فى هذا الشهر ·

فابتسم سعد ورد عليه بمداعبة مثلها قائلا : « لا تخش على فانى أستعين على هذا البرد الشديد بالملابس الصـوفية الانجلـيزية المشهورة » · فضحك ملنر كثيرا كأنه سمع نكتة طريفة غير منتظرة.

وانصرف الرئيس ومعه عدلي بعد أن ودعهما ملنر حتى باب الدار وكرر في ابتسام أسفه وخشيته من اشتداد البرد ·فشكره الرئيس على عواطفه وقال : « نحن وإياكم سواء » · ثم انصرف سعد وعدلي بعد أن تقرر عقد جلسة رسمية يوم الاثنين ٢٣ اكتوبر في الساعة ٣٠ر٣ في وزارة المستعمرات ·

قرار الوفد بقطع المفاوضات اذا لم تقبل التحفظات

لندن ـ الأحد ٢٢ اكتوبر :

عقدت جلسة للوفد صباح اليوم حضرها جميع الاعضاء الموجودين في لندن كما حضرها عدلي ، وقال الرئيس انه يرى ضرورة قطع المفاوضات اذا لم تقبل التحفظات الآتية :

١ ـ النص على الغاء الحماية صراحة ·

٢ ـ حذف العبارة الثانية من الفقرة الاولى من المادة الثالثة من المشروع التي تقضي « بأن مصر تخول بريطانيا العظمى الحقوق اللازمة لضمانة مصالحها الخاصة ولتمكينها من تقديم الضمانات اللازمة للدول الاجنبية للحصول على تنازلها في حقوقها الامتيازية » ·· لكيلا يترك مجال للقول بأن مصر تعطى حقوقا أزيد من الحقوق المبينة بطريق الحصر في مشروع المعاهدة ·

٣ ـ حذف الشرط الوارد في المادة الخامسة الذي يعلق تنفيذ المعاهدة على قبول الدول انتقال حقوقها الامتيازية الى بريطانيا العظمى ، وعلى انفاذ المراسيم المعدلة للنظام القضائي المختلط بحيث تكون المعاهدة نافذة المفعول بمجرد اعتماد مصر وبريطانيا العظمى لها ·

٤ ـ النص على عرض مشروعات تعديل النظام القضائي المختلط على الهيئات النيابية المصرية واقرارها عليها قبل نشرها ·

٥ ـ دخول مصر بصفة طرف متعاقد في الاتفاقات المراد عملها مع الدول بشأن حقوقها الامتيازية ·

٦ ـ حذف النص الوارد فى المادة الرابعة الخاص بتعيين موظف بريطانى لوزارة الحقـانية ، فان وجود نائب عمـــومى بريطانى باختصاصاته العادية فيه الضمان الكافى للاجانب •

٧ ـ حذف النص الوارد فى المادة الثالثة الخاص باستشـــارة المستشار المالى •

٨ ـ قصر الاتفاقات الواردة فى الفقرة الاولى من المادة الرابعة والتى لا يمكن لمصر عقدها مع الدول متى كان فيها اضرار بالمصالح الانجليزية على المعاهدات السياســية فقط بحيث يبقى لمصر كامل الحرية فى عقد جميع الاتفاقات التجارية والاقتصـادية وغيرها بدون أدنى قيد •

٩ ـ حل مسالة السودان على الاسس الآتية :

١ ـ ضمان مياه النيل اللازمة لرى أرض مصر المزروعة الآن واراضيها القابلة للاصلاح والزراعة •

٢ ـ اولوية مصر فى اخذ المياه عند عدم كفايتها للقطرين •

٣ ـ تمتع مصر فعلا بحقوق سيادتها فى السودان •

١٠ ـ الغاء كل حكم فى المعاهدة يقيد استقلال مصر •

فوافق الاعضاء على اقتراح الرئيس بقطع المفاوضات اذا لم تقبل هذه التحفظات •

الجلسة الرسمية الاولى

الاثنين ٢٣ اكتوبر ١٩٢٠ :

فى الساعة التاسعة صباحا دخلت حجرة الرئيس فوجدته جالسا مطرقا مفكرا وفى يده قلم وأمامه ورقة فوقفت قليـــلا ولكنه لم يشعر بوجودى فانسحبت فى خفة وهدوء •

وللرئيس عادة مفيدة رائعة فريدة قبل الذهاب لمقابلة ملنر وقبل حضور جلسة أو اجتماع على جانب من الاهمية فكنت أراه يجلس وحده مطرقا مفكرا متصورا كل ما يمكن أن يقوله الطرف الآخر والموضوعات التي ينتظر منه أن يثيرها ، ثم يحضر في ذهنه الردود المناسبة ، هذا فضلا عما بيده هو بنفسه من خطط ، وما يرتبه في ذهنه من مسائل وتفصيلات يعرضها الواحدة بعد الاخرى ، ويحضر الادلة المنطقية المقنعة لدعمها وتاييدها • فهو يعرف دائما ومقدما الموضوعات التي يريد طرحها • والاهداف التي يرمي الى ادراكها وهو فى فترة الهدوء والاطراق والتفكير والتصــور ، يرتب فى ذهنه كل شيء وينسقه تنسيقا ، ولذلك كنت أراه يحرص على هذه الخلوة المثمرة قبيل كل اجتماع ذى بال، وكان من عادتى احترام هذه الوحدة والخلوة فلا اقطعها عليه ولو كانت بيدى برقية عاجلة • وكان يستمر فى تاملاته هذه كما يشاء حتى يقرر هو انتهاء الخلوة ويناديني فادخل للقائه واحدثه بما عسى أن يكون لدى من أنباء أو رسائل أو ترجمة أو موضوعات •

وبهذه الطريقة كان الرئيس لا يفاجأ فى أية مناقشة الا نادرا جدا ، بل كثيرا جدا ما كان هو الذى يفاجيء الطرف الآخـــر بملاحظات وحجج وأفكار أعدها من قبل •

وفى الساعة ٣٠ر٣ تحرك ركب الرئيس وعدلى من فندق سافوى ومعهما عبد العزيز فهمي ومحمد محمود وعلى ماهر ، وكان الرئيس لابسا الطربوش الاحمر كعادته (اعتزازا بمصريته وشعورا منه بأن هذا غطاء الراس لابناء وطنه فى بلده فلا حاجة الى تغييره) وكان الباقون يلبسون القبعات السوداء أو الرمادية ، ووصـــلوا جميعا الى وزارة المستعمرات قبيل الموعد المحدد ، وكان بانتظارهم ملنر وثلاثة من أعضاء لجنته •

وفتحت الجلسة فى الموعد المحدد : افتتحها ملنر بأن هنأ الوفد على ثقة الشعب المصرى وتاييده له كما تجلى ذلك فى اثناء زيارة الاعضاء المندوبين الى مصر للاستشارة فى مشروع ملنر ، كما هنأ المندوبين انفسهم على النجاح الذى أحرزوه بشـــأن مشروعه مع بعض الامانى والرغبات التى ابدوها •

وهنا انطلق الرئيس قائلا : « ان المسالة ليست مجـــرد أمانى ورغبات تقبل او لا تقبل تتحقق أو لا تتحقق ، وانما هى تحفظات

معينة محددة » • ثم اخذ الرئيس فى سردها واحـــدة اثر اخرى حتى أتي عليها جميعا كما سجلتها امس فى يومياتى • ثم استطرد الرئيس فقال : « ان هذه تحفظات قليلة ومعقولة وعادلة جدا » •

هنا سكت ملنر وأصحابه وطال سكوتهم •ثم قال ملنر فى هدوء: « انى أرفض اقتراح النص الصريح على الغاء الحماية » • وسكت وطال سكوته كان مسالة هذا الرفض مقصورة على تحفظ الغاء الحماية دون غيره من التحفظات •

وهنا اقترح الرئيس ان يتكلم على ماهر بوصفه أحد المندوبين الاربعة الذين زاروا مصر للاستشارة ليصف ما رأى ويقرر ما سمع بشأن هذه التحفظات فوافق ملنر على هذا الاقتراح محبذا اياه كل التحبيذ •

فتكلم علي ماهر واسهب وابدع وكان عند حسن ظن الرئيس به، ووصف بدقة ما جرى فى عرض المشروع وما لاقاه المندوبون من الاعتراضات • وما قدموه من شروح وتفسيرات فهمـــوها من النصوص وروح المفاوضات وقال ، ان هذه الشروح والتفسيرات هى وحدها التى أزالت حدة الاعتراضات ، وخص بالذكر منهـــا مسالة النص الصريح على الغاء الحماية •

أزمة بين سعد وملنر

سكت علي ماهر قليلا ، فتكلم سعد على الفور موجها الكلام الى ملنر :

« الا ترى الآن ضرورة ان تؤيد النصوص شروحهم وتفسيراتهم ، والا ظنتهم الامة مخادعين غشاشين ، اختلسوا ثقتها بالوفد بشروح وتفسيرات خاطئة ومضللة » •

فقال ملنر : انه لا يستطيع الآن ادخال اى تعديل على نصوص المواد ، وكل ما يمكن عمله هو ان يذكر فى تقريره أن هذه التحفظات جاء بها الوفد •

فقال سعد : ولكن يجب أن تؤيدها •

ملنر : لا · لا · لا يمكنني ذلك ·

سعد : اذن لا قيمة لذكرها فى تقريرك ، ولا فائدة من ذلك الا اذا سجلت بجانبها ان الوفد لا يرضى بغيرها ·

ملنر : نحن لا نطلب منكم ذلك ·

سعد : اذن نحن أحرار في اتخاذ الموقف المناسب حول المشروع ·

ملنر : كلا · لابد أن تؤيدوه ·

سعد : هذا مستحيل · لاني لا اقبل الا ما اعتقد انه صالح لبلادى، وبدون هذه التحفظات لا أعتقد المشروع نافعا ·

ملنر : ان تشبثك هذا قد يسقط المشروع ·

سعد : فليكن · نحن نتحمل تبعة هذا ·

وقع هذا التصريح من سـعد وكأنه قنبلة ، فتكهرب الجـو واضطربت الجلسة ، ووقف الاخذ والرد بالصوت المسموع · وبدأ الهمس الخافت

تهامس ملنر وعدلى قليلا ، ثم وقف ملنر واقترح تأجيل الجلسة للتروى والتفكير فوافق سعد ، ووقف الاعضاء جميعا ، واتجه بعض الاعضاء الانجليز الى زملائهم المصريين ، واستمر الكلام فى همس هنا وهناك ·

ما الذى كانوا يقولونه فى همس ؟

ما الخواطر التى تدفقت على ألسنتهم فى تلك اللحظة الخطيرة ؟

ما الغرض من الكلام همسا الآن وقد رفعت الجلسة ، ولم يحدد للجلسة القادمة موعد ؟

أغلب الظن أن الاجابة على كل هذه الاسئلة غير عسـيرة اذا استنجد الانسان بالبداهة واستعان معها بالخيـال · وما فائدة الخيال اذا لم يستخدمه الانسان فى مثل هذه المواقف الدقيقة ؟

كانت الاحاديث وكانت الخواطر تجرى وتتدفق على النسق الآتى:

ما العمل وكل طرف متمسك برأيه ؟

هل سيضيع المشروع كله من اجل بضع مسائل لا تزيد على أصابع اليدين ؟

الا يمكن ارجاء هذه المسائل الى المفاوضات الرسمية المقبلة بين وبدى الحكومتين ؟

هل ستذهب كل جهودنا حتى الآن هباء ، ونفشل بعد أن اشرفنا على النجاح ؟

هل تقطع المفاوضات الآن بعد أن خطونا معا كل هذه المسافة الطويلة ؟

ماذا عسى أن يكون رد الفعل وخيبة الامل فى البلدين مصر وبريطانيا ؟

هل سنفترق فى خصام أو نعلن اننا اتفقنا على كل شيء الا هذه التحفظات ثم نفترق على مودة وسلام ؟

ما الذى يمكن قبوله فورا من هذه التحفظات حتى ننقذ الموقف ، ويؤجل الباقى منها الى فرصة أخرى ؟

الا يحسن أن نؤجل الجلسة حتى تهدأ النفوس الثائرة ونعيد التفكير فى الموقف وفى النتائج ؟

وعلى كل حال انتهت الجلسة ولم يحدد للجلسة القادمة ميعاد.

وافترق سعد وملنر بسلام ، وعادوا جميعا الى قواعدهم سالمين.

وما كاد سعد وصحبه يصلون الى الفندق حتى عقدوا جلسة بينهم وقرروا بالاجماع دعوة باقى الاعضاء الموجودين فى باريس ، وتركوا الى ما بعد مجيء هؤلاء الاعضاء ، استئناف المباحثات فيما بينهم ، وأرسلت برقية الدعوة فى الساعة السادسة مساء .

جرائد لندن تهاجم سعدا والوفد

٢٤ ، ٢٥ اكتوبر :

ظهرت جرائد لندن فى هذين اليومين طافحة بالمقالات الافتتاحية والتعقيبات على تأجيل المفاوضات بين سعد وملنر الى اجل غير

مسمى ، ولم يشك احد من رجالنا في ان كل ما نشر انما هو من وحي ملنر وأعضاء لجنته ٠

وكانت أشد الجرائد فحشا واقذاعا في الطعن في المصريين وفي كفاءتهم ونزاهتهم ، جريدة المورننج بوست ، وهي جريدة المحافظين الاولى ، فقد أخذت تضرب على الانغام القديمة من تقسيم الامة الى اقسام ليس بينها تفاهم ولا تعاطف ولا وئام ٠ فالفلاحون لا يهتمون بالسياسة مطلقا ولا يفهمونها ، وهم يفضلون حكم الانجليز الف مرة عن حكم الباشوات الذين ساموهم العذاب طوال اعمارهم واعمار آبائهم وأجدادهم ، والتجار وأصحاب الاموال يريدون النظام الحالي ويخشون زوال الحماية بحجة انهم مطمئنون الاطمئنان كله على حالهم وأموالهم وهذا اقصى ما ينشدونه في الحياة ٠

اما طائفة الموظفين والمحامين والكتبة فهم وحدهم الساخطون الحانقون وهم الذين يؤيدون زغلول وأصحابه ٠ واستطردت الجريدة فزعمت ان المصريين قابلون لمشروع ملنر مغتبطون به أشد اغتباط ٠ ويقول كثير منهم « ان الله بحكمته قد خلق بعض الناس « مجانين » ومن هؤلاء الانجليز ٠ لانهم سيعسكرون في ناحية من بلادنا المصرية لحمايتنا من اي اعتداء خارجي ، وذلك على حسابهم وبدون ان يكلف مصر قرشا واحدا ٠ وبهذا نوفر اموال ميزانيتنا ونصرفها فيما ينفع ويفيد » ٠ هكذا تتحدث الجريدة الاستعمارية عن مشاعر المصريين وما يدور في رؤوس الاكثرية منهم افتئاتا ٠

ونشرت جريدة التيمس مقالا جاء فيه : ان احتلال منطقة قنال السويس غير كاف لانها تكون « غاليبولي الثانية » ولا بد من بقاء بعض القواعد العسكرية البريطانية في القاهرة والاسكندرية وعلى الاخص في الاولى للمحافظة على الترعة الحلوة ، ولان السودان لا يمكن حكمه الا بجيوش بريطانية جرارة لو اصبحت مصر مستقلة وليست لبريطانيا قوات عسكرية فيها ٠ وختمت التيمس مقالها بنصيحة زغلول ان يتعقل في مطالباته وأن يدرك ان وقت لجنة ملنر وصبرها لهما حدود ٠

ونشرت جريدة « وستمنستر جازيت » (وهي جريدة الاحرار) مقالة اتهمت فيها سعد زغلول باشا بالتعنت والاستبداد برأيه والتسلط على زملائه بطريقة غير ديمقراطية ، وان مشروع ملنر

نعمة لمصر لم يكن أحد من المصريين ينتظرها ، ونددت بطريقـــة المساومات الشرقية التي تطالب بالمزيد دائمـا ولا تقنع بالمعقـول ولا بالممكن ٠

ونشرت الديلي اكسبريس وجرائد اخرى مقالات طعنت فيها في الرئيس سعد وقالت ان الوفد منقسم على نفسه ، فريق يرى قبول المشروع على علاته وبحالته الراهنة وعلى رأس هذا الفريق عدلى باشا وأغلبية أعضاء الوفد ، وأما سعد زغلول فهو وحده المتشبث بالتحفظات ويقول ان المشروع بدونها يكون حماية مستورة ، ومع زغلول باشا أقلية ضئيلة من أعضاء الوفد ٠

اقنعت حملات الجرائد الانجليزية الزعيم ســـعد بضرورة قطع المفاوضات والعودة فورا الى باريس ٠

ولكن بقية أعضاء الوفد قادمون من باريس الى لندن فلا مندوحة من الانتظار والصبر على مضض ٠

بحث مسالة قطع المفاوضات

لندن ٢٦ اكتوبر :

وصل جميع الاعضاء الذين كانوا في باريس ، وهم في دهشة وذهول من الحملات الصحفية في جرائد لندن وباريس ضد الوفـد عامة وسعد باشا خاصة والاساءة الى مصر والمصريين بعبارات جارحة أليمة ٠

وعقد الوفد جلسة في المساء بكامل هيئتـــه وأعلن الرئيس في مطلعها أن هذه الحملات مدبرة وموحى بها وأن المقصود منهـــا توسيع هوة الخلاف بين الاعضاء داخل الوفد ، وأن الحالة أصبحت خطيرة جدا ولا تحتمل ، وقد قام الف دليل ودليل على ضرورة قطع المفاوضات والسفر من هذه البلاد ٠

وبعد تبادل الرأى اقترح عدلى أن يذهب غدا لمقابلة ملنر لمحاولة وضع حد لهذه الحملات ولاكتشاف آخر ما عنـده من الاقتراحات والآراء ، فاستحسنت أغلبية الوفد ذلك ورفعت الجلسة ٠٠

عدلي يقابل ملنر لانقاذ الموقف ويروى للوفد ما حدث

٢٧ اكتوبر

اجتمع الوفد مساء في جلسة ظاهرة الجد وللرئيس رغبة ظاهرة في سرعة البت والحسم في مصير هذه المفاوضات ، وحضر عدلى قبيل الساعة السابعة والنصف فاكتمل العقد وبدأ الجد فقال عدلى انه تحدث مع ملنر في مسألتين :

الاولى : مسألة الحملة الصحفية في معظم جرائد لندن ضد الوفد ، والشعور بانها موحى بها ، ثم قال عدلى انها حملات تضر ولا تنفع ، ورجا من ملنر أن يبذل شيئا من نفوذه لوضع حد لها لا سيما في هذه الاوقات التي دخلت فيها المفاوضات مرحلة دقيقة والتي اصبحت الاعصاب فيها متوترة · فرد ملنر بأن هذا الذي وصفه عدلى بانه « حملة صحفية » ما هو الا مسألة في غاية البساطة ، ولكنها على بساطتها لا يمكن ان يفهمها المصريون على ما يظهر · ثم استطرد فلفت نظر عدلى الى « الحقائق الآتية » كما سماها ملنر :

١ ـ أن المفاوضات طالت اكثر مما ينبغي · ومن حق الصحافة في بريطانيا أن تعرف المرحلة التي وصلت اليها ، والعقبات الباقية في طريق انتهائها · وكان طبيعيا أن يحضر مراسلو الصحف الى وزارة المستعمرات ويحصلوا على الحقائق وقد حصلوا عليها ·

٢ ـ الصحافة في بريطانيا حرة تمام الحرية ، ولا سلطان لاحد عليها غير رؤساء تحريرها فلا ملنر ولا رئيس الوزارة البريطانية يستطيع أن يغير اتجاهها ، أو يمنعها من نشر ما تراه وهي لا تنشر الا الحقائق ثم تعلق عليها بما تراه من الملاحظات ولهذه الصحف الحق في أن تصيب في ملاحظاتها وتعليقها على الاخبار ، ولها الحق كذلك في أن تخطىء بغير لوم عليها ولا عقاب ولا عتاب ، ومن شاء أن يصحح ملاحظة لها أو تعقيبا ، فمن حقه أن يكتب اليها مصححا ومن واجبها أن تنشر التصحيح ، ولا غضب بعد ذلك ولا شكوى ·

٣ ـ صحافة بريطانيا لا مثيل لها في العالم في التمتع بالحرية المطلقة في نشر ما تشاء ما دامت لا تتجاوزه الى السب والتجريح

الشخصي • ولذلك ترى أن ما تنشره يكون دائما في صميم الموضوع، أي ما تنشره يمس حقائق الموضوع أولا وآخرا وليس لاحد أن يشكو من ذلك •

٤ ـ المصريون حساسون أكثر من اللازم فهم لا يطيقون الانتقاد شفها ولا يحتملونه كتابة . ويعتبرون كل نقد ماسا بالكرامة يؤرقهم ويؤلمهم ، أما الانجليز فيتلقونه كشيء طبيعي جدا ، ويستفيدون منه لانه نقد انشائي موضوعي وليس نقدا هداما عاطفيا شخصيا •

٥ ـ الصحافة في مصر مقيدة ومسيرة ومسخرة ، قيدها قانون المطبوعات وغيره من القيود ، ومسيرة برجال الحكومة ومسخرة لخدمة الحكومة ومرتشية بالحكومة ولا تجرؤ على نقد عمل من أعمال الحكومة • والمصريون معذورون بعض العذر في الظن بأن صحافة بريطانيا كذلك • والواقع أن الصحف البريطانية على عكس ذلك على خط مستقيم •

ثم ابتسم ملنر وقال لعدلي : قل لزغلول باشا وأعضاء الوفد أن يدركوا هذه الحقائق وأن يبتسموا ، وإلا يتركوا ما ينشر في الجرائد البريطانية يعكر صفوهم •

بعد هذه المحاضرة الملنرية سكت عدلي ، وانتقل الى المسالة الثانية:

قال عدلي انه سال ملنر عن رأيه في التحفظات التى ادلى بها زغلول باشا ، كما ساله عن مصير المفاوضات التى يجب أن تنتهي بسرعة بعد أن اعترف الجميع بأنها طالت أكثر مما ينبغي •

فقال ملنر ما خلاصته : ان هذا الذى سمي « بالتحفظات » يجب أن يؤجل الآن وسيكون موضعها في المفاوضات الرسمية المقبلة بين ممثلى الحكومتين ، وليس هذا رأيه وحده بل هو الرأي الاجماعي لاعضاء لجنته • واستطرد ملنر قائلا « المهم الآن أن تقوم في مصر وزارة محترمة « ووزارة ثقة » يؤيدها الوفد ويعلن أنها اذا لم تدرك تحقيق هذه التحفظات في المفاوضات المقبلة لوضع معاهدة التحالف ، فانها تستقيل ، هذا من جهة ومن جهة اخرى يحسن أن تنتهي المفاوضات الحالية بين الوفد ولجنة ملنر لكى يتم ملنر تقريره ويقدمه الى الحكومة البريطانية بعد اسبوع أو اسبوعين ذلك لان استمرار المناقشات الآن ليست لهقيمة عملية » •

وهنا قال عدلى : انه يرى هذا الراى معقولا · ولا ضرر منه على قضية البلاد ومطالبها ·

ثم سكت عدلى ·

فتكلم سعد فى حزم وتحديد للموقف فى وضوح وجلاء :

قال : فهمنا من كلامك يا باشا ان حديث ملنر معك يتلخص فى مسائل ثلاث :

الاولى : ان مشروع ملـــنر يبقى على حاله ولا كلام الآن فى التحفظات التى نعلق عليها نحن والامة اكبر الاهمية ، وان تترك هـذه التحفظات الى المفاوضـة الرسـمية المقبلة تقبل او ترفض حينذاك ، فاذا كان ملنر قد رفض حتى مجرد الكلام فيها الآن مع وكلاء الامة رغم تشبثنا بها فهل يعقل ان تقبل هذه التحفظات فى المستقبل مع ممثلى حكومة يختار اعضاءها السلطان والانجليز ؟

الثانية : ان تقوم « وزارة ثقة » على اساس مشروع ملنر الحالم وان يؤيدها الوفد ، وانا اعلن الآن ان الوزارات (ايا كان تشكيلها وافرادها) لا يجوز لها ان تنتظر تاييدا من الوفد ما دام مشروع ملنر الحالى هو الاساس لانها اما ان تكون خادعة او مخدوعة : تكون خادعة اذا كانت تعرف وقائع حالنا وتقبل الحكم اعتمـــادا على ضعف الامة من جهة والسعى فى تفريق كلمتهـــا بوسائل الترغيب والترهيب لحملها على قبـــول ما ترفضه الآن ، وتكـون مخدوعة اذا ظنت ان الانجليز يسلمون لها بقبول التحفظات بعد ان رفضوها ، ولم يطيقوا حتى مجرد عرضها عليهم من وكلاء الامة·

الثالثة : ان تنتهى المفاوضات الحاليـة بين الوفد ولجنة ملنر بعد ان طالت اكثر مما ينبغى وانا اعلن انى موافق على ذلك كل الموافقة ·

هنا اضطربت الجلسة في خفقان وهمس بين الاعضاء ، ولما كانت الساعة قد بلغت التاسعة والنصف مساء وحان موعد العشاء او لعله فات · اقترح حمد الباسل باشا تأجيل الجلسة الى الغد وكان هذا احسن مخرج قبل أن يتكهرب الجو بالمناقشـــات التى تجرى والاعصاب المتوترة والنفوس ثائرة متوثبة متحفزة ·

فتقرر تأجيل الجلسة الى الساعة العاشرة من صباح غـــد · وانصرف عدلى فى كمد ومعه عدد من أعضاء الاكثرية الموالين له ، وعلمت انهم ذاهبون للعشاء معه فى فندق كلاردج حيث يقيم ·

بعد خروج الاعضاء وانصرافهم حوالى الساعة الواحدة بعد الظهر دخلت على الرئيس سعد وكان معه واصف غالى فوجدته حزينا غاية الحزن وسمعته يقول : هذه حالة لا تطاق ولكن ·· « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » · ثم انصرف واصف غالى وبقيت مع سعد نصف ساعة ·

فقال سعد فى حزن غامر « الانجليز لا يعرفون كل شيء عنا وعن خلافاتنا وانقسامنا ·· وما دام فينا من يوافقهم ويخذلنى ، فان ملنر يكون مجنونا لو أجاب طلباتنا بشأن تحفـــظات الامة على مشروعه » ·

سألت الرئيس : هل عدلى غضبان ؟

فقال : « هكذا يقولون ، ويقولون كذلك ان أخبار الانقسام فى الوفد قد وصلت الى مصر عن طريق ما نشر فى الجرائد الانجليزية، وعرف الناس فى مصر أن الوفد فى واد وعدلى فى واد آخـــر · وقد الحوا على طويلا فى ضرورة ارسال برقية منى الى لجنـــة الوفد المركزية بالقاهرة بتكذيب أخبار الانقســـام وهى صادقة ، وبتأكيد التضامن بينى وبين عدلى وهو غير موجود ، وهكذا يراد منى ان الصق ورق الحائط على الجدار المشقق لستر شقوقه واظهار الجدار بأنه سليم متين وهو متهدم على وشك الانهيار » ·

بهذا كان الرئيس واضحا كل الوضوح ·

وفى الساعة السادسة مساء حضر عدلى لزيارة سعد وبعـــد قليل حضر الاعضاء جميعا وعقدوا جلسة مسائية أستمرت حتى التاسعة مساء وكان موضوع المناقشات « مسألة التحفظات » هل

يلح الوفد فى قبولها الآن فتقطع المفاوضات ؟ أو تترك للمفاوضات الرسمية المقبلة ، وتستفيد البلاد من قيام « وزارة ثقة » يستريح اليها الناس وتتعاون مع الوفد خطوات أخرى فى سـبيل تحقيق الامانى الوطنية ·

كل واحد له رأى وكل واحد عنده كلام

وانتهت الجلسة بسلام نسأل الله حسن الختام

حديث بين سعد ومحمد محمود

٢٩ اكتوبر :

لم يعقد الوفد أية جلسة هذا اليوم ، لا فى الصباح ولا فى المساء بناء على طلب بعض الاعضاء وذلك للتفكير والتروى فى مسـألة قطع المفاوضات نهائيا مع ملنر ولجنته ·

وعلمت أن الاعضاء من معسكر الاغلبية اجتمعـوا بعـدلى فى فندق (كلاردج) وظل اجتماعهم ساعتين كاملتين من العاشرة صباحا الى ما بعد الثانية عشرة بقليل ·

وفى الساعة السادسة مساء حضر محمد محمـود باشا وقابل الرئيس سعد فى خلوة ، وظل معه نصف ساعة ثم خرج ·

هل حدث الرئيس عن رأيه الخاص ؟ أو عن رأى الجماعة بعـد جلسة الصباح مع عدلى ؟

هل يمكن أن يغير سعد موقفه أو يعدله ؟

ماذا كان رد سعد عليه ؟

ما شعرر محمد محمود بعد خروجه من محادثة سعد ؟

هذه أسئلة جالت بخاطرى واشتقت الى معرفة الاجابة عنها ، وانى لعارفها من غير شك قبل أن اترك مكتبى هذا المساء ·

فقد دعانى الرئيس سعد بعد قليل وسألنى : « هل تحدث معك محمد محمود باشا عقب خروجه من عندى ؟ » فقلت « كلا · لقد انصرف فورا على غير عادته ، هل هو الآخر غضبان ؟ » فقال سـعد :

« يجوز .. انه قال لى فى مطلع كلامه انه يؤيدنى فى ضرورة قطع المفاوضات مع لجنة ملنر . ولكنه مشغول البال بما سيقع على كاهل اللجنة المركزية للوفد فى القاهرة من تبعات جسام قد تنوء بحملها ، ومشغول البال كذلك بما يجرى فى مصر فى الوقت الحاضر ، وذكر انه تلقى أمس خطابا من صديق له جاء فيه ان مصر فى حالة شنيعة من الضعف والانحلال والتفكك ، وبدأ الانقسام فى الآراء يظهر فى الصحف وبين المتعلمين بسبب ما نشرته الجرائد الانجليزية من جهة ، ومن اشاعات السوء المنتشرة حول نيات الوفد ومعالجته للامور . هذا فضلا عن قضية محاكمة عبد الرحمن فهمى بك وما نجم عنها من النتائج المروعة . ثم قال محمد محمود « تلك حال تشغل بالى . ولا بد أن تكون قد فكرت فيها كذلك»

فقال سعد : نحن بين امرين احلاهما مر ، قطع المفاوضات اخف الضررين .

فقال محمد محمود : ان القطع لا بد منه .

فقال الرئيس : اذن لا بد ان نتحمل نتائجها ، ولا اظن مطلقا ان الامة تنفض من حول الوفد . والوفد لم يسلم بالاستخذاء والقبول بالحماية ، بل اعتقد ان قطع المفاوضات من شأنه أن يقوى الوفد ويحفظ مكانته فى الامة ، وقد يزيدها ارتفاعا وهذا طبيعى ، لان المعارضين للوفد او المنتقدين لبعض اعماله يتجردون من كل سلاح ضده وذلك لان الوفد محافظ على عهده متمسك بمبادئه .

محمد محمود : ولكن قد يحدث ما ليس منتظرا الآن ، والامور لا تجرى كما يقتضيه المنطق تماما . ومن واجبنا ان نقدر كل العواقب المنتظر منها وما يمكن ان يكون ، فذلك ادعى للحيطة والسلامة .

سعد : ان الله قد عودنا ان يحسن التدبير لنا ، لقد كنت عولت على الانسحاب من الوفد واعتزال السياسة كلها لو ان الامة قبلت مشروع ملنر من غير تحفظات ، لانى اؤمن ايمانا جازما قاطعا

بانه مشروع حماية ولست متأثرا ولا خائفا من خيبة المفاوضات ، بل كنت منتظرا لذلك ومقدرا له من أول الامر ، وما تفاءلت بها مثلكم كما تعلم علم اليقين ٠

محمد محمود : هذا صحيح ٠ ولكن الفشل كريه علي كل حال ، وله رد فعل عنيف لانه صدمة ٠

سعد : ان النجاح ليس في ايدينا ، ولا حيلة لنا في الفشل اذا جاء عن انتظار او غير انتظار ٠

وهنا اخبرني الرئيس ان محمد محمود ظل صامتا بعد ذلك دقيقة او دقيقتين وهو ساهم شارد الفكر كمن يشعر بالحيرة وخيبة الامل ، ولا اظنه غاضبا بقدر ما هو حزين ٠ ولكن ماذا كان ينتظر من محادثتي في هذا الموضوع وهو يعرف رأيي تمام المعرفة في موضوع التحفظات وموضوع قطع المفاوضات » ٠

في هذه اللحظة دخل الحجرة بعض أعضاء الوفد وهم : مصطفى النحاس وعلى ماهر وويصا واصف وواصف غالى والدكتور حافظ عفيفى وسينوت حنا ٠

لم يحضروا لعقد جلسة للوفد وانما حضروا لمؤانسة الرئيس وهم من رأيه وعاطفته واتجاهه وتبادل الرأى والحديث بين الزملاء المتشابهين في النظرة والمسلك والمشرب فيه ترفيه للاعصاب وتنشيط للذهن وانشراح للنفس ٠

ولقد اغتبط بمقدمهم اشد الاغتباط ، واحتفى بهم الرئيس احتفاء فيه حرارة ومعه ابتسام وظلوا معه حتى التاسعة مساء ٠

وبعد قليل ناداني الرئيس وكنت على وشك الانصراف ٠ وقال لي انه يريد أن يملي على خطابا يرسله الى الاستاذ سلامة ميخائيل المحامي الذى سبق أن ارسل خطابا الى الرئيس وصله امس فقلت له : « الا ترى تأجيل الرد الى غد لانك متعب الآن ؟ » ٠

فقال سعد : كلا أريد الرد الآن حتى لا أنسى ، وعندنا جلسة للوفد صباح الغد وأتوقع فيها الكثير من المشاغبات والمضايقات ، ومن رأيى الا يؤجل الانسان الى الغد ما يستطيع عمله اليوم ·

أملى على الرئيس خطابا سياسيا من صفحتين أهم ما فيه الفقرة الآتية لانها بيت القصيد وخلاصة رأيه فى صميم موضوع الساعة وهى :

« أنّ الوزارة التى تقبل المفاوضة مع الانجليز على أساس مشروع ملنر قبل تعديله بالتحفظات اما خادعة أو مخدوعة ، وعلى كل حال لا يصح للوفد أن يؤيدها لانها على ضلال ، ولن يكون فى استطاعتها تحقيق مطلب الامة فى الاستقلال » ·

هذه الفقرة هى زبد الخطاب الذى أرسل الى الاستاذ سلامة ميخائيل المحامى بالقاهرة وسيكون للفكرة التى انطوت عليها هذه الفقرة شأن أى شأن ، لا فيما يختص بالعلاقة بين سعد وعدلى فى الحاضر والمستقبل فحسب ، بل فى المستقبل السياسى لمصر فى القريب العاجل .·

ومن يدرى ؟ فقد ينقسم الوفد بسببها انقساما صريحا حاسما لا رجعة فيه ولا مندوحة عنه · وليس الى تفاديه من سبيل ·

مجلس اللوردات يناقش المسألة المصرية

الخميس ٤ نوفمبر ١٩٢٠ :

منذ خمسة أيام زارنى فى مكتبى مستر انجرام سكرتير لورد ملنر (وكان الوفد منعقدا) وأخبرنى أن المسألة المصرية والمفاوضات الدائرة عليها بين لجنة ملنر والوفد ستكون موضوع مناقشة مستفيضة فى مجلس اللوردات يوم ٤ نوفمبر ، واستعلم عن عدد الذين يريدون شهود هذه الجلسة من أعضاء الوفد والسكرتيرية حتى يحضر لى التذاكر اللازمة · فاستمهلته قليلا ودخلت على الرئيس والاعضاء · وأبلغتهم ما سمعت فتحمسوا جميعا الا الرئيس، وأعربوا عن رغبتهم فى حضور الجلسة ، وفى المساء بعث الى الى مستر انجرام داخل مظروف التذاكر اللازمة بأسماء أصحابها ، وهم عدلى ومحمد محمود ومصطفى النحاس وعبد العزيز فهمى ولطفى السيد وعلى ماهر ومحمد على علوبة والدكتور حافظ عفيفى

ويصا واصف ودوماني والدكتور حامد محمود واحمـــد نجيب مراسل جريدة الاخبار وانا ٠

واليوم ذهبت وذهبوا جميعا لشهود الجلسة ، ولم يذهب الرئيس بالطبيعة لانه لا يريد أن يكون مجرد متفرج وهذه شهوة لا توجـد في مثله وفضول يترفع عنه ٠ وكانت هذه أول مرة أدخل فيهـــا دار البرلمان البريطاني وبينما انا اسير في احدى ردهاته الموصلة الى مجلس اللوردات قرات على احد جدران مجلس العموم عبارة مكتوبة بخط واضح وحروف كبيرة وترجمتها :

« مولاى ـ ليست لى عينان تبصران

ولا اذنان تسمعان

الا ما يمليه على هذا المجلس

(لنثول)

وهى عبارة قالها رئيس مجلس العموم البريطاني (لنثول) في القرن السابع عشر للملك انجلترا وهو شارل الاول الذى قام في عام ١٦٤٢ باقتحام مجلس العمـــوم ومعه عدد من جنـــوده المسلحين ليقبض على خمسة من أعضاء (البرلمان) ٠ وعندما التفت الملك الى رئيس المجلس وأمره أن يرشده اليهم ، لان الملك كان يعـرف اسماءهم ولا يعرف أشخاصهم ، امتنع رئيس المجلس والقى على مسامعه الرد الحاسم الرائع المذكور آنفا ٠

كان سير انجرام بانتظارنا جميعا بحفاوة دافئة ، ثم ابلغ خـبر قدومنا الى لورد ملنر في حجرته ٠ واذا بملنر يحضر ويسلم باليد على جميع الزائرين المصريين مبتدئا بعدلى ٠ وهكذا اثبت الانجليز انهم يجاملون احسن المجاملة في العلاقات الشخصية حتى ليدهش الانسان كيف يمكن أن ينقلب هؤلاء المهذبون المؤدبون المجاملون الى وحوش وشياطين عندما يجد الجد ٠ وعندما يظنون أن مصالحهم الحيوية اصبحت في خطر ٠

وصحبنا مستر إنجرام بعد ذلك الى مقاعدنا في شرفة الزائرين الممتازين في قاعة مجلس اللوردات حيث صفت المقاعد في خطوط افقية متقابلة لا في شكل دائرة كما هو الحال في برلمان فرنسا في باريس ٠

وبعد قليل فتحت الجلسة ٠

وكان أول المتكلمين لورد سالسبرى زعيم اللوردات المحافظين وأسلطهم لسانا ، وأشدهم غطرسة وعنجهية واعتزازا بانجليزيته وأشدهم امتلاء بالروح الاستعمارية ٠

خطبة لورد سالسبرى

بدأ خطبته منتقدا الحكومة على سياسة التكتم التى تسير عليها ازاء الشئون المصرية فى الوقت الحاضر وعلى ما أظهرته وما زالت تظهره من الضعف وعدم وجود سياسة محددة مستقرة لها ، وساق الدليل على ذلك تقريرها الافراج عن الرئيس وصحبه من مالطة بعد أن سبق تقريرها اعتقالهم ونفيهم اليها ٠ واستمر زعيم المعارضة يكشف عن نزعته العريقة فى الاستعمار والغطرسة واحتقار الشعوب واحتقار الرئيس ولسون نفسه صاحب مبدأ تقرير المصير ٠ وفى ختام خطبته اقترح مبادىء أربعة وطالب الحكومة البريطانية بملاحظتها فى أية تسوية للمسألة المصرية ٠

وانى أسجل هنا أهم فقرات خطبته التى تكشف بواعثه وأسلوبه وأهدافه وتعطى فكرة صحيحة عن نيات السياسة البريطانية ازاء مصر وقضية استقلالها ٠

« ان أهل هذه البلاد (بريطانيا) فى حاجة الى معلومات أوفى مما بين أيديهم فى الوقت الحاضر ٠ وهذا هو السبب الرئيسى الذى من أجله رأيتنى مضطرا الى اثارة هذا الموضوع ٠ لقد قيل شىء كثير منذ زمن وجيز عن السياسة المصرية ٠ وقيل لنا ان الايام السيئة القديمة قد مضت وانقضت ، وان لنا فى المستقبل ان نأمل وضع ترتيبات تكون الامة بمقتضاها أقرب الى ثقة الحكومة منها الآن فيما له مساس بالمفاوضات ، ولكن هذه كانت آمالا باطلة ٠ ولا أستطيع ان أقول انى كنت أؤمن كثيرا بتحقيقها ولكن بدلا من أن تتحسن الاحوال القديمة رجعنا الى الوراء رجوعا بينا وصار أهل هذه البلاد أكثر احاطة مما كانوا قبل الحرب بما يصنع باسمهم ٠ ولو كانت هذه أوقاتا عادية وهادئة ولا تقع بها أحداث كبيرة لرضينا بمثل هذه الحالة ، ولكن أحداثا خطيرة تمر بنا وأنا أسمح لنفسى أن أقول أن تغييرات من أعمق نوع أصبحت تهدد الامبراطورية البريطانية من كل جانب ، ولا أريد أن أتحاشى هذه

الكلمة ، فاننا نحس جميعا كأنما نحن مقبلون على عصر تفـــكك وانحلال ، ومن أجل هذا ينبغي اكثر من ذي قبل ان يعرف ابنـاء هذه البلاد الذين يعنيهم الامر قبل غيرهم ما يصنع حكامهم على وجه الدقة ·

« ويظهر ان الوزراء ليست لهم آراء مستقرة تمام الاستقرار ، ويخيل الى أنهم يرسمون سياستهم في اللحظة الاخيرة ولا يحكمون الحوادث وانما ينساقون أمامها الى ما يكرههم عليه ، وســـواء وجهنا النظر الى ارلنده أو الهند أو بولنده أو سوريا فلسنا نحس أن هناك سياسة مقررة تتوخاها حكومة جلالة الملك بعــد التفكير والروية فيها · ولا حاجة بي الى الكلام عن ارلندة فقد اشتغلتم بموضوعها منذ يومين ، أما من حيث الهند فلم يكن شيء أوضح (مهما كان الراى في قيمة السياسة التي اتبعتها الحكومة) من أن أيدي البلاد والبرلمان مضغوط عليها ، وانه ليس في نية الحكومة مصارحة البلاد والبرلمان قبل الوصول الى قرارات لا يمكن الرجوع فيها · ولا يعلم احد شيئا عن التزامات الحكومة وارتباطهـا فى المسألتين البولندية والسورية ، ولا عن كيفية القيام بها وتنفيذها ، ومما له دلالة كبيرة أن العادة التي كانت متبعة في زمن السلم من تقديم « الكتب الزرقاء » الى البرلمان قد عدل عنها عدولا تاما على ما يظهر · والا فلماذا لا نرى أوراقا عن سوريا وبولنده ؟ لقــد كانت العادة في الايام القديمة السالفة أن يعد كتاب أزرق بعد كل حادثة كبيرة ويقدم الى البرلمان ، وكانت تنشر التلغرافات المتبادلة مع بعض القيود أو التحفظات توخيـا للمصلحة العـــامة · فكان البرلمان والبلاد يستطيعان معرفة المسألة التي تعرضها الحكومة على الامة والردود الواردة من الاطراف المختلفة الاخرى في كل مفاوضة كما يستطيعان اصدار حكم عادل صحيح في الرد · ونحن بعــد بلاد تحكم نفسها (أو هكذا كنا فيما مضى على الاقل) ، وانه لواجب على الامة أن تضمن المحافظة على مصالحها وشرفها وهي لا تستطيع ذلك الا اذا توافرت لديها المعلومات اللازمة · وانى لارجو أن تبعد الحكومة عن خاطرها الآراء الناشئة عن الحرب ، وأن تطرد عن نفسها الاعتقاد بان هذه البلاد مستعدة لان تثق بها ثقة عمياء كما فعلت بحق في أثناء الحرب ، وعلى الحكومة كذلك أن ترتدى ثوب السلم وتخضع كما خضعت كل الحكومات السابقة لحكم البلاد ·

سياسة بريطانيا فى مصر

« وماذا عن مصر ؟ ماذا نعلم عن سياسة الحكومة ازاء مصر ان فى الصحف مقدارا معينا من المعلومات ، ولكنى لا اظن أنه قدم للبرلمان ورقة ما منذ عرضت تلك الورقة البرلمانية الخاصة بالثورة فى تلك البلاد ·

لورد ملنر – ان هناك تقرير لورد اللنبى

لورد سالسبرى – هذا صحيح فقد قدم الينا تقرير لورد اللنبى ولكن هذا هو التقرير المعتاد الذى يتناول الشئون الداخلية المصرية ورفاهتها وأحوالها المالية ، وليس له علاقة بالمسائل السياسية الكبرى الخاصة بتلك البلاد · ولا شك أن هناك مكاتبات وبرقيات تبودلت بين حكومة جلالة الملك والمندوب السامى ، وقد عاد الى هنا مندوبان ساميان عوملا على ما فهمت معاملة ليست حسنة جدا · وقد كان فى الامكان الانتفاع بمعلومات سير هنرى مكماهون وسير ريجنالد ونجت فهل استشيرا ؟ وهل هناك أوراق تتضمن آراءهما ؟

هذان هما الرجلان اللذان شهدا الامور فى مصر وعايناها · وهناك بالبداهة لجنة الفيكونت النبيل الجالس امامى (ملنر) ، وهى لجنة لاشك عندى فى ان البلاد كلها تشكرها على جهودها ، ولابد أن تكون هناك تعليمات أعدت وأعطيت الى لورد ملنر (اذا كانت وزارة الخارجية ما زالت تسير على ما ألفنا من قبل) وتضمنت وصف المسألة وما يطلب اليه القيام ببحثه والحدود التى خولته الحكومة العمل فى دائرتها · هذه كلها أمور لا شك أنها موجودة كتابة ، وينبغى أن تعرض على البرلمان · على أن الذى نريده قبل كل شىء هو روح الثقة المتبادلة بين الحكومة والبلاد ، ونحن نريد أن نكون على ثقة من أن الحكومة فى عزمها أن تطلع البلاد على سياستها وتصرفاتها ، وأن تدرك أن المسألة ليست مقصورة عليها ومصر وحدهما ، بل ان الرأى العام البريطانى والبرلمان يجب أن يحاطا بأتم المعلومات فى الوقت المناسب · ولست أزعم أنى حجة فى شئون مصر ، ولكنى أعلم أن مصر كانت فى خلال حياتى السياسية كلها من أهم المصالح السياسية التى تعنى بها بريطانيا » ·

ثم استطرد فقال : «ان علينا أخيرا مسئوليتنا أمام امبراطوريتنا وهى مسئولية المحافظة على القوة التى تستطيع بواسطتها أن

تحكم امبراطوريتنا وحتى تستمر شعوب كثيرة فى الشرق تنعم بخيرات حكمنا ٠ ولا يخفى أن هذه امور لا يمكن أن يسمح لها ان تضطرب اكراما لعبارة مثل «تقرير المصير» ، ولااظن أن هناك كلمة خليقة بأن تحدث من الضرر فى السياسة ما تحدثه هذه الكلمة نعم انها تتضمن فكرة نبيله عظيمه ، ولكن الواجب تفسيرها بكل تحفظ ، أما الفكرة القائلة بأن نتخلى عن مسئولية امبراطوريتنا من أجل أن سياسيا (١) امريكيا فقد الآن ثقة مواطنيه انفسهم ، اخترع عبارة (حق تقرير المصير) فهى فكرة يثور عليها كل سياسى عملى ٠

نقد السياسة البريطانية

« ماذا كانت سياسة حكومة جلالة الملك ؟ انى اذا انتقدت هذه السياسة فليس ذلك راجعا الى خطأ فيها ، ولكن لانه ليست هناك سياسة على الاطلاق ٠ حتى تناول هذه المسالة فيكونت ملنر ٠ ولقد كانت سياسة الحكومة البريطانية فى مصر واضحة الى أن قامت الحرب .. وكنا نعمل دائبين على ترقية شئون حكومتها وتحسين تلك البلاد ٠ اننا لم نكن خصوما للتغييرات الدستورية بل على العكس ، اذا لم تخنى الذاكرة كان كل من اللورد كرومر واللورد كتشنر دائمى الرغبة فى السير فى طريق الحكم الدستورى ٠ واظن ان اخر اعمال لورد كتشنر قبل رحيله لمباشرة عمله العظيم فى الحرب ان خطا خطوة اخرى فى سياسة الحكم الدستورى فى مصر ، ولقد توخينا نفس هذه السياسة حتى بعد الحرب ٠ ولما اعلنت الحماية كان الظن ان نكون اقدر على القيام بمهمتنا الكبيرة ، لان الحماية كان من تاثيرها (اذا كان المرجو أن يكون من تاثيرها) جعل مركزنا فى مصر أبسط وأسهل وتمكيننا من التخلص من كل العوائق ٠ واعتقد انه كان من المظنون أن نستطيع التخلص من كل شىء يقف فى طريقنا بسبب التدخل الزائد عن الحاجة الذى تسمح به امتيازات الدول الاجنبية ٠

« فماذا حدث بعد ذلك ؟ لبثنا وقتا طويلا وليس هناك الا سياسة الارجاء والتسويف والتردد ٠ انا لا اريد بقولى هذا ان اغمط الوزراء المكدودين فى تلك الايام ؛ ولا ينبغى لاحد أن يتوهم أن

---

(١) يريد الرئيس ولسون رئيس الولايات المتحدة ٠

تخطئه السياسة تستدعى بالضرورة لوم الوزراء الـــذين كانوا منهمكين فى الحرب والذين هم مسئولون عن هذه السياسة ، ولكن الحقائق فى ذاتها قاسية ، ومهما قيل على سبيل الاعتـــذار عن الوزراء فان السياسة السيئة لا تثمر الا نتائج سيئة • وهذا هو الذى يجب عليكم معشر اللوردات بصفتكم رجالا عمليين أن تتناولوه بالبحث والدرس •

« كانت هناك سياسة استسلام لمجرى الحوادث على الرغم من التحذير والاحتجاج ، ولم يكن ممثلونا فى مصر صامتين لايتكلمون، بل العكس كانوا يطالبون الحكومة باستمرار بان تكون لها سياسة •

لورد كيرزون ــ متى كان هذا ؟

لورد سالسبرى ــ فى اثناء الحرب •

لورد كيرزون ــ احب أن اقول انى وانا اصغى الى المركيز النبيل لم أستطع ان أفهم متى انتهى عهد السياسة المحددة المستقرة ، ومتى بدأت سياسة الاستسلام لمجرى الحوادث ، او متى بدا ظهور الضعف والارجاء والتسويف ؟ •• فاذا تفضل بتحديد التواريخ فانى أكون اقدر على الرد عليه •

لورد سالسبرى ــ اننى لم اتهم صديقى النبيل بالضعف ، اذ هذه خشونة اربأ بنفسى عنها ، وقد بدأت سياسة الاستسلام بعد اعلان الحماية تقريبا • وكان من الواضح انه يجب على الحكومة أن تعد سياسة لما بعد الحرب • ولعل صديقى النبيل يوافقنى على هذا • لقد قال المصريون ذلك للحكومة فى مصر ، ونقل ذلك الى الحكومة البريطانية ، فلم تعبأ ولم تكترث ولم تفعل شـــيئا أو لعلها فكرت فى ذلك ، ولكنها لم تفعل شيئا وتركت الحوادث تجرى فى مجاريها ثم استسلمت لها وللامر الواقع •

« ولا أظلننى مبالغا اذا قلت ان الحكومة البريطانية ظلت الى آخر الحرب دون أن تتخذ الاهبة لوضع سياسة مناسبة للظروف التى طرأت ، فلما وضعت الحرب أوزارها تبين بوضوح أن الحكومة لم تكن مستعدة • ذلك لان المصريين تحركوا فورا ، ولم تكد الهدنة تعقد حتى بدأت المتـــاعب فى مصر • ولا حاجة بى الى تذكيركم بسلسلة الحوادث فى سرعة وخطورة بينما ظلت الحكومة البريطانية وليست لها فكرة واضحة عما يجب عليها عمله • ولما تحدى الوطنيون

المصريون سلطة بريطانيا فى مصر قوبل ذلك من جانبنا بشجاعة وعزم ، ونفى أربعة من زعمائهم الى مالطة ، فشبت فى مصر ثورة على اثر ذلك مباشرة • فلم تلبث الحكومة البريطانية أن لانت وسمحت للزعماء الاربعة بالعودة الى مصر أو السفر الى أوربا وهذا خطأ ، ولا أشك فى أن هناك اسبابا لهذه السياسة ولكنها فشلت كل الفشل كما تفشل كل سياسة ضعيفة ، ثم حدث عقب ذلك مباشرة ما يسمى اضرابا عاما • فاضرب الموظفون فيما أظن وكل من استطاع أن يضرب غيرهم ، ولم تجد سياسة الافراج عن هؤلاء الزعماء الوطنيين •

« وفى مايو من السنة الماضية قالت الحكومة انه لا بد من عمل شىء ، وفعلا صنعت خير ما تستطيع فى هذه الظروف اذ قصدت الى الفيكونت ملنر وطلبت اليه أن يذهب الى مصر • وهذه سياسة حميدة لو أنها نفذت حينما وضعت • ولكن الحكومة أيضا أبطأت مرة أخرى ، ولا علم لى بالسبب • وأحسب أن حوادث أخرى حالت دون التنفيذ ، فلم يعمل شىء بين مايو ونوفمبر ، ولم ينزل صديقى النبيل ولجنته بأرض مصر الا فى أوائل ديسمبر » •

لورد ملنر ـ صدقت فان هذا كان فى أوائل ديسمبر •

لورد سالسبرى ـ واذا سمح لى الفيكونت النبيل فانى أقول ان استقباله لم يكن حسنا جدا وكان عليه أن يباشر مهمته أمام صعوبات ضخمة قابلها برجولة كما هو المنتظر من مثله •

« ولعل من الاسباب التى خلقت هذه الصعوبات أمامه وأمام لجنته هو طول التسويف • وانى لست حجة فى المسائل الشرقية ، ولكنى أعرف أن ليس هناك ما هو أخطر فى مقابلة الشرقيين من عدم وجود الثقة بالنفس وظهور التردد فيما ينبغى عمله ، وقد لا تكون اجراءات الحكومة كذلك ، ولكن مظاهر التردد وعدم الثقة بالنفس كانت واضحة كل الوضوح فى السياسة البريطانية •

المبادىء الاربعة الواجب اتباعها

المبدأ الاول

(وهنا قال زعيم المعارضة البريطانى سالسبرى) ان لديه مبادىء أربعة ونصح بملاحظتها فى وضع أية تسوية للمسألة المصرية فقال

• هناك مسألة او مسألتان على جانب عظيم من الاهمية • فمن الامور الحيوية ان السلطة التى تحتفظ بها بريطانيا العظمى فى مصر يجب أن تكون سلطة حقيقية مهما يكن مبلغها ، ولقد الفنا فى السياسة البريطانية تلك الحالة التى يكون لنا فيها السلطة الحقيقية وان لم يكن لنا مظهرها ولكنى اخشى أن يعكس هذا المبدا فى اية تسوية توضع لمصر فنحتفظ بمظهر السلطة ونفقد حقيقتها • وارى أن من المسائل المسلم بها انه ليس ثمة دولة أوربية سوانا ينبغى أن تكون لها الغلبة فى مصر • وماذا عساه أن يحدث اذا فرضنا أن دولة أجنبية ساءها بعض أعمال الوزراء المصريين ؟ لا شك أنها ستقول لنا اما أن تنصفونا والا انصفنا انفسنا • ومن الواضح أن مثل هذا يمكن أن يقع ، فلكى نستعد لامثال هذه الطوارىء يجب علينا أن تكون لنا حقيقة السلطة •

• وهذا يقودنى الى •• المبدا الثانى

• يخيل الى والى كثيرين فيما اعتقد ، أن علاقات مصر الخارجية يجب أن تظل دائما فى أيدى الحكومة البريطانية • ولقد ترامت الى مسامعى اشاعة بأن من يفاوضـونه عن مصر لا يريدون أن نترك العلاقات الخارجية فى أيدى الحكومة البريطانية • وهذا ما ارى الا سبيل الى المساومة فيه للاسباب التى سبق ان ابديتها • واذا سمحتم لى قلت ان هذا مطابق لاحدث المبادىء والسياسة الدولية لان العلاقات الخارجية فى كل الحمـايات تكون فى أيدى الدولة الحامية مهما كان نوع الحماية من التسامح والكرم واتساع نطاقها فى بعض النواحى • ولا بد انكم لاحظتم ذلك فى عهد عصبة الامم •

لورد ملنر ــ فى الوصايات :

لورد سالسبرى ــ فى كل انتداب • ولست اجهل ان مصر غير خاضعة للوصاية • وكل ما اقوله اذا اعتبرت عهد عصبة الامم اساسا عنه فى كل وصاية وهى آخر شىء ، نشأ فى القانون الدولى مهما كان كرم شروط الانتداب فان الدولة الحامية تحتفظ بالعلاقات الخارجية •

المبدأ الثالث

« والمبدأ الحيوى الثالث هو مركـــز السودان · اذ ينبغى أن تكون حكومة السودان فى أيدينا للاسباب التى أبديتها ، ومهما يكن تقدم مصر ورقيها فى القدرة على ادارة أمورها · فلاشك انه ليس لها من التجارب ما يكفى فى حكم شعب آخر · هـــذه مهمة شاقة نحن أهل لها بصفة خاصة ولا نستطيع أن ننفض أيدينا منها دون أن نسىء الى سمعتنا · ولكن اذا كانت حكومة السودان ستظل فى أيدينا فان مسائل صعبة ستنشأ من أجل مركز مصر بالنســبة اليه وانتم تعلمون أن العلمين (البريطانى والمصرى) يخفقان على السودان فى الوقت الحاضر · وأن البلدين من حيث القـانون فى مستوى واحد بالنســبة للسودان · ولكن الواقع أن للحكـــومة البريطانية الكلمة العليا ، وأن حكومة السودان فى أيدينا · وهذا ترتيب ممكن مادام الاشراف لنـــا على الحكومة المصرية ، ولكن على قدر سحب اشرافنـــا من على مصر يتعقد مركـزنا بصفتها مساوية لنا فى الحقوق فى السودان · وهناك صعوبة أخرى ، وهى مسألة الحامية التى تتألف الآن من الجنـــود المصريين على الاكثر ، ولست أسأل الحكومة شيئا لانى لا أريد أن الح عليها فى الاباحة بما ينبغى لهـــا كتمـــان بيانه للمصلحة العـــامة ، ولكنى لا يسعنى الآن الا أن أقول انه على قدر نقص اشرافنـــا على مصر تكون صعوبة استخدام الجنود المصريين فى حكومة السودان ·

المبدأ الرابع

« يضاف الى المبادىء السابقة مبدأ رابع عظيم الاهمية ، وهو المركز الحربى لبريطانيا العظمى فى الســـودان وفى مصر · وليس فى نيتى أن أقول شيئا عن كل هذا سوى أنى أرجـــو متى قدمت الى البرلمان الاوراق اللازمة أن يكـــون أمامنا رأى المندوب الســـامى نفسه عما يحتاج اليه مركز بريطانيا الحربى حسب الترتيب الجديد الذى سيوضع · وألاحظ أن هناك صعوبة خاصة ، تنشأ فيما يتعلق بامداد منطقة القناة بالماء ، فان هذا الماء يأتى من النيل · ولا حاجة بى الى تذكيركم باننا اذا فقدنا السيطرة على الماء اللازم للحامية البريطانية فقد نصبح فى مركز حرج جدا · وانا الح على حكومة جلالة الملك فى النظر فى هذه الاعتبارات ولن أشكو أقل شكوى اذا اتهمونى بالجهل وهم يردون على لما لهم من العلم والتجارب مهما

ليس لى ، ولانى لا ادعى كما اسلفت انى ثقة فى هذه الامور ·
ولكن المهم الآن هو أن الدنيا قد تقاربت أطرافهــا بحيث صار كل
ما يعمل فى ناحية منها تتجاوب بأصدائه كل النواحى · ولا يخفى
أن كل شيء بغيرسالفه، وأن كل ماتزرعونه فى مصر سوف تحصدونه
فى الهند ، وكل عمل تعملونه وكل مبدأ تقبلونه وكل منحة تعطونها
حتى ولو كانت منحة يسهل الدفاع عنهــا يجب أن ينظر اليها فى
ضوء تاثيرها فى النواحى الاخرى من الامبراطورية البريطانية·

« وثقوا انه سيطلب منكم المساواة والمشابهة فى المعــاملة من
نواح اخرى من الامبراطورية · ولذلك ليس لكم مفر من الحــذر
والعناية · ولما كنت على يقين من ان السياسة التى توضع بعــد
روية وتفكير هى فى الحقيقة ارخص ثمنا من سياسة مترددة ، فقد
طلبت الى حكومة جلالة الملك ملاحظة هذه المبادىء الاربعة وما
تنطوى عليه من اعتبارات ، وانى استطيع ان اؤكد للحكومة انهــا
فى مثل هذه القرارات ستنال التأييد التام من الامة البريطانية ،
ونحن لم نسأم بعد من الامبراطورية ، ولم نتعب من تحمل أعبائها،
ومازلنا مستعدين لاداء واجبنا والقيام بما تفرضه علينا تبعاتنا،
ولم ننفك على اتم استعداد للقيام بهذا الواجب مع ملاحظة مصالح
الآخرين · ونحن نريد أن تتألف النفوس النافرة ولكننا مصممون
على اداء واجبنا الامبراطورى ، وسنفعله بغير تردد وخوف » ·

خطبة لورد كيرزون

كان ثانى المتكلمين لورد كيرزون وزير الخارجية فرد على ماقاله
صاحبه ناقدا ومصححا ومبينــــا ورغبة منى فى تسجيل اســلوب
العرض والمناقشة والخطابة فى مجلس اللوردات البريطانى ، ورغبة
منى كذلك فى اظهار الجو الرسمى البريطانى ازاء الوفد وقضية
الاستقلال والعقبات القائمة فى سبيل المجاهدين المصريين ، وطراز
الساسة البريطانيين الذين يتعامل معهم الرئيس واعضاء الوفــد
فى هذه الايام ، أرى من المصلحة عـــدم القصر على تلخيص ما
سمعت ، بل من المصلحة تسجيله تسجيلا كاملا ولو كان فيه شيء
من التطويل والاسهاب ·

قال : « تظن المعارضة دائما ان الحكومة تخفى ما ينبغى الكشف
عنه ، وتحسب أن قناع التستر والتكتم مسدل أبدا على السياسة
البريطانية الخارجية · والرأى عندى أن هذه الشكوى على غــير

اساس من الوجاهة اذا صدرت من احد اعضاء هذا المجلس ، ذلك لان لكم امتيازات استثنائية يستطيع بفضلها اى عضو اذا دون الاقتراح على ورقة أن يضمن المناقشة في اى موضوع متعلق بالسياسة الخارجية مهما كان ذلك مهما او غير مهم ، ومع انه قد يحدث احيانا أنممثل وزارة الخارجية أمام هذا المجلس يستنكر، كما فعلت هذا عدة مرات ، المناقشة فى راى معين ، الا ان هذا لايؤثر على المبدأ العام الذى يجعل من حقكم فى اية لحظة ان تتناقشوا فى مسالة مصر او فارس أو العراق او سوريا او اية بلاد اخرى ·

« وقد شكا صديقى النبيل من العدول عن اصدار الكتب الزرقاء او الاوراق البيضاء ، وانى لأعجب كيف لم يخطر له ببال ان هناك اعتبارين : اولهما اننا خارجون من حرب كانت فيها كل جهود هذه البلاد وفى جملتها وزارة الخارجية وغيرها من سائر الوزارات موجهة الى اجراء القتال وضمان النصر · وانا أشك فى ان يستطيع ان يجد فى اية وزارة خارجية او اى برلمان فى أوربا ذلك السيل من المطبوعات الرسمية عن الشئون الخارجية الذى اعتدناه فى الايام العادية ·

اما الاعتبار الثانى فهو انه من المألوف اصدار « كتب زرقاء » متى بلغ مجرى الحوادث او السياسة مرحلة محددة ولا اقول نهائية ، وهذا مبدأ تلقيته من والده الكبير(١) ، وانى لا انكر احوالا كثيرة عظم فيها الالحاح فى اصدار أوراق عند مرحلة يكون اصدار الاوراق فيها خليقا أن يثير المتاعب · وقد يعوق التسوية او يحدث الاحتكاك · وكثيرا ما كان يقال فى مثل هذه الظروف، دعونا ننتظر حتى نقطع مرحلة يكون قد تم فيها شيء أو انتهينا عندها الى نتيجة ثم بعد ذلك نقدم الاوراق الى البرلمان ، وانى أؤكد للمركيز النبيل أن هذا هو المبدأ الذى نعمل به ونتوخاه · فليست هناك رغبة منا فى التكتم ، وستكون القصة كلها بعد قليل او كثير فى متناول اللوردات ومجلس العموم والجمهور ·

التعليمات الى لجنة ملنر

ولأتناول الآن مسالة أو مسالتين ذكرهما المركيز النبيل فى خطابه استشهادا على النظرية التى اشرت اليها · فمن ذلك ما قاله

---

(١) لورد سالسبرى زعيم المحافظين ورئيس الوزارة البريطانية غير مرة فى القرن التاسع عشر ·

عن التعليمات الصادرة الى صديقى النبيل لورد ملنر • ومع أن المركيز النبيل يثق بعلم لورد ملنر وقدرته ثقة عظيمة طبيعية فقد تساءل « لماذا لم نعرف فى أى شىء أرسل » ؟ ولاشك يا حضرات اللوردات انكم تذكرون أن التعليمات الصادرة الى لورد ملنر قد تليت فى البرلمان ونشرت فى جميع الصحف ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان لورد ملنر نفسه لما وصل الى مصر وبصفته رئيس لجنته ، اذاع بيانا أوضح فيه الظروف التى حملتـــه الى مصر والاغراض التى يرمى اليها •

حوادث مصر فى السنوات الاخيرة

استطرد المركيز النبيـــل من ذلك الى سرد تاريخ غريب بعض الغرابة لحوادث مصر فى السنوات الاخيرة وانى أعترف بعجزى عن « تطبيق ما روى على الحقـــائق كما أعرفهـــا » • ويظهر مما قاله انه قد مر عصر كانت لنا فيه سياسة معينة مستقرة مقرونة باسم لورد كرومر اولا ثم بعد ذلك بشخصية لورد كتشنر ، والذى فهمته أن هذا العهد لم يوجه اليه نقد ما • ولكن بعد ذلك جاء عصر تردد وضعف واستسلام لمجرى الحوادث مقرونا بالبطء والتسويف• ولما سألت المركيز النبيل وأنا دهش متى بدأ هذا العهد • قال ردا على أن مبدأه اعلان الحماية على مصر فى أوليات الحرب وخريف عام ١٩١٤ • فنحن اذن كانت لنا سياسة الى ذلك العهد على حد قول المركيز النبيل ، وبعد ذلك لبثنا بغير سياسة ما • واظن ان فى هذا اساءة كبيرة لممثلينا فى مصر فى ذلك الوقت ، وتعريضا خطيرا بحكومة جلالة الملك فى ذلك العهد •

« ولقد كان لورد جراى على ما أنكـــر وزير الخارجية وكان رئيس الوزارة مستر اسكويث ، فلو كانت البلاد سائرة فى طريق الارتباك والخراب فكيف لم توجه هذه الشكوى الى هؤلاء الوزراء والى ملك الحكومة ؟• لقد كنت أحد الذين انضموا الى الوزارة فى مايو ١٩١٥ ، ولست اذكر شكوى من هذا القبيل • واسمحوا لى ان أرد هنا بما رددت به فى موضع آخر ، وهو أن كل همنـــا وجهودنا سواء كانت مصر أو هنا كانت موجهة الى تسيير الحرب• ولم تتخذ المسألة السياسية صورة مهمة الا بعد أن وضعت الحرب أوزارها فكان علينا أن نعالج الازمات السياسية التى ظهرت •

نفي سعد وزملائه

« وهنا نقطة اخرى ، اذا سمح لى المركيزالنبيل قلت أن معلوماته فيها خطأ · فقد انحى باللوم الخاص على حكومة جـــلالة الملك لسماحها بعودة زغلول باشا وبعض اخوانه من مالطة التى اعتقلوا فيها الى مصر التى نفوا منها · ولعـل المركيز النبيل لا يعـرف الظروف التى اعيدوا فيها · فقد نفـــوا بناء على مشورة القائم باعمال المندوب السامى فى مصر · وبعـد ذلك بقليل واظن بعد بضعة اســـابيع اذا لم تخنى الذاكـرة ، عين لورد اللنبى عقب انتصاراته فى الشرق مندوبا ساميا فى مصر ، فحمل اليها معه آثار تجاربه العظيمة ونفوذه الكبير وخول السلطة التامة لمعالجــة الموقف الذى لم يكن ينقصه الانفجار ، على ما يشاء ويختار فكان أول ما اشار به أن يعـاد زغلول واخوانه من مالطة فهـل يعنى المركيز النبيل حقيقة انه كان من واجب الحكومة بغية وضع سياسة أن تهمل أولى اقتراحاته وتصر على ابقاء هؤلاء الرجال على رغم مشورته ؟ أن المركيز النبيل لاعظم تجـربة من ان يذهب الى شىء من هذا التصرف ·

تأخير ارسال لجنة ملنر

« وقد بث المركيز النبيل شكواه من التباطؤ فى سفر لجنة ملنر، واعتبر هذا التباطؤ دليلا آخر على تردد الحكومة ترددا ليس له من دواء أو علاج ، وقال ان هذا التأخير غـير معروف السبب · وآخر ما انتظر أن يذكره اى انسان ، حتى من كان قوى الذاكرة مثل المركيز النبيل ، هو خطبة القيتها أنا · فقــد القيت منذ عام تقريبا خطابا ضافيا فى مجلسكم هذا عن مصر ، ومع انى لم أتوقع ان يشرفنى احد بالاشارة اليه فى هذه المسألة فان من حسن الحظ ان معى الآن نصه ، لانى بذلك أستطيع أن اقرأ للمركيز النبيـــل ما قلته بالضبط فى هذه النقطة ، وهذا ما قلته بالحرف :

« لقد كان فى العزم ارسال لجنة لورد ملنر فى تاريخ مبكر متى تم تأليفها ، ولكننا صادفتنا صعوبات من جهات شتى ، فلم نجد من السهل العثور على أعضـاء لهم التجـربة والقوة اللازمتــان ، وليس الشتاء انسب الاوقات للقيام بابحاث وتحقيقات فى داخـل بلاد مثل مصر فى مناخها ، ورأينا من المرغوب فيه أن نتيح الفرصة

للوزارة المصرية المؤلفة حديثا لكى توطد مركزها ، وظننا فى ذلك الوقت وهو ظن طاش ، أن مؤتمر الصلح فى باريس قد يستطيع قبل الخريف أن يفرغ لحل المسألة الشرقية • وقد ابلغنا لورد اللنبى الذى تعتمد حكومة جلالة الملك على رأيه اعتمادا كبيرا أن كلا من سلطان مصر ورئيس الوزارة يميل الى تأخير مجىء اللجنة الى الخريف • وانه موافق على رأيهما • وهذه هى الظروف التى استدعت ان يتأخر موعد سفر اللجنة • فهل كان علينا مرة أخرى أن نهمل نصيحة لورد اللنبى ؟ وان نعمل على عكس رغبات السلطان ووزارته ؟• لا يشير بشىء من هذا من كان فى مثل المركز النبيل عقلا وتجربة •

لماذا ارسلت لجنة ملنر ؟

هل نحن هنا هذا المساء لنتناقش بطريقة غامضة خطابية فى تاريخ مصر الماضى ؟ لاشك أن الامر ليس كذلك • لما انتهت الحرب وقام الاضطراب فى مصر فى أوائل ربيع العام الماضى بدا طور جديد فى علاقتنا بتلك البلاد (مصر) ، وكان ذلك طورا يستوجب أعظم العناية والتفكير وأعمق البحث عن الاسباب التى لعلها احدثت الاضطراب واشد الروية والتدبر فى الوصول الى حل • هذه هى الاغراض التى من اجلها قررنا فى خلال العام الماضى ان نطلب الى صديقى النبيل لورد ملنر نظرا الى قدرته وتجاربه الخاصة ، أن يذهب الى مصر •

ماذا حدث بعد ذلك

« واسمحوا لى فى خلال الدقائق الباقية التى ساستغرقها من وقتكم ان اتناول ما هو فى الحقيقة الشىء المهم الذى حدث منذ ذلك الوقت • ذهب صديقى النبيل وزملاؤه الى مصر فى نوفمبر وبلغوها فى أوائل ديسمبر ، ولا ننكر ان ما قوبلوا به هناك لم يكن من شانه ان يشجعهم • فقد كانت الاضطرابات على قدم وساق • وبذل حزب الوطنيين مجهودا مدبرا لمقاطعة أعضاء اللجنة ومقاطعة اجراءاتها كذلك ، والواقع انهم لم يلقوا تسهيلات قط فى المراحل الاولى من عملهم ، ولكن صديقى النبيل وزملاءه واصلوا القيام بواجبهم فى صبر لا يعرف الملل وجلد يستحق الاعجاب • وفى خلال الشهور الثلاثة التى قضوها فى مصر حادثوا رجالا من كل

مراتب الحياة ، وكل طبقات الاجتماع وزاروا الاقاليم وفحصوا عمل كل مصلحة ونقبوا عن اسباب الاضطراب ودواعي الانتقاص في اوليات العام ، واستمعوا لكل رأى وجمعوا مقدارا عظيما من الاثبات ، ولست اظن شيئا فاتهم ثم قفلوا عائدين الى هذه البلاد في شهر مارس · وبعد أن زايلوا مصر وفي خلال شهرى مارس وابريل ، تجددت الاضطرابات والفظائع في تلك البلاد واطلقت النار على الضباط البريطانيين في الطرقات ، وقتل ضابط والقيت القنابل على اكثر من وزير مصرى واحد ، ويسرني أن اقول أن الاضطراب المتجدد كان قصير العمر فقد خمد في شهر مايو وانطفأت جذوته ، ولم يتجدد شيء من هذا النوع بعد ذلك ·

المفاوضة بين زغلول باشا ولورد ملنر

« نأتي الآن الى صيف هذا العام · ففي اوائل شهر يوليه حضر زغلول باشا وزملاؤه الذين بقوا مدة في باريس الى انجلترا ، وبدأت المحادثات بينهم وبين صديقي النبيل وزملائه ولم تكن هذه زيارة رسمية قام بها هؤلاء السادة · فانهم لم يكونوا وفدا · ولم يمثلوا الحكومة المصرية ، وانما كانوا اشخاصا ذوى نفوذ ينطقون باسان عدد كبير من مواطنيهم ، وكان صديقي لورد ملنر وزملاؤه على اتم استعداد ورغبة للدخول معهم في محادثات ·· والواقع أن هذا كان من واجبهم كما فعلوا مثل ذلك مع طبقات شتى دعوها الى محادثات شبيهة بهذه لما كانوا في مصر · وقد استمرت هذه المحادثات شهرى يوليو واغسطس واظن في الاسبوع الثالث منه ، ارسلنا الى القاهرة مذكرة بالمحادثات التي جرت بين اللجنة وبين هؤلاء السادة ونشرت في الصحف خلاصة وجيزة لها · وكان صديقي النبيل قد أوضح لهم أن هذه ليست الا آراء ملنر وزملائه ، وقيل ان الحكومة لم تنظر فيها · وانه لم تكن هناك فرصة لذلك لان رئيس الوزراء مستر لويد جورج كان في ذلك الوقت قد ذهب الى الخارج وكان البرلمان في عطلة والوزارة لا تعقد اجتماعا ، وكان من الواضح تماما أن النظر في الموضوع وهو شيء محتم على كل حال ، لابد أن يرجأ الى الخريف · وفي شهر سبتمبر ارسل زغلول باشا اربعة من زملائه الى مصر ليشرحوا لمواطنيهم الاقتراحات التي كانوا يبحثونها مع لجنة ملنر ، فلم يشرحوها فقط بل حبذوها لاشياتهم ، فكان لها حظ كبير من الموافقة في تلك البلاد ·

« واذا نظرنا الآن الى الحالة فى مصر فانه يسرنا جميعا أن نعلم أن الموقف قد تحسن كثيرا فقد زال الشعور العدائى الذى كان سائدا منذ عام ونصف عام ، وعادت الامور الى مجاريها المألوفة، وتدل اخر التقارير على أن الضباط البريطانيين يلقون مقابلة ودية فى نواحى البلاد المختلفة · هذه هى الحال الموجودة الآن فى مصر ·

الموقف فى الوقت الحاضر

« قد تسألون ما هو الموقف هنا فى بلادنا ؟ انه هذا : أن الوزارة تعنى بدرس الاقتراحات التى وصل اليها لورد ملنر وزملاؤه فى الظروف التى وضعتها لجنتكم ، ولا يصعب عليكم أن تدركوا انها مسألة لا يمكن أن تقرر أو ترفض فى جلستين تعقدهما الوزارة ولا فى ثلاث جلسات ، لان الموضوع ينطوى على مسائل كبيرة وخطيرة ، خذوا مثلا الاعتبارات الاربعة التى لفت المركيز النبيل الانظار بحق اليها ، فان حل كل واحدة من هذه يثير مصاعب جمة وعظيمة · وانا على يقين من انه سيكون أخر من يلح على الحكومة أن تعجل بغير ضرورة فى وضع قرار عن هذه المسائل · ولم يذهب لورد ملنر ولا أحد سواه الى أن مشروعه هو وزملائه ، مهما كانت رجاحة الظن فيه ، هو مشروع الحكومة وليست اقتراحاته باقتراحات الحكومة وهى لم تعرض بعد بصفة رسمية على الحكومة المصرية نفسها ، فهى لذلك قابلة للنظر واعادة النظر هنا وهناك فى هذه الظروف التى تعرفونها ، وكلا الطرفين (الحكومة البريطانية والحكومة المصرية) يحتفظ لنفسه بمقدار متساو من الحرية فى هذا الموضوع ·

مفاوضة الدول

« وهناك ايضا البحث مع الدول بحثا هو بالضرورة طويل ومعقد وقد أشار اليه المركيز النبيل · وأعنى به البحث الذى لابد أن يدور مع الدول التى تتمتع بحقوق الامتيازات فى مصر والتى ستتنزل عن امتيازاتها التى تتمتع بها بدون أن تأخذ ضمانات كافية فى مقابل ذلك وهذه مرحلة لابد من اجتيازها ، ومتى وصلت المناقشات هنا الى درجة متقدمة ، فان المفروض أن سلطان مصر سيرسل ممثلين معتمدين ليقابلوا حكومة جلالة الملك وليواصلوا حل هذه الامور · هذه هى الحالة كما هى الآن ، ولاشك انها كما

بينتها لا تدل على ما قاله المركيز النبيل من اننا لا نضع سياستنا الا فى اللحظة الاخيرة ، اذ ليس ثمة قرينة تدل على سياسة ارتجالية، وانما نحن نسير بمنتهى الحذر والتدبر • ولا اشد بطئا بطبيعة الحال من هذه المراحل التى نجتازها ونقطعها مرحلة بعد مرحلة، وبودى لو استطعنا ان نسرع الخطى والسير ، ولكن لا يوجد رجل يعرف مصر حتى المركيز نفسه ، يرضى ان يحثنا على الاسراع والمخاطرة بما يحتمل ان يحدث منه تقويض لكل ما شيدناه •

الاعتبارات الثلاثة الرئيسية

« هناك اعتبارات ثلاثة رئيسية وقد اشرت الى اولها وهى حماية الحقوق الاجنبية فى مصر ولا حاجة بى ان اقول اكثر من انها بالبداهة لابد أن تكون موضع الدرس الدقيق والعناية التامة •

« اما الاعتبار الثانى فخاص بالعلاقات الخارجية بحكومة مصر فى المستقبل •

« والثالث خاص بمسالة على اعظم جانب من الاهمية الحقيقية اى مستقبل المركز الحربى والسياسى فى السودان • وكل هذه المسائل كانت محل نظر لجنة ملنر ، وهى الآن موضع درس الحكومة وللمركيز النبيل أن يثق اننا لم ننسها ولا غفلنا عنها » •

ثم تكلم اثنان من اللوردات مؤيدين سالسبرى ، ولا حاجة الى التكرار بتلخيص اقوالهم التافهة• ثم كان ثالث المتكلمين الرئيسيين فى هذه الراوية التمثيلية الرائعة : لورد ملنر وزير المستعمرات ورئيس اللجنة التى اثارت حولها ضجة لا اعرف لها مثيلا فى تاريخ اللجان الحكومية ، وقف ليخطب هادئا بطيئا رزينا والجو حوله مكهرب ، فالمفاوضات معطلة بينه وبين الوفد ، والرئيس يعتزم السفر من لندن وقطع المفاوضات فى اية لحظة ، والخلاف داخل الوفد معروف له تمام المعرفة ، وهو على اشده بين الرئيس وعدلى • وملنر يحرص على ارضاء الرئيس بقدر الامكان ، فماذا يمكن ان يقوله ملنر حتى يسكن الآلام التى سببها سالسبرى اولا وكيرزون ثانيا فى نفس الرئيس لا محالة ، وفى نفوس اكثر اعضاء الوفد بل فى نفوس المصريين جميعا ؟•

ماذا عساه أن يقول حتى يتفادى تفاقم الازمة بينه وبين الرئيس وهو أعلم بها من غيره وحتى يضمن لمشروعه السلامة والنجاة على أيدى عدلى واصحابه من أعضاء الوفد المعارضين للرئيس وحتى لا تفشل المفاوضات التى امتدت فى صبر ومصابرة ومثابرة ، واستطالت كل هذه الشهور العديدة وتعلقت بها الآمال فى مصر وبريطانيا على السواء ؟.

ان ملنر يعلم كما نعلم أن ما قاله سالسبرى لا قيمة له ولاوزن فى نظر المصريين لانهم اعتادوا سماع مثل هذا الهراء من الاستعماريين البريطانيين ، وهو يعلم كذلك أن ما قاله كيرزون له بعض الوزن فى نظر المصريين لانه وزير خارجية بريطانيا ولكنه غير مسئول عن مستقبل المفاوضات ، وأخيرا يعلم ملنر انه وحده النجم المتألق فى هذه الحفلة البرلمانية فى مجلس اللوردات ، يتطلع اليه وحده الشعب البريطانى وجرائده وأحزابه وحكومته ، ويتطلع اليه وحده الوفد بمعسكريه والرئيس سعد بصفة خاصة ، ويتطلع اليه وحده عدلى الذى يعلق مستقبله السياسى القريب على ملنر ومشروعه واقتراحاته ، فى هذا الجو المشحون بالمخاوف والامانى والهواجس والمطامع والرغبات والصعوبات والمتناقضات وشتى الاعتبارات ، وقف هذا الاستعمارى الداهية ملنر ليلقى خطبته ، والآذان اليه مرهفة وبعض القلوب واجفة خائفة وبعضها طامعة متربصة فماذا قال فى صميم الموضوع ؟ :

خطبة ملنر

« لقد خالجنى بعض الشك فى هل ينبغى لى أن أقول شيئا فى هذه الفرصة لاسباب سابينها لكم بعد قليل ، وانى لأتكلم بصعوبة. وأعانى مقدارا كبيرا من الحرج والحذر والتقيد . ولولا أن خطبا معيبة قد ألقيت لما وجدت داعيا الى الكلام ولا باعثا عليه ، فقد شرح الموقف الحالى شرحا واضحا بديعا صديقى النبيل لورد كيرزون ، ولكن بعض عبارات وردت على لسان صديقى النبيل الجالس امامى (لورد سالسبرى) لا أرى مفرا من الاجابة عليها بايجاز ، وأظن أن الرد الوحيد الذى أستطيعه على تهمة التكتم

التى رميت بها الحكومة هو ان اسرد عليكم ما حـــدث فى هذا الموضوع سردا بسيطا ·

ان المسالة المصرية من اعقد واصعب ما يمكن ان نعالجـــه · ومهما تكن النتيجة فلا مفر من البطء فيها ولكن صديقى النبيل يخشى على ما يظهر ان يصبح فاذا هذه المسالة قد سويت فجاة · وبطريقة لا سبيل الى تعديلها · وبغير ان تتاح الفرصـــة للبرلمان والشعب البريطانى ان يعربا عن رايهما فيها على انى اسارع فاقول « ليتنى كنت استطيع السير بمثل هذه السرعة فى هذه المسالة العويصة ·

الموقف الحالى ومتى يطرح الموضوع للبحث

ما هو الموقف الآن ؟ ان اللجنـــة التى اتشرف برياستها والتى تعالج هذه المسالة منذ اخر العام الماضى لم تضع تقريرها بعـــد ، وانا فى هذه المسالة لى صفتان : فانى رئيس اللجنة ، ومن وزراء حكومة جلالة الملك وما اعظم التبعة الملقـــاة على عاتقى بصفتى الاولى · وما اعجزنى عن تصور تبعـــة اخطر من هذه من حيث تقرير اللجنـــة · ولكن متى وضعت اللجنـــة تقريرها فسيكون على حكومة جلالة الملك ان تدرس التقرير بعنـــاية · ولاريب ان على تبعة معينة ايضا عن درسها هنا وبحثهـــا ، وسادافع بالبداهة وباقصى ما يسعه طوقى عما اشـــير به وانصح · ولكن متى تم ذلك واوسعت الوزارة تقرير اللجنة درسا وفحصا ، فستصدر الحكومة بيانا عن سياستها فى شكل من الاشكال ، وحينئذ يطرح الموضوع كله على المجلس وعلى الراى العام البريطانى ، حينذاك · وحينذاك فقط يكون امام البرلمان تقرير اللجنة المنشور وراى الحكومة معـــا وما ننصح للبلاد بالاخذ به فيما يتعلق باقتراحات اللجنة ·

طول الوقت

ومع ان اللجنة لم تضع تقريرها بعد، فانه قد ذاع عن اجراءاتها واتجاهاتها اكثر مما يعرف عادة فى مثل هذه الاحوال، واستفاضت الاخبار بجانب كبير من اعمالها · ولعل الذى يحتاج الى تعليل او تبرير هو طول الوقت الذى مضى منذ ذهبت اللجنة الى مصر ، ثم

الوقت الذى سوف يمر الى ان تضع اللجنة تقريرها • وفى وسعى ان اعلل ذلك وافسره ، واسمحوا لى ان اقول فى الوقت نفسه انى وان كنت شديد الاسف (لاسباب شخصية اجد كل شىء يحملنى على الاسف هذه الايام) لطول الاجراءات فقد جنينا منفعة عظيمة من هذا الطول • لاننا فى الادوار الاخيرة حصلنـــا على مقدار عظيم من المعلومات ودارت معنا محادثات ستكون لها عندنا اكبر قيمة ممكنة فى تكوين راينا ، ولقد كنت اقدر عندما غادرنا مصر فى مارس الماضى ان نستطيع رفع تقريرنا فى ابريل او مايو ولكنى كنت احس حينذاك ، وقد شاركنى فى هذا الاحساس زملائى اعضاء اللجنة ، اننا لو كنا قدمنا تقريرنا فى ابريل ومايو لجاء ناقصا لان فرصـــة الاطلاع على آراء عـــدد من الاشخاص قويى النفوذ العظيم فى مصر ، والذين يمثلون على اى حال جانبا كبيرا من الراى العام المصرى ، هذه الفرصة لم تسنح لنا ، وان كانت الفرص قد سنحت لنا اثناء وجودنا فى مصر فعرفنا آراء الناس من جميع الطبقات ، ولكننا شعرنا مع ذلك انه كان بيننـــا وبين المصريين حجاب كثيف لا يرفع • ومع ان الناس حادثونا على انفراد فلم يكن هناك شخص واحد مستعدا لان يتقدم ويقول انه يعرب لنا عن آراء اى طائفـــة كبيرة من الشعب المصرى :

الاحالة على زغلول باشا

لم يرض احد ان يتقدم الينا ويقرر هذا ، ولم يكن احد مستعدا ان يكون معنا على اتم صراحة ، وكنا دائما نحال على اشخاص لم يكونوا فى مصر — على زغلول باشا وآخرين بصفتهم الممثلين الذين ينبغى لنا ان نتجه اليهم ليعربوا لنا اعرابا صادقا عن الراى العام المصرى • فلو اننا كنا قدمنا تقريرنا بعد عودتنا لكنا شعرنا باننا لم نستطع الى مدى كبير ان نسبر غور احساسات الشعب المصرى، فراينا ضرورة ان يحادثنا وينفعنا بآرائه على كل حال رجل يعده جانب كبير من مواطنيه ممثلا حقيقيا لارائهم ولم يكن هذا ميسورا لنا ونحن فى مصر ، ولكن بعد عودتنا الى انجلترا بقليـــل علمت ان زغلول باشا وزملاءه الذين هم اعضـــاء فى الوفد يرغبون فى ان

يعرضوا علينا آراءهم ، فاستقر رأينا فى اثر ذلك على ان الافضل أن نرجىء تقريرنا الى أن نظفر بفرصة هذه المناقشات التى كنا دائما نرغب فيها ونحن فى مصر والتى لم تتهيأ لنا فرصتها اثناء مقامنا هناك • فجاء زغلول باشا وطائفة من زملائه الرئيسيين الى لندن ثم لحق بهم مصريون آخرون ليسوا من الوفد أخص بالذكر منهم عدلى باشا ،، ولقد مكنتنا الفرصة من محادثة بعضهم فى مصر ، ولم تمكنا من محادثة البعض الاخر ، ولى أن اقول أن التأخير الذي طال شهورا عديدة والذى كان داعيه هذه الظروف التى بينتها ، هذا التأخير كان له فى رأينا أعظم فائدة : ونحن اليوم فى مركز افضل من مركزنا السابق يسمح لنا ان تقدم الى حكومة جلالة الملك تقريرا جامعا شاملا للرأى العام المصرى ومتضمنا توصيات قائمة على اساس هذا الرأى العام ، وهو ما لم نكن نستطيعه لو كنا اقتصرنا على المعلومات التى وفقنا الى جمعها عندما كنا فى مصر •

نتيجة المحادثات

والآن دعونى اقل شيئا آخر لعله اهم من كل ما سبق بيانه • ان نتيجة هذه المحادثات قد تكون وقد لا تكون قاعدة اتفاق مستقبل بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية • وربما حدث وقد لا يحدث أن تشير لجنتى على الحكومة البريطانية بالدخول فى تنظيم جديد يسمى معاهدة ، ولست الى الآن فى مركز يخولنى أن اقول شيئا قاطعا ، ولكنى واثق فى شىء واحد ــ وهو ان المحادثات التى دارت بين اللجنة وبين هؤلاء السادة المصريين الذين اشرت اليهم قد ايدت اعتقادا كان ينمو فى ذهنى وهو اننا كنا مخطئين بعض الخطأ فى فكرتنا عن غايات الوطنية المصرية وروحها •

« لقد وقعت فى خلال الاضطرابات التى كانت موجودة فى مصر فى العام الماضى حوادث كثيرة يؤسف لها واتبع ما يعرف (بالحزب الوطنى) منهجا كان يدل على عداء مر لبريطانيا العظمى • وعلى وجود روح لا سبيل الى تألفها ومصالحتها ، وتجربتى الخاصة هى اننا لما صرنا وجها لوجه أمام بعض هؤلاء الذين يعدون من أشد الزعماء المصريين عداء للانجليز وجدنا بلاشك اختلافا عظيما فى

الرأى فى كثير من النقط · ولكننا اكتشفنا أيضا أن ليس هناك من سبب يدعونا الى الظن بأن الوطنيين المصريين على العموم معادون لبريطانيا · أو أن بلوغ أمانيهم متعارض حتما مع ضمانة المصالح البريطانية فى مصر أو مع ضمانة الاصلاحات التى كانت بريطانيا العظمى واسطة فى اجرائها بمصر · ومع انه من المستحيل التكهن بما عسى أن تسفر عنه هذه المحادثات ، أو حتى بما عسى أن توصى به اللجنة التى اتشرف برئاستها ، فانه لا يسعنى أن اقول شيئا سوى أن هذه المحادثات الوثيقة (ويمكننى ان اصفها بالودية) لم تنته حتى الآن ، ولكنها مع ذلك قد جعلتنى أعظم أملا مما كنت منذ ستة شهور ، بل مما كنت فى أى وقت قبل ذلك ، وانى لكبير الرجاء فى امكان الوصول الى تفاهم حسن دائم · أو دعونى أقل فى امكان تبديد سحب الشك والمرارة التى تكاثفت وكدرت العلاقات بين البريطانيين والمصريين بعد أن كانت فى بعض ما مر من الزمان حسنة مرجوة الخير · (وهنا انتقل ملنر من الكلام المشجع الناعم المتفائل الى الانذار والتهديد والوعيد فقال) :

« اننا نستطيع أن نحتفظ بمركزنا فى مصر بالقوة القاهرة الى الابد ، ولا يخالجنى فى ذلك أدنى شك ولا حاجة بى ان أؤكد لكم اننى شخصيا لن أوافق أبدا على أى شىء أعتقد انه يمكن الى اقل درجة أن يضعف المركز الامبراطورى الذى لبريطانيا العظمى فى مصر ، ولكن الخواطر التى كانت تساورنى فى بعض الاوقات هى أن نلقى انفسنا محتفظين بهذا المركز ضد رغبات الشعب المصرى فتستمر روح الاستياء والانتقاض من جانبه على ما قد يعدونه نيرا أجنبيا غريبا ، وفى اعتقادى أن من الممكن انتهاج خطة عملية تمكننا من الاستيثاق من كل ما نحتاج اليه فى مصر بما فى ذلك المحافظة على النظام والتقدم اللذين كنا نحن أوجدناهما فى مصر ، بدون أن نورط انفسنا فى عداء دائم مع الشـــعب المصرى · واننا مقتنع أعظم الاقتناع بأنه وان كان هناك ولاشك عنصر من عناصر الوطنية المصرية معاد لبريطانيا ، الا أن سائر عناصرها التى هى خـــير وأقوى ، ليست معادية لبريطانيا ولكنها فقط متمسكة بمصريتها ، وانه يمكن أن يوجد تحـــالف حسن دائم بين الوطنيين المتمسكين بمصريتهم وبين السياسى البريطانى الامبراطورى وانه ليس هناك تضارب دائم فى المصـــالح · وانى لادرك المصاعب الكبيرة التى تعترض طريق التفاهم الحسن فى هذا الموضوع بيننا وبين الوطنيين المصريين الذين يريدون أن يروا بلادهم تشغل مكانها تحت الشمس

ويكون لها قومية معترف بها ومركز قائم بنفسه • ولكنى شخصيا لا اعتقد أن تذليل هذه العقبات من المستحيلات ، ولست أستطيع الآن تفصيل توصياتنا وشرح الاسباب التي تبررها في نظرنا وتدعو الحاجة اليها وستكون كلها بعد قليل بين أيدى الحكومة ثم تذاع بعد ذلك على الجمهور بعد أن تبلغ الى البرلمان ، ولا أدرى ماذا أدخر الحظ لنــا • وكل رجائي الذى أتقدم به الى جميع الاطراف هو الا يصفر على روايتي على المسرح صفير الاستهجان قبل أن تعرض هذه الرواية وتشاهد وتدرس ، حينذاك فقط يمكن اصدار حكم صحيح على جهود اللجنة وثمرة أعمالها » • انتهى •

ما كاد ملنر ينتهى من القاء خطبتـــه ويعود الى مقعده بين زملائه الوزراء حتى جمعت كل أوراقى التى دونت فيهــا خلاصة الخطب التي سمعتها وحرصت أن أجعل كل همى محصورا فى نقل خطبة ملنر بالحرف الواحد اذ كان بطيئا فى كلامه فلم تفتنى كلمة واحدة من خطبه ، وأسرعت عائدا الى فندق سافوى لمقابلة الرئيس سعد • عدت مسرعا لا ألوى على شىء وفى نفسى انفعال شديد ، هو مزيج من السخط والكره لهؤلاء الساسة البريطانيين المتغطرسين المستعمرين ، وأخيرا الاستياء الشديد من ملنر وخيبــة الامل فى الضمير البريطاني الذى لا وجود له ، ثم شعور بالضيق والانقباض من استمرار بقائنا فى لندن وعدم العودة الى باريس فورا •

دخلت على الرئيس سعد فور وصولى فوجدته يطلع على الجرائد المصرية التي كانت قد وصلت صباح هذا اليوم ، فالقى جانبــا بالصحيفة التي كان يطالعها وسألنى : « هل جلسة مجلس اللوردات انتهت ؟ » فقلت : « كلا ولكن ملنر هو الذى انتهى من القاء خطبته فرأيت أن أسرع اليك لاطلعك على ما قال وقد دونته حرفيا • واما عدلى والاعضاء فما زالوا هناك متفرجـــين على بقية الخطبـــاء المهرجين ، وسيعودون اليك بعد الجلسة لا محالة » •

فقال الرئيس : اذن تكلم فكلى آذان ••

وهنا أخرجت أوراقى وظللت أتــكلم امامه ساعة وهو يصغى مطرقا صامتا مغمض العينين ولم يوجه الى أى سؤال أو استفسار كأنما أراد أن يستوعب أولا كل ما عندى من معلومات وكــلام •

ولما فرغت وسكت ظل مطرقا صامتا مفكرا ، وخيل الى أنه حـزين أكثر منه غاضبا ثم قال : « هل لاحظت شيئا على وجوه أصحابنا : عدلى وأعضاء الوفد الذين كانوا فى الجلسة ؟ » فاجبت : « لاحظت عند انصرافى وجوههم وقد علتها ابتسامات عريضــة تنم عن الانشراح » .

فقال الرئيس : هذا هو المنتظـر .. هذا هو المنتظــر . ثم سكت وأطرق .

وبعد قليل دخل عدلى وجميع الاعضاء فنهضت وانصرفت الى مكتبى .

وبعد خروجهم دعانى وقال لى : « لا بد لنا من الســفر فورا الى باريس » .

فقلت : لا اظن احدا يمكنه بعد اليوم أن يمارى أو يعارض أو يسوف .

فقال : الكل موافقون . وعدلى سيقابل ملنر الليــلة لتحديد موعد للتوديع .

محادثة خشنة بين سعد وعدلى

٥ نوفمبر ١٩٢٠ :

اجتمع الوفد فى الساعة العاشرة صباحا ولم يتغيب أحـد من الاعضاء وبعــد نصف ساعة حضر عــدلى وابلغ الوفــد انه تناول العشاء مع ملنر أمس ولم ينس عدلى أن يذكر انه هنأ ملنر على خطبته ثم قال ان ملنر حدد ٩ نوفمبر لعقد آخر جلسة بين الوفد واللجنة ، وعلى ان تكون هى جلسة التوديع كذلك ويستطيع الوفد بعدها ان يسافر الى باريس فى اى وقت يشاء .

فعاتبه الرئيس على تهنئته ملنر على خطبته التى هدد فيهـا وانذر ، ثم هو يعلم أن ملنر لم يقبل تحفظات الامة التى يعلق الوفد عليها أعظم الاهمية الى درجة انه يتخذ قرارا بقطع المفاوضات اذا لم تقبل ، كما عاتبه لانه لم يدافع عن هذه التحفظات بأى شكل من الاشكال كأن الامر لا يعنيه ·

فاجاب عدلى بأن الظرف لم يكن مناسبا فى وليمة عشاء ، وأنه لم ير معنى للدخول فى مناقشة أو جدل فى هذا الموضوع مع ملنر بعد أن ظهر رأيه الحاسم فيه مرارا ، وبعد أن دافع الرئيس نفسـه عنه دفاع المستميت بغير جدوى ·

فعقب الرئيس عليه قائلا فى ابتسامة ساخرة :·« لا أقل من أن تظهر الاسف لا أن تتطوع بالتهنئة ، فليست المناسبة مناسبة تهنئة وثناء ، وانما هى مناسبة أسف ورثاء · »

فأجاب عدلى : أنا لم أر أن أجعل العشاء جنازة وتعزية ·

فرد الرئيس : اذن رأيت أن يكون العشاء حفلة فرح وتهنئة ·

وهنا تدخل الاعضاء فى المناقشة ، وتكلم عبد العـــزيز فهمى والمكبانى وغيرهما ودافعوا عن عدلى الذى أظهر الانقباض ، ولم يستطع مع قدرته على ضبط الاعصاب أن يخفيه ، ثم خـرج من الجلسة بحجة انه مرتبط بموعد مع صديق ·

لماذا يرفض سعد فكرة ترك مسالة التحفظات للمفاوضات

٦ نوفمبر ١٩٢٠ :

قال لى الرئيس اليوم أثناء تناولى الشاى معه :

« ان الذين لا يتشددون فى التحفظات صـــغار الاحلام ضعاف القلوب ، لان هذا موضوع لا يقبل الملاينة ولا المهادنة ولا المساومة·

فالمسالة اما حماية او استقلال ولا وسط بينهمـــا • ومشروع ملنر مشروع حماية ما فى ذلك شك • ولا يخرجه من هذه الصفة الا تعديله بهذه التحفظات التى ابدتها الامة ، ولا سيما ما تعلق منهـا بالنص الصريح على الغاء الحماية ولو ان لجنة ملنر وعدته بشىء صريح او ضمنى بقبول هذه التحفظات فى المفاوضات الرسمية لكنت اول من يرضى بذلك ويكتفى به ، بل كنت اول من يتشبث بعدم ضرورة وجودى فى تلك المفاوضات الرسمية ، فما اريد لنفسى شيئا وليست لى اية غاية شخصية » •

فقلت متسائلا : هل انت يا سيدى يائس كل اليأس من امـــكان قبول تلك التحفظات فى المفاوضات الرســـمية ؟ ان كثيرين قد لا يشاركونك هذا اليأس ويقولون ما الضرر من الانتظار واعطاء المفاوضين الرسميين فرصة عسى ان يوفقوا وينجحوا • فهل هناك خسارة من الانتظار ؟

فقال الرئيس سعد : ان الذين ملت نفوسهم الجهاد واصـــاب هممهم الهـزال وملكتهم المطامع الشخصـية يريدون ان يخـادعوا انفسهم ويخادعوا الامة بانهم سينالون فى المفاوضات الرســمية قبول تلك التحفظات ، وانه ما على الامة الا ان تترك الذين ياخذون على انفسهم مهمة الوصول الى هذه الغاية يسعون اليها ، فاذا وصلوا اليها انتفعت بها الامة ، والا فهى لا تخسر شيئا بالانتظار • ولكن فاتهم انها تخسر بهذا الانتظار وحدتها ، وتفقد تضامنهـا ، اذ تترك ابوابها مفتوحة للدسائس والفتن وتلعب بعقول ابنائهـا وتفسد عقائدهم الوطنية ، وتضل عقولهم فتحملهم على الرضـا بما سبق ان رفضوه ، وقبول الحماية التى ضحوا باموالهم وابنائهم فى سبيل ابطالها ومحوها ، ولهذا ينبغى لوكلاء الامة الذين حملوا حماية امانة الدفاع عنها وارشادها ان يشتركوا فى هذه المفاوضات والا يتركوا غيرهم ينفردون بها او يشتركون معهم فيهـــا • والا

كانوا على الاقل مفرطين فى الواجب عليهم أمام الله وامام الامة ٠
وانه لمن دواعي الاسى والاسف أن كثيرين يرون فى مشروع ملنر النفع الكثير ، ولكنهم لو تاملوا فيه حق التامل لتاكدوا كل التاكد من انه بعيد جدا عن الاستقلال ٠ وأن عاقبته ستكون سيئة للغاية على البلاد ، وأن مزاياه التي يلمع ضـــوؤها للاعين الآن لا تلبث ان تختفي وتتبدل بكثير من المضار ، ولا اريد ان يكون لي يد في هذا المستقبل الخـــاسر ولا أن يقول التـــاريخ عني « سعى الى الاستقلال فايد الحماية » ٠

الرئيس يعترف بانه هو الذى حول « الرغبات » الى تحفظات

٧ نوفمبر ١٩٢٠ (صباحا) :

املى على الرئيس خطابا الى ظاهر اللوزى اعترف فيه بانه هو الذى حول « رغبات » الامة الى « تحفظات » ٠ وقد جاء فيه :

« اننا نعانى اليوم صعوبات كثيرة فى عرض امانى الامة التى اعتبرناها تحفظات رغم ما وصفت به عندكم ويراد عدم فتح باب للمناقشة فيها واحالتها الى المفاوضات الرسمية توهما بان الامة تقبل المشروع بدونها ، وأن الحكومة التى ســتتولى أمر هــذه المفاوضات ستتمكن من اقناعها بوسائل التاثير المعروفة بقبـــول المشروع ، ولكنى مصمم كل التصميم على عدم النزول عن التحفظات المهمة لان المشروع بدونها لا يكون الا حماية فى ثوب استقلال او استقلالا فى معنى الحمـــاية ٠٠ وما لهذا سعيت ، ولا عرضـــت للشقاء نفسي وقومي ، فان نجحت في سعيي فذلك ما أريد وتريد الامة ٠ واذا كانت الاخرى فلا اكون ابيت اليوم ما نقضته بالامس وكل الناس تعذرنا ٠ ومن المنتظر الا تطول اقامتنا هنا وأن نبارح لندن يوم الخميس القادم على الاكثر ان لم يحدث ما يبعث الامل على المناقشة فى تلك التحفظات » ٠

قتبلة نجيب باتهام عدلي بثلاث تهم خطيرة

٧ نوفمبر (مساء) :

دعوت أحمد نجيب مراسل جريدة الاخبار الى تناول العشاء معى فى مطعم النزو كاديرو هذا المساء ، وهو رجل مثقف ناضج واسع الاطلاع محدث ظريف خفيف الروح كثير المرح ، وتباحثنا معا فى الموقف السياسى الخاص بعد أن أشرفت المفاوضات على الانتهاء وما ينتظر من تطورات سياسية فى مصر وبريطانيا • وبعد دقائق معدودات من بدء الحديث ادهشنى بل اذهلنى حين اخبرنى انه أرسل برقية خطيرة هذا اليوم الى امين الرافعى رئيس تحرير جريدة الاخبار اتهم فيها عدلى باشا بانه يسلك غير مسلك الوفد فى مسالة التحفظات ، بل اكثر من ذلك ، انه عرقل سير المفاوضات وانه عمل على تقسيم الوفد •

فسالته هل هذه البرقية للنشر ، فاجاب بالايجاب • ولكن امين الرافعى حر فى نشرها أو عدم نشرها بالطبع •

فقلت له : كيف تجرؤ على ارسال برقية خطيرة جدا كهذه على عهدتك وعلى مسئوليتك •

فاجاب بأن الرئيس سعد ومصطفى النحاس اطلعا عليها قبل ارسالها • فازدادت دهشتى ، واشتد ذهولى •

ثم اخذنا نتبادل الرأى فيما عسى أن يكون لهذه البرقية من نتائج بعد نشرها ، وكان من رأى (نجيب) أن أمين الرافعى سيمتنع حتما عن نشر هذه البرقية •

فسالته : ولماذا أرسلتها اذن •

فقال : ان الحقائق يجب أن تعرف ، ولا فائدة من كتمانهـــا ؛ ما دامت لها نتائج وبيلة على كل حال ، وامين الرافعى سيهتدى بهذه البرقية ويكتب مقالاته الافتتاحية على ضوئها •

فقلت : ان هذه مغامرة منك ، ومسئولية خطيرة عليك وأرى أن هذه البرقية بمثابة اعلان الحرب بين سـعد وعدلى • وانك بذلك ستزيد هوة الانقسام فى الوفد عمقا واتساعا •

فقال نجيب : لا تتشاءم • ان هذه البرقية لن ينشرها أمين الرافعى لانها قنبلة وكل ما هنالك انها كما قلت لك ايحاء وتوجيه (لامين) يكتب مقالاته على هداها •

فاظهرت الغضب والسخط عليه فقال ضاحكا : هل انت لا توافق على ما ورد فيها من الحقائق •

فقلت مكتئبا : يا صديقى لا حاجة بنا الى الدخول فى جدل عقيم الآن ، ولا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب ، كما يقـول الانجليز ، فقد سبق السيف العزل •

والى هنا وصل الاتوبيس الذى ينقلنى الى فندق الامبريال حيث أسكن ، فاستأذنته وسلمت عليه على عجل وانصرفت •

واقسم غير حانث انى لو كنت مكان نجيب لما فعلت فعلته مهما يكن الضغط الواقع على ، أو الاغراء المقدم الى • فما بالك اذا لم يكن هناك أى ضغط أو أى اغراء ؟ ولكنـه الحظ السيىء العاثر الاحمق •

لماذا أخبرنى (نجيب) بأن الرئيس سعد ومصطفى النحـاس اطلعا على البرقية ؟

لماذا لم يكتم هذا السر ان كان هذا صحيحا ؟ وأنا لم أسأله عمن استشارهم قبل ارسال البرقية ؟

واذا كان قد تطوع بهذا السر لى ، فهل يستطيع كتمانه حين يحرج ويضطر الى الدفاع عن نفسه • انه حتما سيفضح سـعدا ومصطفى النحاس انقاذا لنفسه من الحرج المؤكد الذى ينتظره •

هذه الاسئلة جالت بخاطرى ، وهذا الشـــعور بقرب الفضيحة قام بنفسى · فآلمنى وشعرت بالاسى والاسف · ثم عدت أسائل نفسى مرة أخرى · لماذا ؟ لماذا ؟ لم يستطع نجيب كتمان هذا السر ؟ ولماذا خان الامانة ؟

لست أدرى على وجه اليقين ، وانما أنا أؤمن ايمانا قويا بأن الرجل الذى يحترم نفسه ويشعر بالمسئولية لا يذيع سرا ولا يخون عهدا · واذاعة السر فيما أرى دليل على استخفاف المذيع بغيره · ودليل على أنه أكثر شعورا بأهميته الشخصية ولذته الخاصة من شعوره بأهميته مصلحة غيره ومسئوليته ازاءه ، بل يخيل الى أن اذاعة السر أكثر من ذلك وأخطر · وأشنع من ذلك وأفظع فهى ليست مجرد خفة أو طيش و اهمال ، بل هى تدل على الشماتة والرغبة فى الكيد والتظاهر بالاهمية الشخصية ·

وكثيرا ما جرت اذاعة الاسرار نكبات على الناس وعلى الأشخاص المذيعين لها على السواء ورحم الله البارودى الشــاعر الحكيم الذى قال :

ولو علم الانسان ما فيه نفعه   لابصر ما يأتى وما يتجنب
ولكنها الاقدار تأتى بحكمها   علينا وأمر الغيب سر محجب

الفصل السابع

الوفد يقرر قطع المفاوضات والعـودة إلى باريس

٩ نوفمبر ١٩٢٠ :

اجتمع الوفد فى الساعة العاشرة صباحا • وحضر عدلى الاجتماع هاشا باشا هذه المرة وعلى غير عادته ، وكأن شيئا لم يقع بالامس مما يكدر النفس او يعكر الصفو بينه وبين سعد ودام الاجتماع ساعتين بحثوا فيما مسالتين :

١ ـ ما عسى ان يقوله ملنر غدا وما ينبغى ان يكون رد الرئيس عليه ، وهل يكون الانفصال والوداع فى مظهر سخط وخصام او فى مظهر ود ووئام ؟ واستقر الراى على المظهر الثانى •

٢ ـ تحديد موعد السفر من لندن الى باريس ، فاستقر الراى على ان يكون يوم ١١ نوفمبر اى بعد يوم واحد من ختام المفاوضات•

وقد كلف جورج دومانى باعداد جوازات السفر بالفيزات الفرنسية وشراء التذاكر اللازمة للسفر برا وبحرا •

وبعد انتهاء الجلسة تجمع فى مكتبى بعض الاعضاء وهم عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة ومحمد محمود وحمد الباسل ، وكانوا جميعا فى حالة نفسية منشرحة ومنتعشة •

فقلت لهم : هل انتم مسرورون لانتهاء المفاوضات أم مسرورون لقرب سفركم من لندن ؟

فقال عبد العزيز فهمي : لعنـــة الله على الاثنين المفـاوضات ولندن ، وانتشر في جو الحجرة رنين الضحك وهمسات الابتسام ، أدام الله هذا السلام ٠

غداء مع عبد العزيز فهمي ومحمد علوية

في دعابة خفيفة لطيفة ظريفة قال لي عبد العزيز فهمي « نحن مختلفان على مسالة : أينا يدعوك للغداء معه ؟ » فقلت : « عندي حل هذه المسالة ، وهو أن ادعوكما انا للغداء في مطعمي المختار (مونيكو) » ٠ فقال : « هذا ليس حلا للمسالة وانما هو هروب من الحل بتقديم اقتراح جديد » ٠ فقلت : « لا ٠ انا لا أجاريك في فن الحوار والمحاورة » ٠ فانفجر الصاحبان بالضحك وخرجنـا للغداء معا ، وصاحباي لا يعرفان اللغة الانجليزية وكان هـــذا موضوع الحديث والتندر والمزاح ٠

١ ـ مناقشة فلسفية حول زنجي اسود :

دخل المطعم ونحن نتناول الغـداء زنجي شـديد السواد طويل القائمة ومعه فتاة انجليزية بيضـــاء ، لتناول الغداء معـا ، فكان منظر سواده القاحم وبياضها الناصـــع مما يلفت الانظار ويثير الافكار عند الغربيين عامة والانجليز والامريكان والفرنسيين خاصة٠

فقلت : قبل سفرنا الى لندن كنت جالسا في صالون البنسيون الذي أسكنه في باريس ، وكان معي رجـــل أمريكي مثقف فكان الحديث بيننا يجري هادئا عاما في المسائل الدولية ، وفي أثنـاء الحديث دخل زنجي أمريكي أسود واتجه الى « موظف الاستقبال » يسأله عن حجرة بحمام ٠ فانتفض الامريكي من مكانه واتجه الى مديرة البنسـيون وكانت قريبة منا وتحدث معها قليلا ثم عاد الى مجلسه بجواري ، واذا بالسيدة تذهب الى الزنجي وتعتذر اليـه عن عدم وجود حجرة شاغرة ٠ فسألته عما فعل ٠ فقال : « انا لا أطيق الزنوج السود وهم في أمريكا منبوذون ، لا يغشون الاندية والفنادق والمطاعم ولا يركبون حتى الاتوبيسات التي تحمل البيض»

فجفلت وغضبت وقلت هذه قسوة بالغة وأهدار لآدميتهم ، وما ذنب صاحب البشرة السوداء ٠٠ انه لم يصنعها ولا حيلة له فيها ٠ واني لاعرف بين السود من هم اذكى واعلم وانبل وأكرم من كثيرين من البيض ، ولست ادرى كيف يسمح ضمير الرجل الابيض المثقف أن يهين انسانا مثله لا لسبب سوى لونه الاسود ٠ فاجاب الامريكي : انه لون كريه ٠٠ ثم تفوه بعبـــارات عن السود لا أريد أن أسجلها لانها تدل على ضيق ذهنه وانعدام مروءته وانسانيته ٠ وانصرفت عنه وخرجت ٠ فقال عبد العزيز فهمي : اتدرى لماذا كل هذا ؟

فقلت : لا أعرف سببا غير هذا اللون الاسود الذى خلعته الطبيعة على أناس أبرياء يسكنون بقاعا معينة من الكرة الارضية ٠

فقال صاحبي : ان اللون الاســـود مقترن في اذهان الغربيين البيض بالتأخر والجهل والوحشية والانحطاط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي ٠ ولو أن هــذا الزنجي ذا البشرة السوداء كان من دولة راقية متمدينة انتصرت في الحروب ولها مستعمرات من البيض ، لكان هذا الزنجي يتيه بلونه الاسود ولكان الرجـــل الابيض يخجل من بشرته البيضاء ٠ والسواد في اذهانهم قرينة على التأخر ، ولكن لا عيب فيه لذاته ٠ والبياض قرينة على الرقي ولا فضل فيه لذاته ٠ والمسألة كلها اعتبارية ، وسيأتي الوقت الذى يرتقي فيه السود ويصبحون على قدم المساواة مع البيض ٠

فقلت : هذا تعليل جميل لم يخطر لي على بال ولكنى مع ذلك اشفق على هذا الرجل الاسود من نظرات الكره والاحتقار المقذوفة اليه ٠ فاجاب : وفر عليك اشفاقك فان هذا الزنجي الاسود شـجاع ولعله يشعر الان بالتحدى والفخار لاستيلائه على امرأة بيضـــاء في بلادها ، ووسط أبناء وطنها البيض ، وهذا التحدى نوع من الانتقام ومبعث للرضا لنفسه ٠

فقلت : وهذه ايضا فكرة جميلة لم تخطر لي على بال ٠

ب ـ متى العودة الى مصر :

سألني محمد علي علوبة : هل انت تفكر في العودة الى مصر

فقلت : هل قرر سعد باشا العودة الى مصر ؟

فقال صاحبي : لا ٠٠ لا أظنه يفكر في ذلك ٠

فقلت : وأنا كذلك لا افكر فيــه ، فأنا ظل ســـعد فى الارض (فضحك الصاحبان كأنى قلت نكتة طريفة) ··

ثم قلت : لا اظنكما تفكران فى العودة الى مصر قريبا ·

فقال عبد العزيز فهمى : ولم لا ؟ وما هو عملنا فى باريس بعد عودتنا اليها ؟ ان مهمتنا قد انتهت · ان ثورة ١٩١٩ قد انتهت تماما ، وقد تغلب عليها الانجليز واطفأوها بعد شـــهور قلائل ، وايدت الدول جميعا مركز بريطانيا فى مصر · ونحن من ناحيتنا قد استغللنا هذه الثورة وآثارها الى اقصى حد ممكن ، وحصلنا من الانجليز على اقصى ما يمكن الحصول عليـــه فى الظـروف الحاضرة ، وهو على كل حال خير الف مرة من الحالة الراهنـــة التعسة الموجودة فى مصر ، ثم استطرد قائلا : « ان عدلى سيعود الى مصر بعد اسبوعين توطئة لتاليفه وزارة الثقـــة ، وهى اول وزارة وطنية تتولى الحكم فى مصر وسعد باشا يظن خطأ اننا نؤيد عدلى طمعا منا فى ان يأخذ بعض اعضاء الوفد وزراء معـــه ، وهذا وهم وضلال فلن يقبل عضو فى الوفد دخول هذه الوزارة منعا للظنون والاوهام ، ثم ينظر بعد ذلك فى تاليف وفد رسمى مصرى ليتفاوض مع وفد رسمى بريطانى لوضع مشروع معاهدة تحالف بين البلدين » · ثم قال : « هذا وستجرى فى مصر انتخابات عامة لاقامة نظام برلمانى » ·

« فما معنى بقائنا فى باريس ؟ وماذا ينتظر منا أن نعمله فى باريس أو فى غير باريس ؟ هل نخدع الشعب بأننا نعمل ونحن فى الواقع لا نعمل شيئا ؟؟ »

وقال محمد على علوبة : « ان مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى قرروا العودة الى مصر وقد أعطيتهم فعــلا أجور التذاكر اللازمة للسفر قبل اخر هذا الشهر » ·

أصغيت وفكرت · ولم أشـــأ أن اناقش أو أبدى رأيا بل سكت واطرقت · ولم ار اية فائدة من تكرارحجج الرئيس سعد فى موضوع الاستقلال ، وأن هذا الذى حصلنا عليه ليس هو الاستقلال الذى وكلت الأمة الوفد للسعى اليه وادراكه ، ولم أر كذلك اى جـدوى من تكرار حجج الرئيس القوية وملاحظاته التى لا ترد فى موضوع مشروع ملنر وموضـــوع التحفظات · فهم يعرفونهـــا اكثر منى

وتكرارها عبث سخيف لا طائل تحته ، فاختصرت الطريق ووضعت حدا للحديث بجملة واحدة • قلت : « ان ما سـمعته الان يدعو للتفكير واطالة النظر فى الموقف الخاص ونتائجه » •

فقال محمد على علوبة : هذا أحسن رد سياسى سمعته ، ويا ليت سعد باشا يتحدث الينا بهذه الطريقة وبهذا الهدوء •

فقلت : استغفر الله • وانفض الاجتماع بسلام •

خواطرى بعد عودتى الى الفندق فى المساء :

فى المساء عدت الى فندقى فدونت كل ما سبق كعادتى خشية نسيان بعض تفصيلاته • ثم أويت الى فراشى ، ولكن لا نوم هناك ولا راحة ، وشعرت بان عقلى كالدوامة لا يهدأ ولا يستقر • تتزاحم فيه الاسئلة وتنادى بطلب الجواب • فنهضت من الفراش بعد نصف ساعة واستأنفت الكتابة لاسجل مرة أخرى أسئلتى وخواطرى ؟

اسئلة محيرة

هل احمد نجيب صادق فى قوله ان سعد باشا ومصطفى النحاس اطلعا على برقيته قبل ارسالها ؟

ما الذى ينتظر من المتاعب بعد ارسال هذه البرقية ومن نشرها ؟

هل المقصود هدم عدلى فلا يؤلف وزارة الثقة ؟ هل هذه البرقية تهدم عدلى ؟

لماذا يطعن الرجل فى الظلام على هذه الصورة الكريهة ويطعن فى ظهره بعد أن انتهت المفاوضات أو المحادثات والمجادلات ؟ ان سعدا لا يمكن أن يعمل هذا ولا يمكن أن يعلم به •

هل أحدث الرئيس بما سمعته من نجيب ، ثم أرجوه أن يتفادى الخطر قبل فوات الاوان ؟ ولكن من أنا (الصغير سـنا ومركزا وتجارب) حتى أنصح زعيم الامة المصرية •

ثم الا يعتبر هذا افشاء لسر ائتمننى عليه نجيب ولم ينتظر منى أن أنقله الى سعد ؟ وما الفرق بينى وبين نجيب اذن فى افشاء السر وخيانة الامانة ؟

ولكن هل هذا سر ؟

هل أحدث الرئيس بما سمعته من عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة فى مسالة العودة الى مصر وافكارهما فى مسالة انتهـــاء مهمة الوفد ؟

هل يثور الرئيس عليهما بحجة انهما يحاولان ابعاد سكرتيره الخاص من جواره وتركه وحيدا فى باريس فاقع انا بين المطرقة والسندان ؟

ان قلت لسعد انهما لم يحاولا ذلك : ظن انى امالئهما وادافع عنهما ، وانى لا ارى غضاضة فى تصرفاتهما ، بينمـــا هو ثائر عليهما ساخط منهما ·

وان سكت ووقفت على الحياد ظن عبد العزيز فهمى ومحمـــد على علوبة اننى رجل خطير ونمام اعمل على زيادة هوة الخلاف بينهما وبين سعد !!

اليس من الخير كل الخير الا انقل كلاما من ناحية الى اخرى فى هذا الجو المشحون بســوء الظن وتوتر الاعصاب والميل الى الاعتداء وسرعة الغضب واختلاف النظرات الى الشىء الواحـــد ؟

اليس من الخير كل الخير أن أكون كالبئر العميقة ، انطوى على كل شىء واعتبر كل ما أسمعه سرا دفينا لا يظهـــر الا فى الوقت المناسب ، والوقت الحالى غير مناسب لاى شىء والتفاهم فيه عسير حتى على البديهيات ؟

عقيدتى فى الرئيس سعد

انى أومن ايمانا جازما بان سعد باشا على حق فى استنكاره مشروع ملنر واعتباره حماية سافـرة ، وعلى حق فى تمســـكه بضرورة تعديله بالتحفظات قبل الدخول فى اية مفاوضات رسمية · وعلى حق فى رفضه احالة الكلام فى مسالة التحفظات الى المستقبل حين تجرى المفاوضات الرسمية · وعلى حق فى ضرورة استمرار الجهاد لتحقيق الاستقلال الحقيقى · وعلى حق فى تمسكه بتوكيل الامة له وللوفد· وعلى حق فى اعتقاده باستحالة الخروج على هذا

التوكيل اى بقبوله حماية مخففة ملطفة بدل الاستقلال • وعلى حق فى تهديده بعدم تأييده ما يسمى « وزارة الثقة » برياسة عدلى •

ان الرئيس سعد على حق مائة فى المائة • ولا أرى أن زعيم امة وزعيم ثورة يمكن أن يسلك مسلكا غير هذا • أومن بكل ذلك ايمانا راسخا ، وسأكون الى جانب سعد دائمـــا ، اناصره ولن اخذله أو أهجره أو أنضم الى صفوف خصومه السياسيين يوما من الايام •

هذا رأيى وشعورى وعقيدتى • وفى ذلك اطمئنـــانى وراحتى وهناءتى •

ولكن كيف يكون التفكير السليم فى الخلاف الحاضر ؟ ما الحكم اذا كان هناك اناس لهم راى وشعور وعقيدة عكس ما عنـــدى ؟ وما الحكم اذا كان هناك رجال أمثال عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة ولطفى السيد ومحمد محمود وغيرهم لهم راى آخر ، وشعور وعقيدة على نقيض ما عند الرئيس سعد ؟

ان المشاعر والآراء والعقائد عند المثقفين لا تتكون الا عن طريق التفكير المستقل الحر والرجل لا يكون جديرا بالاحترام : احترامه لنفسه اولا ، واحترام الناس له ثانيا الا اذا كان قادرا على التفكير المستقل ومتمتعا بحقه فى هذا التفكير وهذه حقيقة لا اظن احـــدا ينازع فيها ، ومن شأن هذه الحقيقة ومن طبيعتها أن تختلف آراء الناس فى المسألة الواحدة ، وأن يخطىء الانسان فى رأيه وعقيدته احيانا ولا جناح عليه فى ذلك ما دام أنه يستعمل حقه ويصدر فيه عن عقيدة •

وليس من حق انسان ذى رأى وعقيدة أن يضيق ويغضب ويثور على انسان آخر ذى رأى وعقيدة • مادام الرجلان يستعملان حقهما المطلق فى التـفكير المستقل ، ومستلهمين ضميرهما فى خـــدمة المصلحة العامة •

ولست أرى من المعقول أو المقبول أن تتمتع انت وحـــدك بحق التفكير المستقل وأن تحجر على غيرك وتحرمه من هذا الحق فى الوقت عينه ثم تملى رأيك او عقيدتك عليه بحجـة أن هـــذا هو

الصواب وترغمه عليه لكى يقلع عن رايه وعقيدته ويقبل رايك صاغرا وبغير اقتناع ، وينزل على ارادتك خاضعا مقهورا ٠

هذا رأيى وهذا مذهبى فى اسلوب التفكير ، بل هذه عقيدتى فيما ينبغى أن يكون عليه التفكير السليم ٠ ولعلى بسبب هذا الرأى وهذا المذهب لم اعاد أحدا من اعضاء الوفد رغم ايمانى بسعد ، وانى اعاملهم ويعاملوننى بالاحترام المتبادل رغم ما بينى وبينهم من اختلاف فى الرأى ٠

والآن ما هو الحل ؟ ما الذى يهدى اليه التفكير الحر المستقل السليم فى مسالة الخلاف القائم بين سعد وعدلى ، بين اعضاء الوفد المنقسمين : قسم يؤيد سعدا ٠ وقسم يؤيد عدلى ٠ كيف يحسم هذا النزاع القائم بين المعسكرين ، وكل منهما يرى انه وحده على حق وأن الآخر على ضلال ؟

ومن الحكم ؟

الرأى عندى ان الحكم الوحيد هو الشعب المصرى ، يبدى رايه وحكمه فى انتخابات عامة او استفتاء عام ، وفيما عدا ذلك لايجوز لفريق أن يحتكر الحق كله لنفسه ٠

قد اقول ويقول معى كثيرون جدا ان الحق مع سعد لانه موكل من قبل الشعب للسعى فى سبيل تحقيق الاستقلال وهو متمسك بهذا المبدأ وهذا المسعى ، فلا حاجة بعد ذلك الى انتخاب عام أو استفتاء جديد ٠ ولكن الآخرين يقولون انهم كانوا من هذا المبدا كذلك حتى رأوا تغير الظروف والاحوال ، وانسداد كل المنافذ والابواب فى سبيل المساعى لتحقيق هذه الغاية ، وانهم لذلك آمنوا بان الخير لبلادهم هو فى قبول مشروع ملنر الذى هو دون الاستقلال

هذه حالة طارئة جديدة وازمة حادة ٠ ليس لها حل حاسم ولا مخرج نهائى الا أن ينقسم الوفد علنا وفى صراحة تامة ويلجأ الى الاحتكام الى الامة فى استفتاء عام بعد أن يتكتل القسمان ويتكتل انصارهما فى شكل حزبين سياسيين ناشئين فى البلاد فليس أجدى من الصراحة فى مثل هذه المواقف ، وليس أخطر من وضع الاوراق على الجدار المشقق المتهدم لستر شقوقه وتغطية تهدمه ، ومن مزايا هذا الرأى الذى اسجله الان أن يمنع (على الاقل) السير فى

مشروع ملنر وفي المفاوضات الرسمية المقبلة ويتحقق بذلك أهم هدف من أهداف سعد ، ولكن بدلا من هذا الحل الحاسم الذى أراه في هذه اللحظة اشعر أن سعدا يميل الى التستر على هذا الانقسام، وأن خصومه من الاعضاء لا يجرؤون على الظهور بهذا الانقسام ، ولهذا أرى أن الازمات ستستمر وستزيد وتستفحل ولا مرد لذلك فان قانون الطبيعة البشرية مادام قد انطلق على أساس الكراهية وانعدام الثقة فانه لا محالة سائر بالرئيس والاعضاء من أزمة الى أزمة ومن عذاب الى عذاب وهذه حالة لا تطاق ٠

تحليل التهم الثلاث الموجهة الى عدلى

ـ سألني احمد نجيب سؤالا لم اجب عليه في حينه ٠ اذ قال ان برقيته اشتملت على حقائق وان الحقائق يجب أن تعرف ، وهذه الحقائق تجلت في تهم ثلاث :

١ ـ ان عدلى سلك غير مسلك الوفد في مسألة التحفظات ٠

٢ ـ انه عرقل المفاوضات ٠

٣ ـ انه عمل على تقسيم الوفد ٠

وكان سؤال نجيب لى : هل انت لا توافق على هذه الحقائق ؟ فسكت ضيقا ويأسا من جدوى المناقشة ٠ هذه في نظرى ليست حقائق وانما هى آراء ٠ وفرق بين الحقيقة الثابتة التى يوافق عليها الجميع والرأى الذى يصدر من جانب واحد ٠ فما هى الحقائق اذن كما أعرفها ؟

أولا ـ ان أغلبية أعضاء الوفد لها رأى في مسألة التحفظات وعدلى من هذا الرأى ٠

ثانيا ـ أن عدلى لم يعرقل المفاوضات ، والواقع انه سعى ونجح في اطالة حبلها اكثر مما ينبغى ، وكانت الاغلبية الوفدية تلجأ اليه لحل كل ازمة طارئة مع ملنر وكانت هذه الاغلبية حريصة كعدلى او اكثر منه على استمرار المفاوضات ، فمن التجنى اتهامه بأنه عرقل المفاوضات ٠

ثالثا ـ ان عدلى لم يعمل على تقسيم الوفد ، بل كان الوفـــد منقسما من تلقاء نفسه حتى قبل وصوله الى باريس وان اغلبية اعضاء الوفد هى التى تعلقت بعدلى ، وعقدت عليه الامـــل فى اتاحة الفرصة لكسب شىء لمصر عن طريق المفاوضـــة بين الوفد وملنر ، وعدلى والحالة هذه لم يبذل اقل مجهود لتقسيم اعضـــاء الوفد ذلك لان انقسام الوفد الى معســكرين كان نتيجة اســـباب داخلية فى الوفد نفسه وبعبارة ادق كان نتيجة رايين وعقيدتين مختلفتين متعارضتين .

اعتقاد الرئيس سعد بضرورة التمسك بقضية الاستقلال مهمـــا تكن النتائج والمتاعب .

واعتقاد الاغلبية باستحالة الحصول على الاستقلال فى الظروف الحاضرة وبضرورة قبول ما يمكن نيله وكسبه عن طريق المفاوضات مع ملنر .

فمن التجنى ان يتهم عدلى بانه كان اداة فى هذا التقسيم ، بل الصحيح انه كان الاداة فى خدمة اغراض الاغلبية الوفدية وخدمة اهدافهما وهى فى الوقت عينه اغراض عدلى واهدافه الحاضرة . فانقسام الوفد لم يكن نتيجة عمل ايجابى من عدلى او ثمرة جهوده فى اقناع اغلبية الاعضاء ، وانما كان نتيجة عمل سلبى من عدلى وهو مجرد ظهوره على مسرح السياسة المصرية بحـــكم بعض الظروف القاهرة ، فانفتح بظهوره باب كان مغلقا ، وطريق كان مسدودا .

ومن عدلى هذا الذى يستطيع ان يقنع رجالا اكثر منـــه ثقافة وفصاحة وصلابة واعتدادا بالنفس امثال عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود واصحابهم ؟

ان الحقيقة المرة هى ان اغلبية اعضاء الوفد جعلت من عدلى زعيمها فى المفاوضة ذات الرجاء الممدود وانصرفت عن ســـعد رئيسها وزعيم الثورة التى انتهت فى طريق مسدود (على حـــد تعبير عبد العزيز فهمى) .

كيف ختمت المفاوضات مع ملنر ولجنته

٩ نوفمبر ١٩٢٠ :

فى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم توجه الوفد بكامل هيئتـــه (أعضاء وسكرتيرين) وعلى راسهم سعد وبجواره عدلى الى وزارة المستعمرات البريطانية ، وكان يوسع الطريق أمام سياراتهم التى انسابت فى الطرقات على شـــكل قافلة وأمامهـــا فارسان بريطانيان من راكبى الموتوسيكل يفسحان الطرق ويعطلان المـرور مؤقتا حتى وصل الركب المصرى الى مكان الاجتماع · وكان فى استقبالهم ملنر وجميع أعضاء لجنته ما عدا الجنرال ماكسـويل الذى تغيب لمرضه وجميع سكرتيرية اللجنــة ، ولما انتظم عقـــد الاجتماع أعلن ملنر افتتاح جلسة الختام ثم قال : « ان هذه آخـر جلسة نعقدها ، وأريد أن أتلو عليكم بيانا باللغـــة الانجليزية ثم يترجمه الى الفرنسية السير رنل رود (*) فتلاها ثم ترجمت ·

بيان لجنة ملنر

وفيما يلى ترجمتها الى العربية :

« رأينا من المرغوب فيه أن تعقد هذه الجلسة قبل سفر المثلين المصريين من لندن وقصدنا من ذلك جلاء الموقف وايضاح الحالة ، ثم ترك الباب مفتوحا للعمل بالاشتراك بينهم وبين اللجنة فى المستقبل

ويظهر من الاخبار التى عاد بها أخيرا السادة المصريون بعـــد زيارتهم مصرانها تدل على أن قسما عظيما من الرأى العام يستحسن التسوية على الاساس المبين فى المشروع الذى عرض مع مذكرة أغسطس ، ولكنهم قالوا ان فى هذا المشروع نقطا يرغبـــون فى

(*) فى المؤتمرات الدولية أصبحت اللغة الانجليزية هى اللغــة الرسمية جنبا الى جنب مع اللغة الفرنسية · ويحرص الانجليز فى جميع المجتمعات الدوليــة أن يتكلمـــوا بالانجليزية ، وأن تكون الفرنسية هى الترجمة لمن لا يفهم لغتهم · »

تعديلها ، وأن هناك شروطا اخرى يريدون اضافتها قبلما يعدوننا بتأييدهم لنا من غيرقيد ولا شرط ·

« ونحن لا نرى اية حاجة الى المناقشة اليوم فى هذه الامور · ذلك لان اعضاء اللجنة مجمعـــون رايا على أن لا فائدة من زيادة المناقشة فى مسائل تفصيلية فى الوقت الحاضر ·

« ولم يكن مقصودا بالمشروع غير تبيان القواعـــد العامة التى يمكن ان يبنى عليها الاتفاق ، وعلى كل حال لا يتم الاتفاق الا اذا قر القرار عليه نتيجة مفاوضات رسمية بين ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية والحكومة المصرية كما كنا نتوقع ذلك دائما ·

« وفى تلك المفاوضات الرسمية يمكن عرض النقط الجديدة التى قدمتموها على اثر زيارة بعضكم لمصر ، وكذلك غيرها من النقط التى يمكن أن يعرضها كلا الطرفين · وحينذاك يكون من المستحيل ومن غير المرغوب فيه نبذ اى طلب او رفض اى اقتراح يكون غير مناف منافاة واضـــحة جوهرية لروح الاتفاق المرسوم هيكله فى المشروع ·

« ومن راينا اننا اذا تعرضنا لهذه المناقشات من الآن لا نكون قد سهلنا حصول التسوية ، وعليه نرى أن الاجدر بنا أن نتجنب الآن ابداء اى راى فى النقط الجديدة التى عرضتموها أخيرا مع اننا نعتقد انه يمكن الوصول الى حل مرض ، بل لابد من الوصول اليه حينما تدور المفاوضات الرسمية القانونية ·

« والامر الذى يهمنا الآن بعد ان بلغنا ما بلغناه هو التأثير فى الراى العام فى بريطانيا وفى مصر حتى يستحسن التسوية على المبادىء التى استحسناها نحـــن وانتم · واعظم من ذلك كله ان نغرس ونقوى بكل وسيلة ممكنة أواصر الصداقة والثقة المتبادلة التى ساعدت محادثاتنا هنا على ايجادها ، والتى يجب تعميمها بين الفريقين اذا شئنا أن تفضى مســـاعينا الى الغاية المطلوبة ، فان ذلك كله أهم كثيرا من المناقشة فى التفاصـيل اما فيما يختص بهذه البلاد (بريطانيا) فاننا نؤمل ان تقرير اللجنـــة الذى نحن مهتمون بانجازه باسرع ما يمكن ، يؤدى الى هذه الغاية ·

« ومما لا يقل عن ذلك أهمية أن تنتج مساعيكم فى مصر نتيجة مشابهة لهذه ونحن نعترف لكم شاكرين عظم ما فعلتموه فى هـذا القبيل حتى الآن ، ولكن من الواضح انه لايزال هنـاك معارضة يجب التغلب عليها ، وان فى مصر اناسا كثيرين لم يتشربوا روح الاتفاق . بل لايزالون معادين لحسن التفاهم بين بريطانيا العظمى ومصر لسبب من الاسباب ، فهم يرتابون فى ثبات هذه البـلاد او يدعون ذلك ، غير مدركين مقدار السخاء الذى تقابل به بريطانيا العظمى امانى الشعب المصرى . وانكم بتبديدكم سوء الظن وسوء التفاهم وغرسكم حسن الظن فى النفوس بدلهما ، تعمـلون ما لا يستطاع عمله بطريقة اخرى للوصـــول الى التسوية التى نرغب فيها معا اشد الرغبة » .

هذه خطبة محضرة وبيان منمق مدقق فى كل عبارة فيه بل كل كلمة منه وقد اشترك ملنر واعضــــاء لجنته اياما فى تحضـيره وتدقيقه وتنميقه وكان واجب اللياقة يقضى عليهم ان يرسلوا صورة هذا البيان الى الرئيس سعد والوفد حتى يعدوا من ناحيتهم الرد المناسب ، بالبيان المحضر المدقق المنمق كذلك ، ولكن هكذا شــــاء الانجليز أن يفاجئوا سعدا والوفد بهذا البيان وخالفوا بذلك العرف المألوف فى جميع الجلسات الختامية والافتتاحية للمؤتمرات الدولية واللجان شبه الدولية ، ولم يفعلوا ذلك الا استخفافا او احراجا للوفد وزعيمه ، وقد ظنوا أن بيانهم هذا يقنع قارئه او سامعه فى سهولة ويسر ، وأن يضطروا سعدا اما للسكوت عليه فى مضض وكمد واما أن يرد عليـه فور البديهة وعفو الســـاعة ومن فيض الخاطر والذكاء .. ببيان ارتجالى لا ينتظر منه أن يكون رائعا أو مقنعا لقارئه أو سامعه فى مثل تلك السهولة واليسر ، بل المنتظر أن يكون بطبيعة الحـــال فى مستوى اقل وأدنى ، وفرق كبير بين الارتجال والاعداد بعد الاستعداد . فالارتجـــال منكوب بسرعة التفكير ، والاعداد يمتاز بالتركيز وطول التأمل والتحضير .

ومع ذلك ماذا كان رد الفعل عند الرئيس سعد ؟ ولا أذكر غير سعد لانه الوحيد الذى تكلم بعد ملنر .

انه لم يؤثر طريق السلامة والمسالمة بالسكوت على مضض وفى كمد .

بل فضل أن يجيب مرتجلا ، وأن يتكلم بالفرنسية أى بغير لغته العربية · وهذا قيد شديد فاشرأبت الاعناق اليه وتعلقت الانظار به· وأسرعت الانفاس تطلعا اليه فى لهفة : لهفة من أولئك الذين خشوا أن يندفع ويجمح ، ومن أولئك الذين أملوا أن يوفق ويدافع ويحسن ·

بدأ الرئيس سعد بأن قدم الشكر بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن زملائه على ما لقوه جميعا من الحفاوة طوال مدة المفاوضة ، ثم قال :

« انى وزملائى مستعدون كل الاستعداد للسعى لاستمالة الامة المصرية للاتفاق، ولكن يلزمنا أن تساعدونا على اجراء هذاالمسعى· وذلك بأن تضعوا فى أيدينا ما يمكننا من اقناع الامة المصرية بما تسعى اليه · ان الشعب المصرى كما تعلمون قد قام ضد الحماية · وطالب بالغائها وليس فى وسعنا ان نحمله على قبول المشروع اذا لم نحصل على هذا الالغاء ولا يتسنى لأى مصرى أن يقبل المفاوضات على تلك الاسس والدعامات ، وأن تكون نتيجة سعينا فى ترويج هذا المشروع من غير تعديله بما يضمن الغاء الحماية بصفة خاصة الا سقوطنا وسقوط المشروع معنا » ·

ثم سكت سعد ·

فقال ملنر : اننا نرجو أن يسعى كل منا من جانبه الى ازالة سوء التفاهم كما نعمل نحن ذلك فى بلادنا ·

سعد : ان هناك فرقا عظيما بيننا وبينك · فانك امكنك ان تؤكد فى مجلس اللوردات انك لم تفرط فى اى شىء فيه أقل مساس بالامبراطورية ، وانك تعمل على المحافظة على مركز بريطانيا فى مصر ، وعلى تأييد النظام بها لا بطريق العنف وانما بطريق اللطف · وأثبت ذلك بالادلة القاطعة ، وارضيت ما فى نفوسهم من هوى ، فوقع كلامك لديهم موقع الاستحسان · واما انا : فقومى يطلبون الغاء الحماية ويريدون الاستقلال وليس فى امكانى أن

اؤكد لهم أن الحماية الغيت أو انها ستلغى ، فاذا مكنتمونا من هذا التصريح واعطيتمونا دليله فليس احب الينا من أن نعمـل للتوفيق بكل ما فى وسعنا ونعتقد اننا حينذاك نصيب كل نجاح ٠
ملنر : انكم تتشبثون بصغائر وتعلقون اهمية مسرفة على بعض الكلمات ، والعبرة بالمشروع ومرماه ٠

سعد (منفعلا) : اذا كانت هـذه صغائر فى نظركم فلمـاذا تحرصون عليها وتتشبثون بهـا وتضنون بها علينـا ولها عندنا المكانة الاولى من الاهمية ؟

اليس من حقنا عليكم بل من واجبكم انتم الذين تزعمـون انها صغائر ان تترضوا الامة المصريه بها ؟

ثم استطرد الرئيس سعد فقال :

« بما ان البيان الذى تلوتموه علينا بيان مكتوب ومحضر فانى احتفظ بحقى فى الرد عليه كتابة ، وان ما ابديته الآن انما القيته على البداهة وما قصدت به الا ان اطلعـكم على وقعه المباشر فى نفوسنا حتى لا تسيئوا فهمنا ٠

فقال ملنر : اننى ما تليت هذه المذكرة للمناقشة فيها وانما هو مجرد عرض وبيان للموقف كما نراه الآن ، وسابلغها اليكم هـذ المساء او غدا صباحا ٠

وهنا قال عدلى موجها الكلام الى سعد :

هل لا يمكن ان يقال للامة ان الغاء الحمـاية محتمل احتما قريبا جدا ٠

فاجاب سعد : لا يمكن ان يقال ذلك اذ ليس لدينا ما يؤيده ٠

وسكت ملنر ٠ ولم ينبس ببنت شفة ٠

فيالها من صراحة وصدق وفصاحة وبديهة رائعة ، وياله من تمسك متين بالمبدأ المكين• وياله من حرص فى شجاعة على التوكيل، ويالها من حجج دامغة تلقى على البداهة فتدمغ وتفحم •

هكذا اختتمت المناقشات بين ملنر وسعد •

وهكذا انتهت الجلسة الاخيرة بين لجنة ملنر والوفد المصرى •

وفى هذا الجو البارد الكالح تبادل الحاضرون مراسم السلام وكلمات التوديع مع الابتسام الاصفر وفى النفوس ما فيها من امل يمازجه يأس أو يأس لا يصاحبه رجاء •

رد الوفد على بيان لجنة ملنر

١٠ نوفمبر ١٩٢٠ :

فى الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم حضرت الى مكتبى فى فندق سافوى حيث يقيم الرئيس فوجدت بانتظارى خطابا ارسله الى سكرتير لورد ملنر وهذا نصه •

« عزيزى كامل

« ابعث اليك مع هذا بصورة من بيان لورد ملنر الذى تلاه فى جلسة بعد ظهر امس ، وارجو الا تتردد فى اخبارى بأية خدمة استطيع القيام بها بمناسبة قرب سفركم غدا » •

المخلص

(انجرام)

١٩٢٠/١١/١٠

ملاحظة :

كانت ترجمة بيان ملنر عندى جاهزة • ذلك انى كتبت البيان حرفيا عندما كان يلقيه ملنر فى الجلسة على طريقته الهادئة

البطيئة · فراجعت الترجمة على الاصل وصححت ونمقت ما احتاج الى التصحيح والتنميق ، ودخلت على الرئيس فى قاعة الجلسة قبيل الساعة التاسعة فلم أجده · وبعد قليل من انتظارى دخل مرفوع الهامة عظيم المهابة كعادته ، وما أن رآنى حتى قال باسما : ما وراءك يا عصام ·

فقلت : تسلمت هذا الصباح صورة بيان لجنة ملنر وقد ترجمته الى العربية ، ثم تلوت الترجمة عليه ، فقال الرئيس : اعطنى هذه الترجمة لانى أريد اعداد الرد بنفسى وامنع عنى الزائرين ان استطعت الى ذلك سبيلا ، وابلغ أعضاء الوفد تليفونيا انى أريد عقد جلسة للوفد فى الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم ·

فنفذت الامر فلم يحضر أحد من الاعضاء هذا الصباح ، بل لعل الاعضاء قد اغتبطوا حتى يستعدوا للسفر غدا الى باريس ·

وبعد ساعة ونصف الساعة أى حوالى الساعة ٣٠ر١٠ صباحا فرغ الرئيس من اعداد الرد وتلاه على ، ودهشت للسرعة الفائقة التى ابداها الرئيس فى اعداده · فقال : اذن أمليه عليك ليكون جاهزا فتقراه على الاعضاء فى جلسة بعد الظهر ·

ثم أملى على البيان وادخل عليه تعديلات وتحسينات فى اثناء الاملاء ·

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر اجتمع الوفد فى جلسته الاخيرة فى لندن ، وحضر عدلى كذلك ·

قال الرئيس : : تسلمت اليوم صباحا صورة من بيان لجنة ملنر وقد ترجمه كامل الى العربية وفرغت من اعداد الرد عليه · فليقرأ كامل ترجمة بيان لجنة ملنر اولا ثم مشروع الرد الذى أعددته ، وانا حريص أن يرسل هذا الرد فورا أى فى هذااليوم قبل أن نسافر الى باريس ، والسرعة فى مثل هذه الاحوال واجبة ومستحسنة » · وهنا تلوت فى هدوء وتؤدة الترجمة العربية لبيان لجنة ملنر ·

ثم تلوت مشروع الرد الذى اعده الرئيس ٠

عبد العزيز فهمى هذا رد مناسب . وانى اهنىء الرئيس عليه واقره بعد تعديلات طفيفة تم عرضها ٠

وبعد مناقشة قصيرة اشترك فيها معظم الاعضـــاء لتلطيف أو تخفيف بعض الكلمات والعبارات وافقوا على مشروع الرد ، كما وافقوا على ارساله فورا وقد قام دومانى بترجمته الى الفرنسية وهى اللغة التى يتخاطب بها الوفد مع لجنة ملنر ، واوصلت الرد الى وزارة المستعمرات وكان بانتظارى سكرتير ملنر ٠

رد الوفد

« اتشرف بابلاغكم انى تسلمت صورة من المذكرة التى تلوتموها فى جلسة ٩ نوفمبر الجارى ، وهذه المذكرة تقرر ان باب المناقشة لايزال مفتوحا بين لجنتكم والوفد المصرى وانه من غير المناسب ان تبحث الآن التحفظـات التى ابداها الشـعب المصرى بالنسبة لمشروعكم الذى أرسل الينا بتاريخ ١٨ اغسطس الخـاص ، وان محل هذا البحث يكون فى خلال المفاوضات الرسـميه ٠ وتشير هذه المذكرة بنوع خاص الى المصلحـة الرئيسية التى تنجم من ايقاف الراى العام فى البلدين على الحـالة بحيث توجـد بين الشعبين روح حقيقية للوفاق والذى بدونه لا سبيل الى الاتفاق ٠ ولاشك أن الوفد المصرى مقتنع بهذه النظرية كل الاقتناع ، ولذلك ما فتىء يبدى رغبته الشديدة فى مناقشـة التحفظات فى المرحلة الحالية من المفاوضات ولو أن الامر قد تم على هذا الوجه لأدت هذه المناقشة الى ازالة كل سـوء تفاهم ومحـو كل أثر للشكوك وتحقيق الغرض المنشود تحقيقـا كليا ، وهو ايجاد وفاق مرتكز على الثقة المتبادلة بين الامتين ٠

ولا يخفى ان مناقشة التحفظات فى الوقت الحاضر امر لا مندوحة عنه لانها مرتبطة كل الارتبـاط باحكام مشروعكم الذى يراد أن

يكون قاعدة للمفاوضات الرسمية ، فارجاء هذه المناقشة الى ان تبدأ المفاوضة بين الحكومتين ليس معناه الا ارغام المفاوض المصرى على الدخول فى تعاقد على قواعد مخالفة كل المخالفة لامانى البلاد التى تريد استقلالها وتريد الغاء الحماية · ولقد صارحتكم مرارا بان هذا الوضع لا يقبله الوفد ولا أى مصرى حائز على شيء من ثقة مواطنيه ، ونحن من أجل هذا السبب لم نستطع قبول مشروع ١٨ اغسطس ولنفس هذا السبب كذلك لم تتردد البلاد فى المطالبه بتعديل ما ابدته من التحفظات التى تشرفت بابلاغها الى جنابكم ·

« على أن هناك من جهة أخرى تلك القوانين الاستثنائية التى تطبق فى مصر منذ سنين عديدة ، وكذلك المحاكم العسكرية وغيرها من الوسائل والاعمال التى لا تتمشى مع روح الاتفاق ولا مع الرغبة الصادقة التى اظهرتموها فى القاء مقاليد حكم البلاد الى أبنائها ، وهذا كله يجعل من العبث أية محاولة فى توجيه الدعوة لاحلال الثقه فى النفوس ، فالانسان الذى يتكلم فى مثل هذا الجو ليدعو الى الاتفاق لابد ان تعده الامه خادعا أو مخدوعا مهما تكن الثقة فيه غير محدودة ، ومهما يكن حائزا لاحترام الناس جميعا ومحبتهم · ولاشك فى انه يسقط تحت صيحات الاستياء العام بسبب اتباعه منهجا منافيا للحقيقة ولشعور كل مصرى ، بل لحكم العقل نفسه !

« وعلى ذلك فان الوفد المصرى ياسف كل الاسف لانه يرى من المستحيل انتهاج السبيل الذى تدعونه اليه · ولقد كان يعد نفسه سعيدا لو انكم خولتموه الوسائل الضرورية التى تمكنه من أن يسعى سعيا نافعا فى ايجاد تيار ميال الى الوفاق فى البلاد ، ومهما يكن من امر فان ترك باب المناقشة مفتوحا بين لجنتكم والوفد يجعلنا نامل فى الاعتماد على حكمتكم وحكمة زملائكم لتذليل الصعاب الحاضرة ، حتى يكون فى مقدورنا أن نبث بين أبناء

الشعب المصرى روح الثقة الحقيقية والرغبة الصادقة فى الاتفاق العام مع بريطانيا العظمى ·

سعد زغلول
رئيس الوفد المصرى

١٠ نوفمبر ١٩٢٠

سفر الوفد الى باريس وتخلف عدلى

لندن فى ١١ نوفمبر ١٩٢٠ :

سافر الوفد كله صباح اليوم على دفعتين الى باريس : الدفعة الاولى : فى الساعة الثامنة صباحا : الرئيس سعد وعلى ماهر ومصطفى النحاس وواصف غالى وسينوت حنا والدكتور حافظ عفيفى وويصا واصف ودومانى أنا · والدفعة الثانية : فى الساعة ١١ صباحا : عبد العزيز فهمى · لطفى السيد · محمد محمود · محمد على علوبة · حمد الباسل · عبد اللطيف المكباتى ·

اما عدلى فقد تخلف فى لندن ولم يسافر ولا يعلم احد سبب تخلفه ، وقد حضر مندوب من قبل لورد ملنر الى محطة فكتوريا مرتين لتوديع المسافرين فى الدفعة الاولى وفى الدفعة الثانية ·

فهـــرس

صفحة

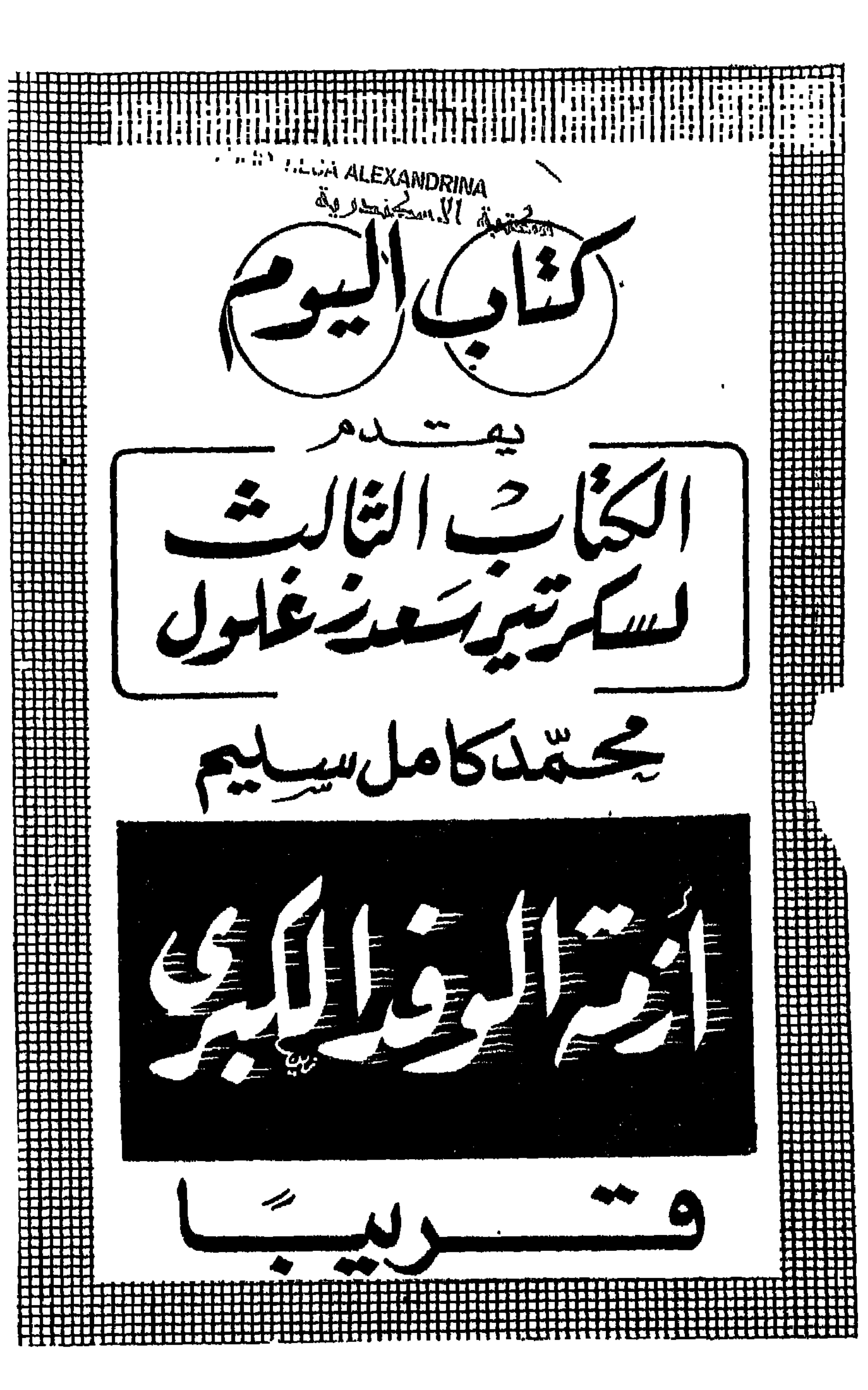
صدر من كتاب اليوم

● خواطر واحاديث	احمد حسن الباقورى
● فنان فى باريس	فتوح نشاطى
● بلاد الله ·· خلق الله (ثلاث طبعات)	انيس منصور
● النساء لهن اسنان بيضاء	احسان عبد القدوس
● ايام لها تاريخ	احمد بهاء الدين
● الغاضبون	كامل زهيرى
● مصرى فى فيتنام والصين وكوريا	احمد حمروش
● القمر فى انتظارنا	مجدى نصيف
● ام كلثوم التى لا يعرفها احد (ثلاث طبعات)	محمود عوض
● رجل من طين	سعد مكاوى
● حقيبة فى يد مسافر	يحيى حقى
● ليلة نام فيها الشيطان	محمد التابعى
● القرآن فى شهر القرآن	د· عبد الحليم محمود
● الكاس الاخيرة	ابراهيم المصرى
● لست مسيحا اغفر الخطايا (طبعتان)	محمد زكى عبد القادر
● يحدث فى الليل فقط	امين يوسف غراب
● طويل يا زمن	عبد المنعم الصاوى
● شخصيات عربية معاصرة	ابراهيم البعثى
● حين يميل الميزان	ثروت اباظة

- صالة النجوم — محمد التابعي
- قلت ذات يوم — توفيق الحكيم
- الشيطان لعبته المراة والمراة لعبتها الرجل — احمد الصاوى محمد
- الجديد فى مرض السكر — د. جمال غوريون
- مشهورون منسيون — فتحى رضوان
- اسلاميات — خالد محمد خالد
- العالم من ثقب الباب — كامل زهيرى
- تونة تونة (طبعتان) — احمد رجب
- موعدنا بعد غد — عبد المنعم الصاوى
- حيـاة قلب — احمد الصاوى محمد
- امهات لم يلدن ابدا ! — يوسف جوهر
- شيوعيون فى كل مكان (جزءان) — موسى صبرى
- يوميات مصرية — ابراهيم الورداني
- بنت اليوم — محمود تيمور
- صور مقلوبة (طبعتان) — احمد رجب
- ابتسامات على البلاج — حسين القباني
- مع اطيب تحياتي من موسكو — انيس منصور
- ابتسم من فضلك — محمد عفيفي
- نظرات فى سورة الرحمن — عبد الكريم الخطيب
- الزواج سنة ٢٠٠٠ — محسن محمد
- صقر الليل — محمود البدوى
- حلاوة الروح — يوسف الشاروني
- ذنوب بلا مذنبين — محمد زكى عبد القادر

- اولاد الحـــلال   صالح جودت
- الأم ..   فتحى الابيارى
- رجال ونساء   أحمد الصاوى محمد
- بيليه ملك الكرة   احمد علام
- شرابة الخرج   دكتور سعيد عبده
- حمارى وعصاى والآخرون   توفيق الحكيم
- سياحة غرامية   محمود عوض
- تاريخ للبيع   محسن محمد
- كـــلام فارغ   أحمد رجب
- عبد الباقي وبناته   فتحى ابو الفضل
- الصحافة الملعونة   موسى صبرى
- على الارض السلام   صبحى الجيار
- زهرة قرنفل حمراء   عبد المنعم الصاوى
- الوجه والقناع   ابراهيم المصرى
- على باب الله   جاذبية صدقى
- العاصـــية   احمد الصاوى
- رجل من الامس   عباس الاسوانى
- على حافة الخطيئة   محمد زكى عبد القادر
- بحر الذنـوب   عبد الله الطوخى
- الحفيـــد   عبد الحميد جودة السحار
- ٣ ايـــام   عبد الوهاب داود
- قصة ملك و٤ وزارات   موسى صبرى
- ساعة النصر   ابراهيم المصرى

- انا والقانون ٠٠ والفن — توفيق الحكي
- فلاسفة وصعاليك — محمد فهمى عبد اللطيف
- مذكرات اللورد كيلرن — كمال عبد الرؤوف
- لا تغسلوا الوحل — فتحى ابو الفضل
- أخر العنقود — يوسف الشارونى
- ولا عجيب الا الصين — محسن محمد
- الســـاعة ١٤٠٥ — صلاح قبضايا
- اكليل من العار — امين يوسف غراب
- حياتهم بلا خجل — محمد تبارك
- مغامرات صحفى فى قاع المجتمع المصرى (طبعة ثانية) — عبد العاطى حامد
- الزوجة الهاربة — جيلان حمزة
- دنيا عجيبة من القطب الى سور الصين — محمد مصطفى غنيم
- حول العالم مع الطب والاطباء — صلاح جلال
- بائع الاحـــلام — محمود كامل
- رقم ٤ يامركم — نهاد شريف
- سنة أولى سجن (طبعة ثالثة) — مصطفى أمين
- حمارى الفيلسوف — توفيق الحكيم
- بوابة المتولى — جاذبية صدقى
- هو ٠٠ والنساء والحب — حسين القبانى
- دفاع عن الزوجات — محسن محمد
- ثورة سنة ١٩١٩ — محمد كامل سليم



كتاب اليوم
يقدم
الكتاب الثالث
لسكرتير سعد زغلول
محمّد كامل سليم
أزمة الوفد الكبرى
قريبا


كتاب اليوم القادم
الناس والحب
بقلم
الكاتب الكبير
ابراهيم المصرى
يصدر أول يوليو



هذا الكتاب

هذا كتاب فيه اصالة واثارة وحقائق كانت بالامس مستورة وهى اليوم منشورة • كتاب جديد لم يسبق له مثيل لا فى موضوعه ولا فى اسلوبه •

اماموضوعه فقد تناول اعمال الوفد وسلوك اعضائه، وجهاد واعترافات سعد زغلول بعد خروجه من المنفى واضطراره الى الدخول مع ملنر فى مفاوضات كانت فى الواقع نزاعا مستمرا وصراعا فى صراع من اول يوم الى آخر يوم •

اما اسلوبه فهو يوميات سياسية ونفسية ، اذ لم يشا المؤلف ان يسجل الحقائق والوقائع باسلوبه الخاص، أسلوب الانشاء والتلخيص وتجميع الحوادث حسب توقيت وقوعها كما يفعل المؤرخون ، وانما ترك هذه المهمة كلها لسعد زغلول نفسه ، فسجلها باسلوبه القوى الرائع مع اعترافاته وارائه فيمن حوله وفيما جرى ، وترك ملنر نفسه ليسجلها باسلوبه الاستعمارى الخشن مع طلباته الملحة والمطامع الكالحة لبلاده • كما ترك لعدلى ولاعضاء الوفد ان يسجلوا اراءهم واهدافهم باسلوبهم الخاص •

بهذه اليوميات الفريدة تم احياء الماضى ونقله الى الحاضر كما تفعل اشرطة التسجيل فى هذه الايام •

